واجب الأمة

نحو نبي الرحمة ﷺ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ

واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ

الأستاذ الدكتور
خليل بن إبراهيم ملا خاطر الغزالي
أستاذ الحديث وعلومه، بجامعة طيبة
بالمدينة المنورة

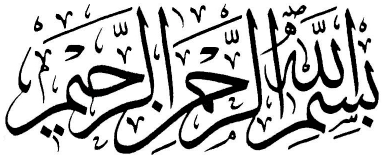

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتَنا ، إنك أنت العليمُ الحكيمُ .

اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتَنا ، وزدنا علماً .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحزنَ إذا شئت سهلاً ، فيسِّر لنا أمورَنا ، واختم لنا بالسعادة ، إنك على كلِّ شيء قدير .

أما بعد :

فقد كنت ذاهباً إلى الحرم النبوي الشريف لأداء صلاة العشاء ، ليلةَ الإثنين (١ شعبان١٤٢٣هـ) فسمعت مُذيعاً في إذاعة لندن ينقل عن أحد رجال الدِّين النصارى في أمريكا أنه يتهم النبيَّ المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نبيَّ الرحمة ، الذي لم تَعرف البشريةُ ولن تعرف : أرحمَ منه ـ يتهمه بالتطرف والعنف والإرهاب .

وبعد عودتي من الحرم بدأتُ بكتابة كتاب (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) بينتُ فيه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة المهداة من الله تعالى الرحيم الرحمن ، وأنه تعالى جعل رسولَه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلم رحمةً للعالمين ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له نظير في الخَلق ؛ فلا يلحقه أو يقاربه ـ في رحمته ـ رسولٌ ولا نبيٌّ ولا مَلَك ، فقد شملت رحمتُه صلى الله عليه وآله وسلم جميعَ المخلوقات ؛ الإنسانَ والحيوانَ والجانَّ والنباتَ ،...ولما قارب الكتاب على الانتهاء من الطباعة ،

زارني وفد من أمريكا (آخر شهر ربيع الثاني كما أظن) فحدَّثتهم بما سمعت ، فشَكَوا إليَّ مما يرونه ، وما يسمعونه من اتهامات باطلة ، فأخبرتهم عن الكتاب ، فألحّوا عليَّ ، مستعجلين كتابته وإرساله إليهم ،...

فوعدتهم إفراد فصل (رحمته صلى الله عليه وآله وسلم بالكفّار) من الكتاب ، لأرسله إليهم ، فيكون زاداً لهم - ولغيرهم من المسلمين في البلاد الغربية - في ردِّ هذه الفرية الباطلة إن شاء الله تعالى ، وإن كان يستفيد منه غيرُهم بإذن الله تعالى ، وقد انتهى الكتاب من الطباعة ، وفي آخر هذا الكتاب فصل (واجب الأمة نحو نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قاربت صفحات الكتاب على (٤٠٠) صفحة ، ولله الحمد والمنة والفضل .

وقد زارني بعضُ أهل العلم والفضل ، وجرى الحديث عما يدور في هذه الأيام من التهجم على شخص النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وجرأة الكفار على ذلك ، وما هو موقف الأمة حيال ذلك ، فأخبرتهم بوجود هذا العنوان نفسه في ذلك الكتاب ، فطلبوا إفراده ، ونشره ، فوافقت ، لعل في ذلك نوعاً من أنواع الدفاع .

ولم أغير في الفصل شيئاً سوى الأمور التالية :

- كتابة هذه المقدمة ، وفيها بيان الهجوم على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقصور المسلمين في ذلك .

- زيادة الفصلين الأول والثاني ، وزيادة بعض الفقرات في المواقف المذكورة ، مع زيادة موقفين اثنين أيضاً .

- التعليق على بعض الأحاديث الشريفة ، لأني ذكرتها في الأصل من غير تعليق غالباً .

وأما **العوامل التي أدت إلى جرأة الكفار وهجومهم** ـ بعد تنبيه الله تعالى ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ فيرجع ذلك إلى أمور متعددة ، منها من المسلمين ، ومنها من الكفار . لذا أجملها بما يلي ، خاصة وقد سبق أن ذكرت في مقدمة الشمائل ، والذي كان قد كتبته عام (١٤٠٠ هـ) وطبع أوله عام (١٤١٦هـ) ما يزيد على (١٤) عاملاً في ذلك الوقت ، أذكر هنا بعض الأسباب ، ولا أوجهه لفئة معينة ، أو جماعة معينة ، إنما هو للأمة على امتداد أطرافها وحيث وُجدوا .

١ـ من أولى الأسباب جهلُ عامة المسلمين بنبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا يعرفون شيئاً من سيرته وشمائله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلّا كيف يليق بمسلم مثقف لا يعلم أين قبر نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا من هن بناته ، ولا من هم أصهاره ، ولا كم بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبينه من السنين ،...إلخ.

٢ـ عدم توقير وتعزير وتكريم كثير من المسلمين للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلّا كيف يتسنى لمسلم أن يصف نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بصفات لا تليق به ، وفيها الحط من مكانته الكريمة ، بل بلغت الجرأة من بعض هؤلاء من يرى عدم جواز قراءة آية من كتاب الله تعالى فيها إطراء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . حتى حصلت جفوة بين كثير من المسلمين وبين نبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ـ ما يفعله بعض طلبة العلم ـ والله تعالى أعلم بنياتهم ـ من التنفير من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خشية الغلو فيه ، مما ساعد على وجود هذه الجفوة ، وعدم معرفة وقراءة سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وشمائله ، والإغفال عما يجب له صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين ، وإلا كيف يجوز لمسلم أن يتهم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بأنهم فتحوا باب الغلو والشرك بتبركهم وحُسْن تعاملهم للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهل أخذنا ديننا إلا عن طريقهم ـ بل كيف يتسنى لمسلم أن يكفِّر المسلمين ، وأن من لم يكفِّرهم أو من يشك في كفرهم فهو كافر في نظره ـ مع صلاحهم وعبادتهم واستقامتهم ـ كما قرأته يوماً في (الإنترنت).

ومعلوم أن لمثل تلك الأقوال من التأثير في نفوس المسلمين ، بل حتى غير المسلمين الشيء الكثير ، ومما يجب معرفته أن المقدسات ـ عموماً ـ كلما كانت معظّمة في نفوس أتباعها تبقى معظمةً في نفوس الآخرين .

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيت العتيق ، فطالما أنه معظّم في نفوس أهله يكون معظَّماً في نفوس الآخرين . فإذا استحلَّه أهلُه هان في نفوس الآخرين ، فتكون النتيجة هي الهدم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يُبايَعُ لرجل ما بين الركن والمقام ، ولن يستحلَّ البيتَ إلا أهلُه ، فإذا استحلُّوه فلا يُسألُ عن هلكة العرب ، ثم تأتي الحبشةُ ، فيخرِّبونه خراباً لا يُعمر بعده أبداً ، وهم الذين يستخرجون كنزه ». رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وابن الجعد برجال ثقات ، وصححه ابن حبان والحاكم[1].

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٩١ ، ٢١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥١) ومسند الطيالسي (رقم ٢٣٧٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ٥٢ـ٥٣) ومسند علي بن الجعد (٢ : ١٠٠٥) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٢٣٩) والمستدرك (٤ : ٤٥٢ ـ ٤٥٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٩٨) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٦) (١٠ : =

٤ـ ضعف الصلة بين المسلمين وبين رسولهم صلى الله عليه وآله وسلم ، بحيث إن الذي يقرأ سيرته وشمائله وخصائصه من النادر ، بل إن كثيراً من المسلمين يتبجحون بمعرفتهم بأعيان الكفار أكثر بكثير من معرفتهم به صلى الله عليه وآله وسلم ، ويستدلون بأقوال المفكرين الكفار أضعاف استدلالهم بالأحاديث النبوية ، بل وصل الأمر إلى أحدهم القول : إنه يصدِّق الطبيب الكافر ، ولا يصدِّق النبيَّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم . في بحث معين ، وهو من كبار الدعاة .

٥ـ تفرق الأمة وتشتتها ، وضعفها على المستوى الدولي ، وجعل الخلاف فيما بينها ، وزوال هيبتها من نفوس الأمم الأخرى ، وحصول التداعي عليها من الأمم .

فعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كلِّ أُفق ، كما تداعى الأَكَلَةُ على قصعتها » قال : قلنا : يا رسول الله ؛ أَمِن قِلَّةٍ بنا يومئذٍ ؟ قال : « أنتم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل ، تُنتَزَعُ المهابةُ من قلوب عدوكم ، ويُجعلُ في قلوبكم الوهن » قال : قلنا : وما الوهن ؟ قال : « حبُّ الدنيا ، وكراهيةُ الموت ». رواه أحمد والطيالسي وأبو داود والطبراني في آخرين ، وهو صحيح بمجموع طرقه[1].

= ٢٥٠) وانظر تعليقي على الحديث في مكانة الحرمين الشريفين ، ومختصر أشراط الساعة .

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٧٨) ومسند الطيالسي (١٣٣رقم٩٩٢) وسنن أبي داود : كتاب الملاحم : باب في تداعي الأمم على الإسلام ، رقم (٤٢٩٧) والمعجم الكبير (٢ : ١٠١) ومسند الشاميين (١ : ٣٤٤ـ ٣٤٥) ومسند الروياني (١ : ٤٢٧ـ٤٢٨) ودلائل النبوة (٦ : ٥٣٤) وشرح السنة (١٥ : ١٦) وحلية الأولياء (١ : ١٨٢) وانظر مختصر أشراط الساعة =

ومعلوم أن القوي يُحترم ، وسبب تكالب الأمم علينا هو ، كما قال سيدنا عليٌّ رضي الله تعالى عنه : أُكلتُ يوم أُكل الثورُ الأبيض[1].

٦ـ تقصير المسلمين الكبير في نقل الإسلام ومنه سيرة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وشمائله وخصائصه إلى الأمم الأخرى ، إما للجهل بها ، أو الاستهتار وعدم الحرص على ذلك ، أو خشية الغلو ، مع أن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها من التأثير الذاتي ما لم تبلغه سيرة عظيم ، أو شمائل كريم .

٧ـ تقصير كثير من علماء المسلمين والقادرين على الترجمة منهم ، لم يترجموا إلى اللغات المختلفة : كتبَ السيرة النبوية ، والشمائل المحمدية ، والخصائص التي يختص بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن غيره من الأنبياء عليهم السلام ، وكذا الكتب التي تبيّن مكانته ومنزلته وتقدُّمه صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الرسل عليهم السلام . لذا يلزم اختيار الكتب المؤثِّرة في القراء ، والتي تعطي الصورة الحقة الناصعة له صلى الله عليه وآله وسلم .

٨ـ حال كثير من المسلمين الموجودين في الغرب لا يعطي صورةً صادقة وصحيحة عن الإسلام ونبيِّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ، إما لانحرافهم ، أو لغلبة الجهل عليهم ، أو لانخراطهم في حضارة الغرب وسلوكياته .

فهم ليسوا رسلَ دعوة ، ولا مبشِّرين بها ، وذهابهم إما للقمة العيش ،

= (١٥٩) لوجود حديث آخر .

(١) انظر : مصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ٣٢٩ـ ٣٣٠) والمعجم الكبير (١ : ٣٦) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٤٥) (٩ : ٩٨).

أو الانحراف السلوكي ، أو للتجارة ، أو لأعمال أخرى .

٩ـ جهل كثير من العالمين الغربي والشرقي بالإسلام عموماً وبنبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم خصوصاً . فهم لا يعرفون عنه شيئاً ، حتى المثقف فيهم لا يعرف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً يذكر . ومن يقرأ فهو يقرأ ما كتبه المستشرقون من كتابات مشوهة .

١٠ـ إن ما عمله رجال الدين اليهود والنصارى والمستشرقون من تشويه صورة الإسلام عموماً ، وصورة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في أعين أتباعهم في الغرب ، سواء في الكتب والمجلات أو الإذاعات أو وسائل الإعلام الأخرى أعطى صورة مشوهةً منفِّرة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

بل إذا كان قد تأثر بهذه الصورة المشوهة أناسٌ من المسلمين ، ومع هذا فقد تأثروا بهم تأثراً كبيراً ، بحجج مختلفة ، فكيف لا يكون رجال الغرب متأثرين بما قاله وكتبه أساتذتهم ومعلموهم ؟

١١ـ لقد ترك المسلمون ـ علماء ودعاة ومفكّرون ـ أمرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التبليغ عنه « بلّغوا عنّي ولو آية » في ديار الغرب ، وخاصة لأهل الفكر والتأثير ، وتركوا ذلك للحاقدين من اليهود والنصارى ، فصاروا يشوّهون صورةَ الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وعلماء الإسلام والمسلمين بعد ذلك ، لذا لم يعرف ـ أغلب مفكري الغرب ـ من الإسلام إلا ما شوّه .

كما لم يستغل المسلمون ما كتبه المنصفون من الغرب ـ خاصة ممن أسلم منهم بعد بحث وتمحيص ومقارنة ـ فيبرزوه للعيان ويحاجّون به ، لأن الغرب يتأثر بما يقوله مفكروهم .

كما لم يبرزوا ما جاء في إناجيلهم ـ مما بقي لم يحرّف ، أو مما حُرِّف لكنه باق في دلالته الحقة ـ عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ومنزلته ومكانته عند الله جل جلاله ، ووجوب اتباعه وطاعته ، وأنه هو المخلّص لهم .

كما لم يبرزوا التناقض الواضح في الأناجيل المعتمدة عندهم ، مما لا يقبله عقلٌ نيّرٌ ، ولا فطرة سليمةٌ ، لأن في إبراز التناقض زعزعة لكفر القوم ، ونصر لواضح الإسلام . خاصة والتناقض كبير ، والهجوم أولى من الدفاع .

١٢ـ إن النظرة اليهودية الخبيثة الحاقدة والنصرانية المتصهينة الماكرة نحو النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ورجال الإسلام ودعاته الصادقين : هي نظرة سيئة ، مما يشوّه صورة الإسلام ، ونبيّ الإسلام في الغرب .

١٣ـ إن نظرة الغرب ـ خاصة بعد تخلص كثير منهم من الكنيسة ـ إلى أن الدِّين أفيون الشعوب ، وحجر عثرة في التقدم ، لذا كان التخلص منه سبباً في رقيهم وتقدمهم العلمي ، لذا قاسوا كلَّ الأديان على ما عندهم من انحراف الكنيسة وأتباعها ، وفرَّغوا الدِّين من قدسيته ، ولم يعد يحترمون مقدساتهم ، ورموزهم الدينية ، ومن جملة ذلك : نظرتُهم نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام ، فجعلوه كرموزهم الدينية ، وليس نبيّاً رسولاً ، فإذا جاز كلامهم وسخريتهم من رموزهم الدينية والسياسية فلا غرو أن يتكلموا في كل الرموز الأخرى .

١٤ـ إن مكر اليهود والنصارى المحترِقين يعلمون أن المسلم يؤمن بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ويلزمه احترامهم وتقديرهم وعدم الإساءة أو الحقد ،... إلى أحد منهم ، وأن هذا من إيمان المسلم ومعتقده ،

لذا فهم آمنون من نيل المسلم من أنبيائهم ورسلهم عليهم السلام ، ولو كانوا هم لا يعتقدون بهم ولا يعظِّمونهم .

١٥ـ إن الغرب يكيل بمكيالين . فلو تكلّم مسلم في اليهودية لقيل له : إنه عدو السامية ، ولو تكلّم مسلم في محرقة اليهود ـ ولو في عدد اليهود ، وليس منكِراً لها ـ لقيل له : إنه عدو السامية ، ولو تكلّم مسلم في عقائد اليهود والنصارى المنحرفة لقالوا له : هو عدو للسامية .

أمّا أن يتكلّم غربي في أقدس مقدسات الإسلام ، قالوا : حرية رأي . وحريةُ الرأي مصونة ، لأنهم دول علمانية .

١٦ـ لابد من ترسيخ عقيدة المسلم في كون النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هو أفضل الخلق ، وسيد الناس ، وهو خاتم النبيين والمرسلين ، وسيدهم وإمامهم ، وأنهم تحت لوائه يوم القيامة ، وأنهم يرغبون إليه جميعاً ،...

ومن محبة المسلم وتفانيه وإيمانه نقلُ ما أكرمه الله تعالى به من توقير ومحبة وتقدير وتعزير لنبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيان ما خصه الله تعالى به من خصائص وميزات إلى العالم أجمع .

١٧ ـ إن الدول النصرانية والجمعيات التبشيرية سخّرت المئات من المحطات الفضائية والإذاعية لنشر أقوال المسيح عليه السلام وأحواله إلى العالم أجمع ، وبالأخص إلى العالم الإسلامي ، ولا يوجد محطة واحدة للمسلمين مخصصة لبث سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وشمائله وخصائصه وأخلاقه ،... مع أن هذا من أُولى الواجبات ، لأنّا مأمورون بالتبليغ عنه ، ولا أخير من تبليغ سيرته وأخلاقه وشمائله وخصائصه ،... صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ هي من أُولى وسائل الدعوة ، ولا يوجد ما يتفاعل بالنفوس مثلها .

لذا لابد من إعادة النظر نحو النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وزيادة التمسك به ، والعمل على زيادة محبته ، والحرص على التخلق بأخلاقه ، والتمسك بسنته ، مع توضيح صورته الحقيقية إلى العالم ، لأن الكفار إذا فعلوا ـ الآن ـ رسم صورة مشوهة ، فلا يبعد أن يفعلوا ما هو أكبر بعد حين .

إن الصور التي رُسمت ونُشرت بعد حوادث أمريكا ؛ وهي تمثل الكعبة والمسجد الحرام ، والتهديد بقصفها ، كل ذلك من باب (بدء الخيط) لذا طالما خضع المسلمون ، فليتوقعوا من الكفار ما هو أقبح .

إن تفرق المسلمين أعطى الكفار يسر التحكم في رقابهم ، وسهولة التحرك في بلادهم ، وحرية الهجوم على أقدس مقدساتهم ، واستحلال بيضتهم ، واستعمار أراضيهم ، واستغلال ثرواتهم ،...إلخ.

ولا يمكن أن يزول الحيف والظلم والتحكم ،...ويزول الإستعمار ـ بأنواعه ـ إلا بعودة المسلمين إلى ربهم تعالى ، والتمسك بنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، والاهتداء بهديه ، والانضواء تحت مظلة شرعه ، وعدم الخروج عن منهجه وسنته ، ومعاملته صلى الله عليه وآله وسلم كما كان أصحابه رضي الله تعالى عنهم يعاملونه به ، لأنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

إن هذه الحادثة كشفت عوار المسلمين ، وبينت لهم تقصيرهم في حق نبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأوضحت لهم خطأهم في تعاملهم معه ، كما بينت لهم مدى العجز الذي هم فيه ، والظلم الذي كانوا واقعين فيه ، وأبانت لهم مدى بعدهم عن الجادة ، لكنها كشفت عن المعادن الحقيقية ، وبذرة الإيمان في النفوس ، وصرة المحبة للنبي الكريم صلى الله

عليه وآله وسلم ، لذا صرنا نسمع عن أناس كانوا بعيدين عن الركب صاروا يصرخون في السِّرب ، ورُبَّ ضارة نافعة ، ولا تكرهوا الفتن فإنها حصاد المنافقين .

إن منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن تتأثر ، ومقامه صلى الله عليه وآله وسلم لن يتزلزل ، وقدره العظيم عند ربه عز وجل لن يتزعزع ،... لكن الله تعالى يبعث كل حين من ينبه المسلمين على قصورهم وتقصيرهم وسوء فعالهم .

أسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين إلى الرجوع إلى دينهم ، والتمسك بحبل ربهم جل شأنه ، والتعلق بأذيال نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، والتخلق بأخلاقه ، والتفاني في خدمته ، والدفاع عنه ، ونشر سنته وسيرته ، واتباع هديه ، إنه قادر كريم .

وصلى الله تعالى على صفيه وخليله سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الكرام المبجلين ، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم مُلّا خاطر العَزّامي

نزيل المدينة المنورة

*****

واجب الأمة نحو نبيِّ الرحمة ﷺ

لقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن نبيه المصطفى الرحيم صلى الله عليه وآله وسلم أنه رحمةٌ للعالمين ، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ شاملة لجميع الخلق ، بما فيهم الإنس والجن ، والحيوان ، والنبات ،...كما بينته في (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) وَ (رحمة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفّار).

لقد جعله الله تعالى رحمةً ، وخلقه كذلك ، وأهداها إلى العباد جميعاً ، وبهذا برزت تلك الرحمة في معاملته صلى الله عليه وآله وسلم للخلق جميعاً .

كما أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم أنه نبيُّ الرحمة . وهذه الرحمةُ لم ينلها صلى الله عليه وآله وسلم باجتهاد منه ومجاهدة ومصابرة ، إنما هي من الله تعالى ، جبل عليها رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم . وقد ذكرت في الكتابين المذكورين عدة أحاديث ، أشير إلى بعضها .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُسمّي لنا نفسَه أسماء ؛ فقال : « أنا محمد ، وأحمد ، والمقفّى ، والحاشرُ ، ونبيُّ التوبة ، ونبيُّ الرحمة ». رواه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قيل يا رسول الله ؛ ادع على

(١) سورة الأنبياء (١٠٧).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (١٢٦).

المشركين . قال : « إني لم أُبعث لعّاناً ، وإنما بُعثتُ رحمةً ». رواه مسلم[1].

وعن سلمان رضي الله تعالى عنه ـ في قصة شرطه صلى الله عليه وآله وسلم على ربه تعالى ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «... وإنما بعثني رحمةً للعالمين ». رواه أحمد وأبو داود والطبراني برجال ثقات[2]، وأصله في الصحيحين من غير طريقه .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيها الناس ؛ إنما أنا رحمةٌ مُهداةٌ ». رواه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، والطبراني والبزار برجال الصحيح ، في آخرين[3].

إذا كان الله تعالى قد جعل نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم رحمةً للعالمين ـ والناسُ من جملة العالَمين ـ وبعثه رحمةً ، وبالرحمة ، وقد ظهر ذلك جليّاً كما بينته في (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) فكيف هو لأمته ؟

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى ورسولُه الرحيمُ صلى الله عليه وآله وسلم لنا ذلك ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم رحمةٌ لأمته ، كما هو رحمة للعالمين ،

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب النهي عن لعن الدواب ، رقم (٨٧).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٤٣٧) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٤٦٥٩) والمعجم الكبير (٦ : ٣١٨ ـ ٣١٩).

(٣) المستدرك (١ : ٣٥) والمعجم الصغير (١ : ١٦٨) والمعجم الأوسط (٣ : ٢٢٣) وكشف الأستار (٣ : ١١٤) ومسند الشهاب (٢ : ١٨٩ ـ ١٩٠) والمعجم لابن الأعرابي (٣ : ١١٣٦ ـ ١١٣٧) ودلائل النبوة (١ : ١٥٧ ـ ١٥٨) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٧) ومجمع البحرين (٦ : ١٣٢) وأمثال الحديث للرامهرمزي (٢٩).

لأن أمَّتَه صلى الله عليه وآله وسلم من جملة العالمين .

بل إن الله سبحانه وتعالى خصَّ أمة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الخلق ـ بشمولية أكثر ، حيث جعل نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم رحيماً بهم . والرحيم : على وزن فعيل . وهذه الصيغة : هي مبالغة من اسم الفاعل ، وهي غايةُ المبالغة في الرحمة مع أمته .

كما أضاف تعالى له وصفاً آخر هو غاية الرحمة أيضاً ، وهو الرؤوف ، لذا سمّاه الله تعالى رؤوفاً رحيماً .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ ﴾[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

وقد ظهرت هذه الرحمة بمظاهر كثيرة ، شملت الخلقَ كلهم ، كما بينت ذلك في (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) ومن جملة ما شملت : الكفار .

ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة : أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يَقتل أو يُعذِّب أو يعنِّف ـ بل لم يأمر بقتل أو تعذيب ـ كلَّ من حاول الغدرَ به ، أو قتله ، أو اغتياله ، بأي نوع من أنواع الاغتيال : مِن قَتْلٍ ، أو سُمٍّ ، أو سحرٍ ،... كما أوضحته في (رحمة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفّار) وأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أسقط حقَّه (الشخصي) في ذلك .

---

(١) سورة التوبة (٦١).

(٢) سورة التوبة (١٢٨).

بل منع صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة الكرام الذين استأذنوه في قتل من أساء إليه ، أو اعتدى عليه ، سواء من الكفار ، أو من أهل الكتاب ، أو من المنافقين ، أو من الأعراب ، ذلك لأنه صلى الله عليه وآله وسلم رحمة مهداة ، وأنه يتألفهم إلى الإسلام .

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أسقط حقَّه الشخصي ـ لأنه رحمة ، ولا يقابل السيئةَ بالسيئة ، ولا يقابل أحداً بما يكره ، وأنه يعفو ويغفر ، كما في حديث ابن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما ـ وقد سُئل عن وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة ـ فقال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ،... فأنت عبدي ورسولي ، سمَّيتُك المتوكِّلَ ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ، ولا سخّابٍ في الأسواق ، ولا يدفع السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئَةِ ، ولكن يعفو ويغفر ،... الحديث بطوله ، رواه البخاري[1].

ـ فلم يقتل ـ بل لم يعنِّف ـ من سبَّه أو شتمه ، أو تطاول عليه ، أو نال من عرضه ، ولم يقتص منه ، وكذا لم يقتل من أراد قتلَه أو اغتياله ، ولم يعاقبه ، بل عفا عنهم جميعاً ـ كما بيّنتُه في (رحمة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفّار) فمن ينوب عنه في إسقاط هذا الحق ؟ وما هو موقف الأمة ـ ابتداء من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إلى نهاية الدنيا ـ حيال من يفعل ذلك ، سواء كان في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ولو تطاول الزمان ؟

وستكون الرسالة في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : محبته صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره وتعظيمه .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب كراهية السخب في الأسواق ، وفي غيرهما.

الفصل الثاني : طاعته صلى الله عليه وآله وسلم والمحافظة على سنته . لحاجة المسلمين إليهما ، ولكن ستكونان باختصار شديد .

الفصل الثالث : موقفَ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في فدائهم للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ونصرتهم له ، ونيلهم ممن نال منه ، وسعيهم لقتل من أساء أو آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو قتله .

*****

ذكر بعض الحقائق

وقبل جوابي على سؤال (من ينوب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إسقاط حقه ، وما هو موقف الأمة تجاه من تعدى أو أساء أو سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) يقتضي ذكر بعض الحقائق تكون مدخلاً للبحث ، بإذن الله تعالى .

أقتصر على ذكر بعضها :

١ـ لقد أوجب الله تعالى ـ في جميع الظروف ـ نصرةَ نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو كان ذلك في أحلك الظروف .

قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

ففي الآية الكريمة عدة مزايا منها ؛ نصره تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا النصر دائم ـ لأنه تعالى إذا نصره في الغار ـ يوم لم يكن معه إلا الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه ، فكيف لا ينصره ومعه ملايين المسلمين ـ وإنزال السكينة عليه وعلى صاحبه الصِّدِّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، وتأييده بالملائكة ، وجعل كلمة الله تعالى هي العليا ، وجعل كلمة الذين كفروا هي السفلى ، وكل ذلك حاصل ، فإذا فرَّط المسلمون

(١) سورة التوبة (٤٠).

المتأخِّرون ، فلم ينصروا نبيَّهم صلى الله عليه وآله وسلم فهم السبب ، لضعف إيمانهم ، وضعف صلتهم بربهم تعالى ، وضعف محبتهم واتباعهم لرسولهم صلى الله عليه وآله وسلم وارتباطهم به .

٢ـ لقد جعل الله تعالى من صفات المؤمنين الصادقين المخلصين : نصرةَ الله تعالى ونصرةَ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾[1].

بل جعل الله تعالى من مفردات العهد الذي أخذه جل شأنه على الأنبياء عليهم السلام لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : نصرته .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[2] ووجوب النصرة يقتضي تقديم كل شيء في سبيلها . ثم هو بين النجاة والموت ، والله تعالى أعلم .

٣ـ لقد أوجب الله تعالى على الأمة تقديمَ نفس النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ورغباته على نفوسها ورغباتها ، بل يكون هواها تبعاً لهواه ، ولهذا عاتب الله تعالى المؤمنين حينما تباطؤوا عن الخروج سراعاً يوم خروجه صلى الله عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك .

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن

(١) سورة الحشر (٨).

(٢) سورة آل عمران (٨١).

يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[1] فهذا عتاب وتنبيه لأصحاب القلوب الحية ، أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقدَّماً عندهم حتى على أنفسهم ، فضلاً عن الرغبات والهوى .

٤ـ لقد أوجب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على الأمة أن تكون محبةُ الله تعالى ومحبةُ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مقدمةً على محبة جميع المخلوقات ، وقد حذّر الله تعالى من تقديم محبة أي شيءٍ عليها ، وإن غلا وارتفع .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2].

فهذا تهديد شديد ووعيد مخيف ﴿ فَتَرَبَّصُواْ ... ﴾ الآية ، لمن كان له قلب .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده ». رواه البخاري[3].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يُؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس

(١) سورة التوبة (١٢٠).

(٢) سورة التوبة (٢٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الإيمان .

أجمعين ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي رواية لمسلم[2] عنه رضي الله تعالى عنه « لا يؤمن عبد ـ وفي رواية : رجل ـ حتى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين ».

وعن عبد الله بن هشام رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله ؛ لأنتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلا من نفسي . فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم « لا ، والذي نفسي بيده ، حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك » فقال له عمر : فإنه ـ الآن ـ والله ـ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي . فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « الآن يا عمر ». رواه البخاري[3].

فقد اجتمع ـ من خلال الآية الكريمة والأحاديث الشريفة ـ النفس ، والوالد ، والولد ، والأخوة ، والزوجة ، والأهل ، والعشيرة ، وبقية الناس ، والمال ، والتجارة ، والمساكن ، فلم يبق شيء ، فيجب تقديم محبة الله تعالى ومحبة نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على محبة هؤلاء جميعاً ، وإن قدَّم محبةَ هؤلاء على محبته صلى الله عليه وآله وسلم فالخطر محدق به ، والتهديد واقع عليه .

ومن كانت محبة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مقدَّمةً عنده

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الإيمان . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، رقم (٧٠).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأيمان والنذور : باب كيف كانت يمين النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم .

على محبة ما سواه من المخلوقين مهما كانوا مقرّبين ـ حقيقة لا عقلاً ـ تذوَّق حلاوةَ الإيمان ، وذاق طعمه .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان ؛ من كان الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذفَ في النار ». متفق عليه[1].

ومن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحبَّ إليه من محبة جميع المخلوقات ـ ذوقاً وحقيقة لا تصوُّراً ـ فكيف يحافظ عليه؟ وكيف يحترمه ويوقِّره ؟ وكيف يتفانى في خدمته ، والدِّفاع عنه ، والاستماتة دونه ؟

٥ ـ لقد تكفَّل الله عز وجل بحفظ نبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وعصمته من الناس ، بحيث لن يصلوا إليه ، وسخَّر الملائكةَ لحفظه والدفاع عنه .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾[2] وقد بلّغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وشهد له ربُّه تعالى بالبلاغ ، وقد كثرت الأحاديث الشريفة في ذلك « اللهم اشهد ».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب حلاوة الإيمان ، وباب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، رقم (٦٧ ، ٦٨).

(٢) سورة المائدة (٦٧).

وقد كان بعضُ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم يحرسه ، فلما نزلت هذه الآية صرفهم صلى الله عليه وآله وسلم عن حراسته .

وهؤلاء الذين كانوا يحرسونه صلى الله عليه وآله وسلم إنما دفعهم الحرص منهم عليه ، بدافع من عند أنفسهم ، فكانوا ممن عصم الله تعالى بهم رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا غاية المحبة والعناية ، لأن الحارس على خطر المداهمة من قبل العدو ، فيكون بين الموت والدفاع ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال أبو جهل : هل يعفِّر محمدٌ وجهَه بين أظهركم ؟ قال : فقيل : نعم . فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، أو لأُعفِّرن وجهَه بالتراب .

قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي ، زعم ليطأ على رقبته . قال : فما فجِئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه . قال : فقيل له : ما بالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار ، وهولاً وأجنحةً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لو دنا مني لاختطفته الملائكةُ عضواً عضواً ». رواه مسلم ، ورواه البخاري[1] بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

٦ـ لقد كفى الله سبحانه وتعالى رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم المستهزئين ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم بأعين ربِّه جل جلاله .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة إقرأ : باب ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب قوله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾، رقم (٣٨).

قال جل شأنه : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ * ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

وقال عز وجل : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾(٢).

فقد كفاه الله جل وعز شرَّ أعدائه ، وكبت كلَّ من سخر أو استهزأ به ، والتاريخ شاهد على ذلك .

لكن إذا كان الله تعالى قد كفاه المستهزئين فهل يتخلى المسلم عن الدفاع عنه ، ويقف موقفَ المتفرِّج ، ينتظر حلولَ العقوبة من الله تعالى بالمستهزء ؟؟؟ كلا .

٧ـ لقد أوجب الله تعالى على هذه الأمة تعظيمَ نبيها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتعزيره وتوقيره .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(٣).

وقال جل شأنه : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٤).

والتعزير : المبالغة في التعظيم .

والتوقير : هو الاحترام والإجلال والإعظام والتبجيل ، فهو أعلى من

---

(١) سورة الحجر (٩٤ـ٩٦).

(٢) سورة الطور (٤٨).

(٣) سورة الفتح (٨ـ٩).

(٤) سورة الأعراف (١٥٧).

مقام المحبة[1].

ومقتضى التعزير والتوقير : الفداء والاستماتة دونه ، وعدم خلوص الكافر إليه ، وكبت عدوه ، والدّفاع عنه ، ولو أدّى ذلك إلى ذهاب النفس والمال ،...

٨ـ إن من شروط بيعة العقبة حين بايع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الأنصار : أن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأبناءَهم وأزواجَهم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ـ عن قصة بيعة العقبة ، وفيه قولهم ـ فقلنا : يا رسول الله ؛ على ما نبايعك؟ قال : « تبايعوني على السمع والطاعة ، في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ،... وعلى أن تنصروني إذا قدمتُ عليكم ، وتمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم وأزواجَكم وأبناءَكم ، ولكم الجنة ». رواه أحمد والبزار والبيهقي برجال الصحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وحسنه الحافظ[2].

وقد ورد بنحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ومقتضى نصرته ومنعه مما يمنع منه النفس والولد والزوج يقتضي

---

(١) انظر : محبة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد ، ومكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام ، وغيرهما . فقد أوضحتُ تقدم مقام التوقير على مقام المحبة .

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، ٣٣٩ ـ ٣٤٠) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٧٢ ـ ١٧٣) (١٥ : ٤٧٤ ـ ٤٧٦) والمستدرك (٢ : ٦٢٤ ـ ٦٢٥) والسنن الكبرى (٨ : ١٤٦) (٩ : ٩) ودلائل النبوة (٢ : ٢٢٢) وكشف الأستار (٢ : ٣٠٧ ـ ٣٠٨) ومسند أبي يعلى (٣ : ٤٠٥) حيث روى قطعة منه . ومجمع الزوائد (٦ : ٤٦) وانظر : فضائل المدينة المنورة ، وساكن المدينة المنورة .

تقديم كل شيء في سبيل ذلك ، حتى النفس ، وهذا ما فعله الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، حيث قدّموا الغالي قبل الرخيص ، في سبيل المحافظة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وسلامته ، والدفاع عنه ، والاستماتة دون وصول العدو إليه ، كما سيأتي في المواقف الكريمة إن شاء الله تعالى .

٩ـ لقد جعل الله تعالى معيارَ من يدَّعي محبةَ الله تعالى : اتّباعَ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، لينال متَّبعُه محبةَ الله تعالى له ، وغفرانَ ذنوبه .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

حيث جعل الله تعالى نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حادياً يحدو بقلوب العباد ، في بيداء الدنيا ؛ أن اتبعوني ، حتى تصلوا إلى شاطئ السلامة ، فتنالوا محبةَ الله تعالى ومغفرةَ ذنوبكم ، فمن حاد عنه ولم يتبعه وسلك غير سبيله : ضل وهلك ، ولم ينل محبة الله تعالى . ومن مشى خلفه واتّبع سبيلَه ونهج منهجه وسلك مسلكه : نجا وسعد ، وصوتُه صلى الله عليه وآله وسلم ينادي دائماً ـ في أعماق الكون ـ كلَّ من يدّعي محبةَ الله تعالى ﴿ فَاتَّبِعُونِي ﴾ لتنالوا ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ وهذه سعادة لا تقابلها سعادة .

لقد جعل الله جل شأنه جميعَ السبل إليه مقفلةً مغلقةً إلا اتباع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فبقدر حاجة المتَّبِع للمتبوع يكون حرصه عليه ، خاصة وهو يمشي بين يديه في متاهات الدنيا ،

(١) سورة آل عمران (٣١).

ودروب الحياة ، كما أن بقدر حرص المرء على أن يحبَّه الله تعالى ويغفر له ذنوبه يتمسك بالمتبوع.

ومتَّبعُ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يكون في بدء أمره مُحبّاً لله تعالى ، ثم يصير بعد اتباعه له محبوباً من الله تعالى .

والاتباع غير الطاعة ، إذ كل اتباع طاعة ، وليس كل طاعة اتباعاً ، وهو التوغل في الاقتداء والقفو مع تفضيل المتبوع ، فهو ناشئ من محبة المتَّبع للمتبوع وتعظيمه له ، وتكون باختيار المتَّبع ، وعدم الخروج عنه ، ولا يكون ذلك إلا للمحب ، بينما الطاعة فهي مرتبطة بالأمر والنهي ، كما قال تعالى على لسان هرون عليه السلام : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾[1]. حيث أمر باتباعه وطاعة أمره ، والعطف يقتضي المغايرة ، والله تعالى أعلم[2].

١٠ـ لقد جعل النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم صفةَ المؤمنين المحبين ، بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ـ سواء كانوا من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أم من غيرهم ـ أن أحدَهم يدفع أهلَه ومالَه في سبيل أن يراه مرةً واحدة ، ثم لا يراه بعدها أبداً .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « والذي نفسي بيده ، ليأتينَّ على أحدكم يومٌ ولا يراني ، ثم لأن يراني أحبُّ إليه من أهله وماله معهم ». رواه مسلم[3].

---

(١) سورة طه (٩٠).

(٢) لقد توسعت في بيان الاتباع في محبة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد ، فانظره .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل النظر إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (١٤٢).

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مِن أشدِّ أمتي حبّاً ؛ ناسٌ يكونون بعدي ، يودُّ أحدُهم لو رآني بأهله وماله ». رواه مسلم[1].

وإذا كان الحديث الأول جاء في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ كما هو واضح من لفظه ـ فإن الحديث الثاني جاء فيمن يأتي بعدهم من الأمة . وكلهم يشتركون في كون أحدهم يدفع أهلَه وماله كلَّه في سبيل أن يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرةً واحدة ، ثم لا يراه بعدها أبداً ،...

فإذا كان هذا المحبُّ يدفع ذلك كلّه في رؤية واحدة فكيف يكون حرصه على مجالسته على الدوام ؟ كيف يكون دفاعه واستماتته فيما لو تعرَّض صلى الله عليه وآله وسلم لسخرية أو استهزاء أو قتل ؟؟؟

١١ـ لقد أخبرنا الله تعالى بتفضيل بني آدم فقال جل وعز : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2].

وأنه تعالى يصطفي الرسلَ من البشر ، فقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3].

وأنه تعالى فضّل الأنبياء عليهم السلام ـ الذين اصطفاهم ـ على سائر البشر ، فقال تعالى ـ بعد ذكره لثمانية عشر نبيّاً ـ : ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب فيمن يود رؤية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأهله وماله ، رقم (١٢).

(٢) سورة الإسراء (٧٠).

(٣) سورة الحج (٧٥).

(٤) سورة الأنعام (٨٦).

وأنه تعالى يفاضل بين الأنبياء عليهم السلام ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1].

كما أنه تعالى يفاضل بين الرسل عليهم السلام ، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2].

ثم فضل نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الأنبياء والمرسلين .

وما امتاز به صلى الله عليه وآله وسلم عن سائر الأنبياء عليهم السلام ، من صفات الجمال والكمال ، في ذاته وصفاته ، فهو كثير جدّاً ، وقد كنت تتبعت ذلك في كتاب الله تعالى وفي سنة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فزادت على الثلاثمائة خصلة ، لا يشاركه في واحدة منها أحد[3].

ولو نظرنا إلى حال الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم مع نبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لرأينا العجب ، إنهم يحرصون ألا تقع شعرةٌ من شعراته صلى الله عليه وآله وسلم الكريمة على الأرض[4] ، ولا

---

(١) سورة الإسراء (٥٥).

(٢) سورة البقرة (٢٥٣).

(٣) انظر : الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلم عن سائر الأنبياء عليهم السلام ، وعظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلم ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، والأمانة العظمى ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، ومكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام ، وفضائل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن العظيم ، وغيرها .

(٤) انظر : صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب قرب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم من الناس وتبركهم به ، رقم (٧٥).

تقع قطرةُ ماء توضأ بها ومست جسده الشريف أن تقع على الأرض[1] ، بل كانوا يرون غزوَ بني الأصفر- الروم - أدنى بكثير من انشغال ذهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قضية في بيته[2] ، ثم تبين بطلانها ،...إلخ.

وقد توسعت في بيان حال الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في (الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الجذع إلى ثوبان) وفي غيره ، وذكرت مظاهر حالهم رضي الله تعالى عنهم معه صلى الله عليه وآله وسلم ، ابتداء من تبركهم بآثاره ، وانتهاء بالاستماتة في الدفاع عنه ونصرته صلى الله عليه وآله وسلم .

إن وجوب تقديم محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على محبة جميع المخلوقات ، ووجوب تقديم نفسه الشريفة على نفوسهم ، ووجوب تقديم هواه ورغباته على هواهم ورغباتهم ، ووجوب توقيره وتعظيمه وتعزيره ،... وكل ما مر وما لم أذكره ، كلُّ ذلك يقتضي الاستماتةَ في الدفاع عنه ، وعدم وصول العدو إليه ، أو الإساءة إليه ، وتقديم النفس والنفيس ، والغالي والرخيص ، والأهل والمال والولد ،... في سبيل المحافظة عليه ، وسلامته ،...إلخ، والله تعالى أعلم .

* * * * *

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة في الثوب الأحمر ، وفي غيرهما ، كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ،... وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب سترة المصلي ، رقم (٢٤٩ - ٢٥١).

(٢) انظر : صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ، رقم (٣١ ، ٣٤).

فصل

محبته ﷺ وتوقيره وتعظيمه

لقد ضرب الصحابة رضي الله تعالى عنهم أروعَ الأمثلة في محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتوقيره ، واحترامه ، وتعظيمه ، وتبجيله ، وامتثال أمره ، والنصح له ، والتفاني في خدمته ، وموالاة من والاه ، ومعاداة من عاداه ، حتى لو كان أحبَّ وأعز الناس إليهم ، امتثالاً لأمر الله تعالى ، وأمرِ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ولِما افرد به صلى الله عليه وآله وسلم من صفات الجمال والكمال في ذاته وصفاته ، ثم لحقِّه على الأُمة .

ولا يسعني ذكر أدلة ذلك ، وقد توسّعت في بيان ذلك في (الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الجذع إلى ثوبان) لذا سأذكر مختصراً صغيراً أذكر فيه بعضَ النصوص في التدليل على مدى محبتهم رضي الله تعالى عنهم وتوقيرهم وتعظيمهم لحبيبهم ومصطفاهم صلى الله عليه وآله وسلم ، تكون نبراساً لنا معشر المسلمين المتأخرين ، لعلنا نقتفي أثرهم ، ونتبع آثارهم ، وإن كنا لن نصل إلى أحوالهم ، ولكن من باب :

إن لم تكونوا مثلهم فتشبّهوا إن التشبه بالكرام فلاح

فعن المسور بن مخرمة ومروان ـ يصدِّق كلُّ واحد منهما حديثَ صاحبه ـ قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زمن الحُدَيْبِيَة ،... الحديث بطوله ، وفيه :

* فقال عروة بنُ مسعود : أي محمد ؛ أرأيتَ إن استأصلتَ أمرَ قومك ، هل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أهلَه قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فإني ـ والله ـ لا أرى وجوهاً ، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك . فقال له أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ : امصُص بَظْرَ اللات ، أنحن نفر عنه وندعه ؟! فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده ، لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك .

* قال : وجعل يكلم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فكلما تكلّم كلمةً أخذ بلحيته [أي : أخذ بلحية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما هي عادتهم] والمغيرةُ بنُ شعبة [وهو ابنُ أخي عروة بن مسعود] قائم على رأس النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ومعه السيف ، وعليه المِغفَر ، فكلما أهوى عروةُ بيده إلى لحية النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ضرب يدَه بنعل السيف ، وقال له : أخِّر يدَك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فرفع عروةُ رأسَه ، فقال : من هذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، فقال : أي غُدَر ، ألستُ أسعى في غدرتك ...

* ثم إن عروة جعل يرمق أصحابَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بعينيه . قال : فوالله ما تنخّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهَه وجلدَه ، وإذا أمرهم ابتدروا أمرَه ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ؛ والله لقد وفدتُ على الملوك ، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت مليكاً يعظِّمه أصحابه

ما يعظِّم أصحابُ محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ محمداً ،... ثم ذكر لهم ما رآه . رواه البخاري[1].

في هذا الحديث أمور كثيرة فيها بيان تفاني الصحابة رضي الله تعالى عنهم في محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ـ حيث ردّ أبو بكر رضي الله تعالى عنه على عروةَ دعواه انهزام الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وما درى أن مودّة الإسلام أقوى من مودّة القرابة .

ـ وضرب المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه يدَ عمِّه عروة بن مسعود ـ مع أنه عمُّه ـ إذا مدَّها إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، مع أنها كانت عادةً موجودة لهم .

ـ ثم ملاحظة عروة بن مسعود من تعظيم الصحابة رضي الله تعالى عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتبركهم به ، وإجلالهم له صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا كله صادر عن محبة وتعظيم لا يُدانى ـ والله تعالى أعلم ـ مثل التبرك بنخامته ، والاقتتال على وَضوئه ، وخفض الصوت بحضرته صلى الله عليه وآله وسلم ، وعدم حد النظر إليه صلى الله عليه وآله وسلم تعظيماً له .

وقد جاءت نصوص كثيرة في كل ذلك .

* وعن أبي جُحيفة رضي الله تعالى عنه قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم في قُبّة حمراء من أدم ، ورأيتُ بلالاً أخذ وَضوءَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورأيتُ الناسَ يبتدرون ذاك الوَضوءَ ، فمن

(١) صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط .

أصاب منه شيئاً تمسَّح به ، ومن لم يُصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه ،... الحديث ، متفق عليه[1]. وله طرق وروايات متعددة .

وهذا باب واسع ، والأحاديث فيه كثيرة جدّاً ، ويكفي ما ذكرته .

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن أبي شيبة ، والترمذي وصححه ، والبخاري في الأدب المفرد ، في آخرين[2].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال : لقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحلّاقُ يحلقه ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرةٌ إلا في يد رجل . رواه مسلم[3].

فما الذي حملهم على هذا ؟ إنه الحبُّ المتناهي .

* وعن جابر رضي الله تعالى عنه ـ في قصة وفاء دَين أبيه رضي الله تعالى عنه ، وفيه قوله : والله إن مجلس بني سلمة لينظرون إليه [أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] هو أحبُّ إليهم من عيونهم ، ما يقربه رجلٌ منهم

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة في الثوب الأحمر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب سترة المصلي ، رقم (٢٤٩ ـ ٢٥١).

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٣٢ ، ٢٥٠ ـ ٢٥١) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٨٦) وسنن الترمذي : كتاب الأدب : باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، رقم (٢٧٥٤) والشمائل له (٢٧٦ رقم ٣٣٦) والأدب المفرد (٣١٦) وشرح السنة (١٢ : ٢٩٤) والشمائل له (١ : ٣٠٢) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤١٧ ـ ٤١٨) وأخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (٦٣) وشعب الإيمان (٦ : ٤٦٩).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب قرب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الناس وتبركهم به ، رقم (٧٥).

مخافة أن يؤذوه . رواه الدارمي وأحمد والحاكم برجال الصحيح ، وحسنه الحافظ[1].

* وعن عَمْرِو بنِ العاص رضي الله تعالى عنه قال : ... وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا أجلَّ في عيني منه ، وما كنتُ أطيق أن أملأ عينيَّ منه ، إجلالاً له ، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقتُ ، لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه ،... الحديث ، رواه مسلم[2].

وليس هذا شأن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ، بل هو شأن عامة الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم .

* ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : فداؤهم له بآبائهم وأمهاتهم وأنفسهم ، ودفاعهم عنه ، والحيلولة دون وصول الأذى إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنهم يستهينون بكل غالٍ في سبيل إسعاده وهناءته صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا باب واسع جدّاً ، ذكرت جملة صالحة في (الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...) ويأتي بعضُه في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى .

* ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : أن إذا قدموا من سفر بدؤوا به صلى الله عليه وآله وسلم ، فنظروا إليه ، وسلَّموا عليه قبل أن يذهبوا إلى بيوتهم .

---

(١) سنن الدارمي (١ : ٢٨ ـ ٢٩) ومسند أحمد (٣ : ٣٩٧ ـ ٣٩٨) والمستدرك (٤ : ١١٠ ـ ١١١ ولم يكمله) ومجمع الزوائد (٤ : ١٣٥ـ ١٣٦) وفتح الباري (٧ : ٣٩٨).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ، رقم (١٩٢).

فعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً ، واستعمل عليهم عليَّ بنَ أبي طالب ،... الحديث ، وفيه : وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدؤوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فسلَّموا عليه ، ثم انصرفوا إلى رحالهم ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن أبي شيبة والطيالسي ، والترمذي وحسنه ، والنسائي ، وابن حبان والحاكم وصححاه ، في آخرين[1].

* ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : تكريمهم ما مس يده صلى الله عليه وآله وسلم ، أو فمه ، أو أي عضو من أعضائه .

فعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال : ما تغنَّيتُ ، ولا تمنَّيتُ ، ولا مسستُ ذكري بيميني منذ بايعتُ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . رواه ابن ماجه وابن أبي عمر[2].

وعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما قال : ما مسست فرجي بيميني منذ بايعتُ بها رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم . رواه أحمد وابن

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٤٣٧ ـ ٤٣٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٧٩ ـ ٨٠) ومسند الطيالسي (١١١ رقم ٨٢٩) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، رقم (٣٧١٢) وخصائص علي رضي الله تعالى عنه (رقم ٨٩) ومسند أبي يعلى (١ : ٢٩٣) والمعجم الكبير (١٨ : ١٢٨ ـ ١٢٩) ومسند الروياني (١ : ١٢٤ ـ ١٢٥) وحلية الأولياء (٦ : ٢٩٤) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٣٧٣ ـ ٣٧٤) والمستدرك (٣ : ١١٠ ـ ١١١) في آخرين .

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب الطهارة : باب كراهة مس الذكر باليمين ، رقم (٣١١) ومصباح الزجاجة (١ : ٤٥).

سعد ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي[1].

وعن كبشة رضي الله تعالى عنها ، أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها ، فشرب من فمِ القِربة ـ وهو قائمٌ ـ فقامت إليه فقطعته ، فأمسكته ـ زاد في رواية : تبتغي بركةَ موضع فِي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ رواه الحُميدي وأحمد وابن ماجه ـ وصححه الترمذي وابن حبان[2].

وقد ورد مثله من حديث غيرها أيضاً[3].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[4]: قَطعُها لفم القِربة فعَلَتْه لوجهين :

ـ أحدهما : أن تصون موضعاً أصابه فمُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يُبتذل ، ويمسّه كلُّ أحد .

ـ والثاني : أن تحفظه للتبرك به ، والاستشفاء ، والله تعالى أعلم.اهـ.

قلت : ولا يبعد الأمران . فالأول واضح ، ولذا ذكرت الحديثَ هنا ،

(١) مسند أحمد (٤ : ٤٣٩) والزهد له (١٤٩) والطبقات الكبرى (٤ : ٢٨٧) والمعجم الكبير (١٨ : ١٠٤ ، ٢٠٣) والمستدرك (٣ : ٤٧٢) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٨١).

(٢) مسند الحميدي (١ : ١٧٢) ومسند أحمد (٦ : ٤٣٤) وسنن الترمذي : كتاب الأشربة : باب ما جاء في الرخصة في ذلك ، رقم (١٨٩٢) والشمائل المحمدية (٣٤٦ـ٣٤٧ رقم٢١٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الأشربة : باب الشرب قائماً ، رقم (٣٤٢٣) وصحيح ابن حبان (١٢ : ١٣٨ ـ ١٣٩) والمعجم الكبير (٢٥ : ١٥) ومسند الشاميين (١رقم ٦٣٩) وشرح السنة (١١ : ٣٧٨ـ٣٧٩).

(٣) رواه أحمد والدارمي والترمذي في الشمائل والبغوي أبو الشيخ في أخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في آخرين ، من حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، وأن الذي قطع فمَ القربة : أمُّ سُليم رضي الله تعالى عنها . من طرق هو بها حسن .

(٤) شرح صحيح مسلم (١٣ : ١٩٤).

والزيادة في رواية ابن ماجه والطبراني والبغوي ـ ومثله رواية أنس ـ تدل على الثاني ، والله تعالى أعلم .

* ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : محافظتهم على آثاره ـ وكانوا يتبرّكون بها ـ سواء في حياته أو بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهذا باب واسع جدّاً ، والنصوص في ذلك كثيرةٌ ، أكثر من أن تحصى ، لكني سأقتصر على بعض ما ورد في الصحيحين ، وتبركهم فيها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ـ عن عثمان بن عبد الله بن موهب رحمه الله تعالى قال : دخلتُ على أمِّ سلمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ فأخرجت إلينا شعراً من شعر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مخضوباً .

وفي لفظ قال : أرسلني أهلي إلى أمِّ سلمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ بقدحٍ من ماءٍ ـ وقبض إسرائيلُ ثلاث أصابع ـ من قُصة فيها شَعرٌ من شعر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم . وكان إذا أصاب الإنسانَ عينٌ أو شيءٌ بعث إليها مِخْضَبَه ، فاطَّلعتُ في الجلجل ، فرأيت فيه شعراتٍ حمر . رواه البخاري[1].

قلت : الذي يظهر أن في الرواية اختصاراً يوضحه رواية الحُميدي في الجمع بين الصحيحين[2]. ولفظه :

عن عثمان رحمه الله تعالى قال : أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء ، فجاءت بجلجل من فِضَّة ، فيه شعر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان

(١) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب ما يذكر في الشيب .

(٢) الجمع بين الصحيحين للحميدي (٤ : ٢٣٣) وانظر فتح الباري (١٠ : ٣٥٣).

إذا أصاب الإنسانَ عينٌ ،... ثم ذكر مثله .

فقوله (من فضة) : هو صفة للجلجل الذي فيه شعرات النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم .

ـ وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة الجونية ـ وفيه : فأقبل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يومئذٍ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه . ثم قال : « اسقِنا يا سهل » فأخرجتُ لهم هذا القدح ، فأسقيتُهم فيه .

[قال أبو حازم] : فأخرج لنا سهلٌ ذلك القدحَ ، فشربنا فيه ، قال : ثم استوهبه عُمرُ بنُ عبد العزيز بعد ذلك ، فوهبه له . متفق عليه[1].

ـ وعن عاصم الأحول قال : رأيت قدحَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم عند أنس بن مالك ـ وكان قد انصدع ، فسلْسله بفضة ، قال : وهو قدح جيِّدٌ عريضٌ من نُضّار ـ قال : قال أنس : لقد سقيت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا القدح أكثر من كذا وكذا ـ زاد في رواية : قال عاصم : وشربتُ فيه ـ.

قال ابن سيرين : إنه كان فيه حلقة من حديد ، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقةً من ذهب أو فضة ، فقال له أبو طلحة : لا تُغيِّرنَّ شيئاً صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فتركه . رواه البخاري

وفي رواية لمسلم[2]: عن أنس قال : سقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري : كتاب الأشربة : باب الشرب من قدح النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وآنيته . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد ولم يصر مسكراً ، رقم (٨٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب ما ذُكر من درع النبيِّ صلى الله عليه وآله =

وآله وسلم بقدحي هذا الشرابَ كلّه ؛ العسلَ والنبيذَ والماءَ واللبنَ .

وذكر القرطبي ـ في مختصر البخاري ـ أنه رأى في بعض النسخ القديمة من صحيح البخاري : قال أبو عبد الله البخاري : رأيتُ هذا القدحَ بالبصرة وشربت منه ، وكان اشتُري من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف.اهـ من الفتح[1].

ـ وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنهما قال : قدمتُ المدينة ، فلقيني عبدُ الله بن سَلام فقال لي : انطلق إلى المنزل ، فأسقيك في قدحٍ شرب فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتصلي في مسجدٍ صلّى فيه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فانطلقتُ معه ، فأسقاني سويقاً ، وأطعمني تمراً ، وصلّيتُ في مسجده .

وفي رواية : ألا تجيء فأطعمك سويقاً وتمراً ، وتدخل في بيتٍ ؟ ،... رواه البخاري[2].

ووجه تعظيم البيت : أن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم دخل فيه ، أو صلّى فيه ، لذا سمّاه مسجداً ، والله تعالى أعلم .

= وسلم وعصاه وسيفه وخاتمه ، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يُذكر قسمته ، ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته ، وكتاب الأشربة : باب الشرب من قدح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وآنيته . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : الباب السابق ، رقم (٨٩).

(١) فتح الباري (١٠ : ١٠٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب ما ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وحض على اتفاق أهل العلم ، وكتاب مناقب الأنصار : باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه .

ـ وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال : جاءت امرأةٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ببردة ... فقالت : يا رسول الله ؛ أكسوك هذه ، فأخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم محتاجاً إليها ، فلبسها ، فرآها عليه رجلٌ من الصحابة ، فقال : يا رسول الله ؛ ما أحسن هذه ، فاكسنيها . فقال : « نعم » فلما قام النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ، لامَه أصحابُه ، فقالوا : ما أحسنتَ حين رأيتَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أخذها محتاجاً إليها ، ثم سألتَه إياها ، وقد عرفتَ أنه لا يُسألُ شيئاً فيَمنَعُه . فقال : رجوتُ بركتَها حين لبسها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ، لعلّي أُكفَّنُ فيها . رواه البخاري[1].

ـ ويقال : إن الرجل الذي سألها هو عبد الرحمن بن عوف ، وقيل : هو سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهما ، والله تعالى أعلم[2].

ـ وعن عيسى بن طَهمان رحمه الله تعالى قال : أخرج إلينا أنس نعلين جرداوَين لهما قِبالان ، فحدَّثني ثابت البُناني بعدُ عن أنسٍ ؛ أنهما نعلا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم . رواه البخاري[3].

وعن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنهما قالت ـ في معرض جوابها على عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما ـ : هذه جبَّةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخرجت إليَّ جبةَ طيالسةٍ كِسروانِيَّةً ، لها لِبنةُ ديباجٍ ، وفَرجَيْها مكفوفَيْن بالدّيباج . فقالت : هذه كانت عند

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ، وفي غيرهما

(٢) انظر : فتح الباري (٣ : ١٤٣ ـ ١٤٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب ما ذُكر من درع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه ،... وفي غيرهما .

عائشة حتى قُبضت ، فلما قُبضت قبضتُها . وكان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يلبسها ، فنحن نغسلُها للمرضى يُستشفى بها . رواه مسلم[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة بيع جمله وهم متوجهون إلى تبوك ، وفيه : فلما قدمنا المدينة قال صلى الله عليه وآله وسلم : « يا بلال ، اقضه حقَّه وزده » فأعطاه أربعةَ دنانير ، وزاده قيراطاً . قال جابر : لا تفارقني زيادةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يكن القيراط يفارق جِراب جابر بن عبد الله . متفق عليه[2].

زاد مسلم في رواية : فأخذه أهلُ الشام يومَ الحرة .

والنصوص في محافظة الصحابة رضي الله تعالى عنهم على الآثار النبوية كثيرة جدّاً ، لكني اقتصرت على بعض ما في الصحيحين للاختصار ، وإلّا ففي السنن كثير جدّاً . والله تعالى هو الحافظ والمعين .

* ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : عدم ابتدائهم بالأكل قبله صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : كنا إذا حضرنا مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم طعاماً لم نضع أيدينا ، حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيضع يده ،... الحديث بطوله في قصة الجارية

(١) صحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة : باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ،... رقم (١٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوكالة : باب إذا وكّل رجلٌ رجلاً أن يُعطي شيئاً ولم يبين له كم يعطي ، فأعطى على ما تعارفه الناس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب بيع البعير واستثناء ركوبه ، رقم (١٠٩ ـ ١١٧).

والأعرابي ، واستحلال الشيطان للطعام الذي لا يُذكر اسمُ الله عليه . رواه مسلم[1].

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كنا إذا أكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طعاماً؛ لا نبدأ حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو يبدأ . رواه أحمد ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي[2]. وسيأتي في بحث الحيوان مطوّلاً .

وورد نحوه من حديث رجل من الأنصار رضي الله تعالى عنه عند أحمد والطحاوي والبيهقي والدارقطني بأسانيد صحيحة ، وسيأتي أيضاً .

* ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : أنهم لا يصبرون عن البعد عنه ، بل إن أحدهم إذا لم يره صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم يخرج يبحث عنه حتى يراه ، بل بلغ ببعضهم حين سأله صلى الله عليه وآله وسلم هل له حاجة لم يسأل إلا قربَه صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة ، والنصوص في ذلك كثيرة .

أقتصر على ذكر بعضها .

ـ فعن جَبَلة بن حارثة ـ أخي زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما ـ قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : يا رسول الله ؛ ابعث معي أخي زيداً . قال : « هو ذا ، قال : فإن انطلق معك لم أمنعه » قال زيد : يا رسول الله ؛ لا أختار عليك أحداً .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، رقم (١٠٢).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٥١ ، ٣٦٥) والمستدرك (٤ : ١٠٩ ، ٢٣٤ ـ ٢٣٥) ومسند أبي يعلى (٤ : ٩١) وأخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (٢٠٨) والشمائل للبغوي (٢ : ٦١٠).

قال : فرأيتُ رأْيَ أخي أفضلَ من رأيي . رواه الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، ورواه آخرون[1].

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ؛ والله إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي ، وإنك لأحبُّ إليَ من أهلي ، ومالي ، وأحبُّ إليَّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت ، فأذكرك ، فما أصبر حتى آتيك ، فأنظرُ إليك . فإذا ذكرتُ موتي وموتَك ، عرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنةَ رُفعتَ مع النبيِّين ، وإنّي إذا دخلتُ الجنة : خشيتُ أن لا أراك . فلم يردَّ عليه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ، حتى نزل جبريلُ عليه السلامُ بهذه الآية ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾[2]. الآية . رواه الطبراني بإسناد صحيح ، ونقل السيوطي عن الضياء تحسينه[3].

وورد نحوه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، كما ورد عن عدد من التابعين مرسلاً ، فالحديث صحيح بطرقه[4].

---

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه ، رقم (٣٨١٥) والتاريخ الكبير (٢ : ٢١٧ ـ ٢١٨) والمعجم الكبير (٢ : ٣٢١ ـ ٣٢٢) والمستدرك (٣ : ٢١٤) ومعجم الصحابة لابن قانع (١ : ١٦١ ـ ١٦٢) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢ : ٥٨٧) والإصابة (١ : ٤٥٦) وعزاه لأبي يعلى ، وكنز العمال (١٣ : ٣٩٧).

(٢) سورة النساء (٦٨).

(٣) المعجم الأوسط (١ : ١٥٢ ـ ١٥٣) والمعجم الصغير (١ : ٥٣ ـ ٥٤) ومجمع البحرين (٦ : ١٦) ومجمع الزوائد (٧ : ٧) وقال : رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة . والدر المنثور (٢ : ٥٨٨) وعزاه لأبي نعيم ، وحسنه الضياء في صفة الجنة .

(٤) انظر : المعجم الكبير (١٢ : ٨٦ ـ ٨٧) ومجمع الزوائد (٧ : ٦ ـ ٧) والدر المنثور (٢ : =

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ أبيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتيتُه بوَضوئه وحاجته ، فقال لي : « سل » فقلتُ : أسألك مرافقَتَك في الجنة . قال : « أو غيرَ ذلك ؟ » قلتُ : هو ذاك . قال : « فأعنّي على نفسك بكثرة السجود ». رواه مسلم[1].

وهذا ما كان من دعاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه .

مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بعبد الله بنِ مسعود رضي الله تعالى عنه ـ وهو يدعو ـ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « سل تعطه » فكان من دعائه رضي الله تعالى عنه الذي لا يتركه : اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ، ونعيماً لا ينفد ، ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى جنة الخلد . كما رواه الكثيرون ، وهو حديث صحيح .

* بل إن من مظاهر محبة النساء وتوقيرهن وتعظيمهن رضي الله تعالى عنهن له صلى الله عليه وآله وسلم : أن إذا أبطأ أولادُهن عن رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعاتبونهم ويؤنّبونهم .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : سألتني أمي : متى عهدُك ؟ ـ تعني بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقلت : مالي به عهدٌ منذ كذا وكذا . فنالت مني [وسبّتني] فقلت لها : دعيني آتي رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأصلي معه المغربَ ، وأسأله أن يستغفر لي ولكِ ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد ، والترمذي وحسّنه ، والنسائي ، وصححه

= ٥٨٨ ـ ٥٩٠).

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب فضل السجود والحث عليه ، رقم (٢٢٦).

ابن حبان[1].

* ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : أن أحدَهم لا يرضى أن يعلو بيتاً ، يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ، أي لا يرضى أحدُهم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الدور الأرضي ، وهو في الدور الذي هو أعلى منه .

فعن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم نزل عليه ، فنزل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في السّفل وأبو أيوب في العلو . قال : فانتبه أبو أيوب ليلةً ، فقال : نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! فتنحّوا ، فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم . فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « السّفلُ أرفق » فقال : لا أعلو سقيفةً أنت تحتها . فتحوَّل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في العلو ، وأبو أيوب في السّفل .

فكان يصنع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم طعاماً ، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه ، فيتتبَّع موضعَ أصابعه ، فصنع له طعاماً فيه ثوم . فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم . فقيل له : لم يأكل . ففزع ، وصعد إليه ، فقال : أحرامٌ هو؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم « لا ، ولكني أكرهه » قال :فإني أكره ما تكره ـ أو ما كرهتَ ـ

(١) مسند أحمد (٥ : ٣٩١ ـ ٣٩٢) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما ، رقم (٣٧٨١) والسنن الكبرى (٥ : ٨٠ ـ ٨١ ، ٩٥ رقم ٨٢٩٨ ، ٨٣٦٥) وفضائل الصحابة له (١٧٢ ، ٢٠٠) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٦٨ ـ ٦٩).

قال : وكان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يُؤتى . رواه مسلم[1].

ففي الحديث أمور مهمة دالة على مدى المحبة والتوقير ، من إبائه أن يبقى في الدور الأعلى ، ومبيته في جانب الغرفة حتى الصباح ، ومن تبركه بآثار أصابع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتركه الثوم وكراهته له بعد أن علم كراهة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم له .

* ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : تعظيم أجزائه وأدواته حتى لا يمسها مشرك .

ـ كما فعل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه بقلنسوته لما سقطت من فوق رأسه ، وكيف غامر وألقى نفسه بين العدو ، حتى لا تطأها قدمُ كافر ، لأن فيها شعرات من ناصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

ـ وكيف فعلت أمُّ حبيبة رضي الله تعالى عنها مع أبيها أبي سفيان عندما دخل عليها ـ قبل إسلامه ـ وطوت فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لا يجلس عليه ، لأنه كافر. كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه ،... رقم (١٧١).

(٢) انظر : المعجم الكبير (٤ : ١٢٢) ومسند أبي يعلى (٦ : ٣٥٩) والمستدرك (٣ : ٢٩٩) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٥٧٣) وللبيهقي (٦ : ٢٤٩) وإتحاف الخيرة المهرة (٩ : ١١١ ، ٣٦١) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٥٢) والمطالب العالية (٤ : ٩٠) والإصابة (٢ : ٢٥٣ ـ ٢٥٤) وفتح الباري (٧ : ١٠١) وسير أعلام النبلاء (١ : ٣٧٥) وصححه البوصيري والحافظ الهيثمي .

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٤ : ٥٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٨) وهو عند غيرهما .

ـ وكيف فعل أبو دجانة رضي الله تعالى عنه بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يقتل به هنداً زوج أبي سفيان عندما ولولت وعرف أنها امرأة ، إكراماً لسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقتل به امرأة . كما في حديث الزبير بن العوّام رضي الله تعالى عنه ، عند البزار والحاكم وصححه والبيهقي[1].

* ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : أن يستمروا على ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تركهم عليه ، أو نحو ذلك . وقد ذكرت في (نشأة علوم الحديث) نماذج كثيرة في ذلك.

ـ فعن عبد الله بن عَمرو رضي الله تعالى عنهما قال : أَنْكَحَني أبي امرأةً ذاتَ حَسَب ، فكان يتعاهد كَنَّتَه ، فيسألها عن بعلها ، فتقول : نِعم الرجلُ من رجل ، لم يطأ لنا فراشاً ، ولم يفتِّش لنا كَنَفَاً منذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ؛ ذكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « الْقَني به » فلقيته بعدُ ، فقال : « كيف تصوم ؟ » قلت : أصوم كلَّ يوم ، قال : « وكيف تختم ؟ » قلت : كلَّ ليلة ، قال : « صُم في كل شهر ثلاثةً ، واقرأ القرآن في كل شهر » قال : قلت : أُطيق أكثر من ذلك ، قال : « صُم ثلاثةَ أيام في الجمعة » قال : قلت : أُطيق أكثر من ذلك ، قال : « أفطر يومين وصُم يوماً » قال : قلت : أُطيق أكثر من ذلك ، قال : « صُم أفضل الصوم ؛ صوم داود ؛ صيام يومٍ

(١) البحر الزخار (٣ : ١٩٣ـ ١٩٤) وكشف الأستار (٢ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣) والمستدرك (٣ : ٢٣٠ ـ ٢٣١) وأقره الذهبي ، ودلائل النبوة (٣ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣) ومجمع الزوائد (٦ : ١٠٩) وقال : رجاله ثقات .

وإفطار يومٍ ، واقرأ في كل سبع ليالٍ مرةً ».

فليتنيٍ قبلتُ رخصةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذاك أني كبرت وضعفت .

فكان عبد الله يقرأ على بعض أهله السُّبعَ من القرآن بالنهار ، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخفَّ عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى ، وصام مثلهن ، كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي لفظ لمسلم : فلما كبرتُ وددت أني كنت قبلتُ رخصةَ نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي لفظ لأحمد ـ وبنحوه عند ابن خزيمة ـ[2]: لأن أكون قبلتُ رخصةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحبّ إلي مما عُدل به أو عَدَل ، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره.اهـ.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[3]: معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظَّفه على نفسه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فشق عليه فعله [لعجزه] ولا يمكنه تركه ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « يا عبد الله ؛ لا تكن مثل فلان ، كان يقوم الليل فترك قيامَ الليل ».اهـ.

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب في كم يقرأ القرآن ، وكتاب الصوم : باب حق الجسم في الصوم . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ،... رقم (١٨١ ـ ١٨٢).

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٥٨) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٣) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٨ : ٤٣).

فلم يعجبه رضي الله تعالى عنه أن يتركه لالتزامه له ، فتمنى أن لو قَبِل الرخصة ، فأخذ بالأخف .

ومع عجزه رضي الله تعالى عنه وتمنيه بالأخذ بالرخصة ؛ لم يترك العمل بما التزمه أمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف ، كما قال الحافظ رحمه الله تعالى[1]. والنصوص في هذا كثيرة ، يأتي بعضها في الفصل التالي إن شاء الله تعالى .

مثل : عدم سؤالهم شيئاً لأنهم بايعوه صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك ، حتى قال الراوي : فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم ، فما يسألُ أحداً يناوله إياه .

ووصايته صلى الله عليه وآله وسلم لبعضهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وبصلاة الضحى ، والتسبيح عند النوم ، والوتر قبل النوم ، وأنهم ما تركوه . كما سيأتي .

ـ ومن ذلك إبقاء بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ناصيته ، فلم يجزها ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسّها . كما في قصة أبي محذورة رضي الله تعالى عنه[2].

ـ ومما يدخل في ذلك : إرسال أبي بكر رضي الله تعالى عنه جيشَ أسامة رضي الله تعالى عنه ، ورفضه حلّ لواءٍ عقده رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) فتح الباري (٤ : ٢٢٠).

(٢) انظر : مصنف عبد الرزاق (١ : ٤٥٧ ـ ٤٥٩) ومسند أحمد (٣ : ٤٠٨) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب كيف الأذان ، رقم (٥٠١) والمعجم الكبير (٧ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، ٢١٠ ـ ٢١١) وسنن الدارقطني (١ : ٢٣٥) والمستدرك (٣ : ٥١٤) والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ٣٩٣) وأصل الحديث رواه الكثيرون ، وسيأتي في الفصل الثالث .

وسلم[1].

ـ ومما يدخل في ذلك : اختيارُ أمهات المؤمنين اللهَ تعالى ورسولَه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلم والدارَ الآخرة ـ مع شظف العيش ، وقلة ذات اليد ـ عندما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . كما في حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها المتفق عليه ، وحديث جابر رضي الله تعالى عنه عند مسلم[2].

وغير ذلك كثير مما ذكرته في الكتاب المذكور .

* ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنه صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل عليهم رضي الله تعالى عنهم لم يرفعوا إليه رؤوسهم ، إعظاماً له صلى الله عليه وآله وسلم ، كما في حديث بُريدة رضي الله تعالى عنه عند الحاكم وصححه[3].

ـ وإذا جلسوا معه صلى الله عليه وآله وسلم كأن على رؤوسهم الطير ، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عند البخاري ، وحديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما عند أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وحديث أسامة بن شريك رضي الله تعالى عنه عند

(١) الطبقات الكبرى (٤ : ٦٦ ، ٦٧) ومختصر تاريخ دمشق (٤ : ٢٥١) وسير أعلام النبلاء (٢ : ٥٠٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأحزاب : باب ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ، رقم (٢٢ ـ ٢٩).

(٣) المستدرك (١ : ١٢٠ ـ ١٢١).

أحمد وأبي داود والطيالسي ، وصححه ابن حبان والحاكم ، في آخرين[1].

ـ وكانوا لا يرفعون أصواتهم عنده صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا رفع أحدٌ صوتَه عنده زجروه ، وأمروه بخفض صوته ، كما في حديث صفوان ابن عسّال رضي الله تعالى عنه ، وسيأتي ذكره في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى .

* ومن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : فرحهم بإسلام عمّه العباس رضي الله تعالى عنه أكثر من فرحهم بإسلام آبائهم . كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، رواه إسحٰق وغيره بإسناد صحيح[2].

* ومن محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تقديم قرابته وأهله رضي الله تعالى عنهم على أقربائهم وأهليهم ، وإن كانوا محتاجين .

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل النفقة في سبيل الله ، ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ١ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٨٨) (١٠ : ٣١٠) ومسند أحمد (٤ : ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥) ومسند الطيالسي (١٧١ رقم ١٢٣٢) وسنن أبي داود : كتاب الطب : باب في الرجل يتداوى ، رقم (٣٨٥٥) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب الوقوف للجنائز(٤ : ٧٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في الجلوس في المقابر ، رقم (١٥٤٩) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٣٦ـ ٢٣٧) والموارد (٤٧٥) والمستدرك (١ : ١٢٠ ، ١٢١) (٤ : ٣٩٩ ـ ٤٠٠) والمعجم الكبير (١ : ١٤٤ـ ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٢) والسنن الكبرى (٩ : ٣٤٣) والآداب (٤٥٠ رقم ٩٩٨) وشعب الإيمان (٢ : ٢٠٠) وغيرها .

(٢) سيرة ابن هشام (٤ : ٦٤) والمعجم الكبير (٨ : ١٠ـ ١٥) ودلائل النبوة (٥ : ٣٢ ـ ٣٥) المطالب العالية (٤ : ٤١٨ ـ ٤٢٠) وإتحاف الخيرة المهرة (٦ : ٤٨٣ ـ ٤٨٦) ومجمع الزوائد (٦ : ١٦٤ ـ ١٦٧) وصححه الحافظ ابن حجر والبوصيري ، وقال الهيثمي : برجال الصحيح .

فعن أبي بكر الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه قال : والذي نفسي بيده لقرابةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي .

وقال رضي الله تعالى عنه : ارقبوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته . رواهما البخاري[1].

قال الحافظ رحمه الله تعالى[2]: المراقبة للشيء : المحافظة عليه ، يقول : احفظوه فيهم ، فلا تؤذوهم ، ولا تسيؤوا إليهم.اهـ.

وقدَّم عُمر رضي الله تعالى عنه أسامةَ بن زيدٍ رضي الله تعالى عنهما في العطاء على ولده عبدِ الله رضي الله تعالى عنه ، لأن أسامة : الحِبُّ ابنُ الحِبِّ رضي الله تعالى عنهما ، رواه الترمذي وحسنه وابن سعد[3].

* ومن محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : أن أحدَهم يتمنّى أن يقطَّع أوصالاً بيد الأعداء ، ولا يصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشوكة ، وهو بين أهله وأصحابه ، حتى قال أبو سفيان : والله ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحبِّ أصحاب محمد محمداً . كما سيأتي في قصة خُبيب وزيد رضي الله تعالى عنهما .

* ومن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي غيرهما .

(٢) فتح الباري (٧ : ٧٩).

(٣) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه ، رقم (٣٨١٣) والطبقات الكبرى (٤ : ٧٠) ومختصر تاريخ دمشق (٤ : ٢٥٢) وتهذيب الكمال (٢ : ٣٤٤ـ ٣٤٥).

عليه وآله وسلم : قتلُ أحدهم أباه أو أخاه أو زوجه أو قريبه ... إذا كان عدوّاً لله تعالى ولرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما حصل مع أبي عُبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه حيث قتل أباه يوم بدر ، ومحاولة أبي بكر رضي الله تعالى عنه قتل ولده يوم بدر ، وطلب عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول قتل أبيه ، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم .

* ومن مظاهر محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قولهم عند الاحتضار : غداً ألقى الأحبة ؛ محمداً وحزبَه ، رضي الله تعالى عنهم .

* ومن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : أن كبارهم كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم كانوا إذا حدّثوه صلى الله عليه وآله وسلم حدّثوه كأخي السِّرار ، لم يُسمعوه حتى يستفهمهم ، كما عند البخاري لفعل عمر ، والحاكم لفعل أبي بكر رضي الله تعالى عنهما[1].

* ومن محبتهم وتوقيرهم له صلى الله عليه وآله وسلم : امتناع عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه عن الطواف بالبيت ـ عندما طلب منه كفارُ قريش ذلك ـ لأن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لم يطف به . وقال لهم : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

---

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الحجرات : باب قوله تعالى : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾، وفي غيرهما . والمستدرك (٢ : ٤٦٢) وانظر الدر المنثور (٧ : ٥٤٨) والمطالب العالية (٤ : ٢٢٠) لرواية أخرى .

(٢) انظر مسند أحمد (٤ : ٣٢٤ ـ ٣٢٥) وسيرة ابن هشام (٣ : ٤٣٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣) والطبقات الكبرى (٢ : ٩٧) وتاريخ الطبري (٢ : ٦٣١) وأغلبها صحيح .

* ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : ما حصل معهم يومَ وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، فمنهم من صُعق ، ومنهم من أُقعد ، ومنهم من ذهل ، ومنهم من كف بصره ،.... بل منهم من مات ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، حتى قام الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه ذلك المقام ، الذي حمده عليه الأولون والآخِرون .

* ومن فرط محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته : أن أحدَهم إذا ذكره بكى ، ويصعب عليه الكلام ، بل منهم من إذا مرّ بجوار داره صلى الله عليه وآله وسلم أشاح بوجهه ، لعدم صبرهم على الفراق .

ـ جاء من طرق كثيرة عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قام على المنبر ـ وفي رواية بجانب المنبر ـ فذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : قد علمتم ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكى ، ثم أعادها ثم بكى ، ثم أعادها ثم بكى ، ثم قال : إن الناس لم يُعطَوا في هذه الدنيا شيئاً أفضل من العفو والعافية ، فسلوهما الله عز وجل ، الحديث برواياته ، رواه أحمد والحُميدي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد ، والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في آخرين[1].

(١) مسند أحمد (١ : ٣ ـ ١١) ومسند الحميدي (١ : ٥ ـ ٦) ومسند الطيالسي (٣ رقم ٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠ : ٢٠٥) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب (١٠٦) رقم (٣٥٥٨) وعمل اليوم والليلة (رقم ٨٧٩ ـ ٨٨٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الدعاء : باب الدعاء بالعفو والعافية ، رقم (٣٨٤٩) والأدب المفرد (٢٤٤رقم ٧٢٥) ومسند أبي بكر للمروزي (٩٢ ـ ٩٥) ومسند أبي يعلى (١ : ٤٩ ، ٧٥ ـ ٧٧ ، ٨٦ ـ ٨٨ ، ١١٢ ، ١١٣) والبحر =

ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ـ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزورها . فلما انتهيا إليها بكت . فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خيرٌ لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم . فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن أبكي أن الوحيَ قد انقطع من السماء . فهيّجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها . رواه مسلم[1].

إنها رضي الله تعالى عنها كانت مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاضنته .

ـ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان لا يذكر النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم إلا بكى . رواه ابن سعد والدارمي[2].

والنصوص عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كثيرة جدّاً في شدة متابعته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، سواء في الأماكن أو اللباس أو تتبع الآثار ،... ولا يسعها مثل هذا المختصر .

ـ وعن عَمْرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال : كنتُ لا تفوتني عشيةَ خميس إلا آتي فيها عبدَ الله بنَ مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ فما سمعتُه يقول لشيء قط : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى كانت ذاتَ ليلة

= الزخار (١ : ٩٢ ، ١٤٦ ـ ١٤٨) والمستدرك (١ : ٥٢٩) وصحيح ابن حبان (٣ : ٢٣٠ـ ٢٣١ ، ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وشرح السنة (٥ : ١٧٨) ومجمع الزوائد (١٠ : ١٧٣).

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أم أيمن رضي الله تعالى عنها ، رقم (١٠٣).

(٢) الطبقات الكبرى (٤ : ١٦٨) وسنن الدارمي (١ : ٤٠) وسير أعلام النبلاء (٣ : ٢١٤).

فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال : فاغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجُه ، فأنا رأيتُه محلولةً أزرارُه ،... رواه الدارمي وابن ماجه بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم على شرطهما ، في آخرين[1].

* ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يرى أن موت زوجات النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات التي تستلزم السجود .

لما قيل له رضي الله تعالى عنهما ـ بعد صلاة الصبح ـ : ماتت فلانة ـ لبعض أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، سجد ، فقيل له : أتسجد هذه الساعة ؟ فقال : أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا رأيتم آية فاسجدوا » ؟ فأي آية أعظمُ من ذهاب أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ رواه أبو داود ، والترمذي والبغوي وحسّناه[2]. وسماها البغوي : صفية بنت حُيي رضي الله تعالى عنها .

---

(١) مسند أحمد (١ : ٤٥٢) ومسند الطيالسي (٤٣) وسنن الدارمي (١ : ٧٢) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب التوقي في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٢٣) والمستدرك (١ : ١١١) (٣ : ٣١٤) والمحدث الفاصل (٥٤٩ ـ ٥٥٠) والبحر الزخار (٥ : ٢٤٨ ـ ٢٤٩) والمعجم الكبير (٩ : ١٢٩ ـ ١٣٣ من طرق) ومسند الشاشي (٢ : ١٢٩ ـ ١٣١) والشفا (٢ : ٥٩٩ ـ ٦٠٠) وشرحه لملا علي القاري ، والإلماع (١٧٦ ـ ١٧٧) وجامع بيان العلم (١ : ٧٩) ومصباح الزجاجة (١ : ٧).

(٢) سنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب السجود عند الآيات ، رقم (١١٨٥) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٣٨٩١) وشرح السنة (٤ : ٣٩٧).

* ومن مظاهر محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : محبتهم ما كان يحبه ، وكراهتهم ما كان يكرهه ، وفعلهم ما كان يفعله . وأقتصر على نصين ؛ واحد في الحب ، وآخر في الكراهة .

ـ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن خيّاطاً دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لطعام صنعه . قال أنس بنُ مالك : فذهبتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك الطعام . فقرَّب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبزاً من شعير ومرقاً فيه دُبّاء وقَديد . قال أنس : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتتبّع الدُّبّاءَ من حوالي الصحفة . قال : فلم أزل أحبُّ الدُّبّاءَ منذ يومئذ . متفق عليه[1].

زاد في رواية لمسلم : قال أنس رضي الله تعالى عنه : فما صُنع لي طعامٌ بعدُ ـ أقدر على أن يُصنع فيه دُبّاء إلا صُنع .

جاء في رواية أبي الشيخ ـ برجال ثقات ـ قال: فأنا أحبُّ القرعَ لحُبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياه .

ـ وقد مر قولُ أبي أيوب رضي الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أخبره أنه لم يأكل من الطعام لوجود الثوم فيه ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم يكرهه . قال أبو أيوب : فإني أكره ما تكره ـ أو ما كرهتَ . رواه مسلم .

ـ وعن كريمة بنت همّام رحمها الله تعالى ، أن امرأةً أتت عائشةَ رضي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب الخياط ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين ، رقم (١٤٤ـ ١٤٥) وأخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (٢٣٠).

الله تعالى عنها فسألتها عن خضاب الحناء . فقالت : لا بأس به ، ولكني أكرهه . كان حبيبي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يكره ريحَه . رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي ، وسكت عنه أبو داود والمنذري رحمهما الله تعالى[1].

ـ وعن معاوية بن قرة ، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال : أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رهطٍ من مُزَيْنَة ، فبايعناه ، وإن قميصَه لمطلقُ الأزرار . قال : فبايعتُه ، ثم أدخلتُ يدي في جيب قميصه ، فمسستُ الخاتم .

قال عروة [بن عبد الله ، الراوي عن معاوية] : فما رأيتُ معاوية ولا ابنَه قط إلا مطلقي أزرارهما في شتاء ولا حر ، ولا يزرِّران أزرارَهما أبداً . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والطيالسي وابن أبي شيبة وابن الجعد وابن حبان في آخرين بسند صحيح[2].

ـ ولما سأل عُبيد بن جُريج رحمه الله تعالى عبدَ الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما عن مس الركنين ، ولبس النعال السبتية ، والصبغ بالصفرة ، والإهلال يوم التروية .

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٢١٠) وسنن أبي داود : كتاب الترجل : باب في الخضاب للنساء ، رقم (٤١٦٤) وسنن النسائي : كتاب الزينة : باب كراهية ريح الحناء (٨ : ١٤٢) وفي الكبرى (٥ : ٤١٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٦١ ـ ٦٢) (٧ : ٣١١ ـ ٣١٢) والآداب له (٣٨٠) ومختصر سنن أبي داود (٦ : ٨٦) وكريمة ، قال الحافظ عنها في التقريب : مقبول .

(٢) مسند أحمد (٣ : ٤٣٤) (٤ : ١٩) (٥ : ٣٥)ومسند ابن الجعد (٣٩٢ ـ ٣٩٣) ومسند الطيالسي (١٤٤رقم ١٠٧٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٣٨٥ ـ ٣٨٦) وسنن أبي داود : كتاب اللباس : باب حل الإزار ، رقم (٤٠٨٢) وسنن ابن ماجه : كتاب اللباس : باب حل الإزار ، رقم (٣٥٧٨) وشرح السنة (١٢ : ١٥) والشمائل المحمدية للترمذي (١٥٦ ـ ١٥٧ رقم ٥٨) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٢٦٦ ـ ٢٦٧) والمعجم الكبير (١٩ : ٢١ ـ ٢٢) وأخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (١٠٩).

قال عبدُ الله رضي الله تعالى عنه : أما الأركان ؛ فإني لم أر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمس إلا اليمانيين . وأما النعال السبتية ؛ فإني رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ، ويتوضأ فيها . فأنا أحب أن ألبسها . وأما الصفرة ، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصبغ بها . فأنا أحب أن أصبغ بها ،... الحديث ، متفق عليه[1].

* ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : المبالغةُ في توقيره وتعظيمه ، وفداؤهم له صلى الله عليه وآله وسلم ، والدفاعُ عنه ، ومحاولةُ قتل من يؤذيه ـ وقد قتل بعضُهم من آذاه وعاداه ـ والاستهانةُ بكل شيء في سبيل المحافظة عليه ،... وسيأتي بيان ذلك بنصوصه في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى .

* ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم : حفظُهم لسنته صلى الله عليه وآله وسلم ، ومحافظتُهم عليها ، والعملُ بها ، وتطبيقها ، والاعتماد عليها ، والإنكارُ على من خالفها ـ ولو كانت المخالفة يسيرة ـ والاستدلال لحجِّيَّتها ، والعمل على نشرها ، وعقد المجالس لتذكّرها ،.. وسيأتي بيان ذلك بنصوصه ، في الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

*** وإتماماً للفائدة أذكر بعض النصوص الدّالة على محبة التابعين**

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب غسل الرجلين في النعلين ولا يمسح على النعلين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الإهلال من حيث تنبعث الراحلة ، رقم (٢٥).

وأتباعهم رحمهم الله تعالى وتعظيمهم وتوقيرهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

* فمن مظاهر محبتهم رحمهم الله تعالى وتوقيرهم وتعظيمهم للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فكثير جدّاً ، أقتصر على ذكر بعضها .

* عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال : قلت لعَبيدةَ : عندنا من شعر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، أصبناه من قِبل أنس ـ أو مِن قِبل أهل أنس ـ فقال :لأَن تكون عندي منه أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها . رواه البخاري[1].

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى معلِّقاً على هذا النص[2]: **هذا القول من عَبيدة هو معيار كمال الحب ، وهو أن يُؤْثر شعرةً نبويةً على كلِّ ذهب وفضّةٍ بأيدي الناس .**

ومثلُ هذا يقوله هذا الإمامُ بعد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بخمسين سنة ، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعضَ شعره ـ بإسناد ثابت ـ أو شِسعَ نعلٍ كان له ، أو قُلامةَ ظُفر ، أو شقفةً من إناءٍ شرب فيه ؟ فلو بذل الغنيُّ معظمَ أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده ؛ أكنتَ تعدُّه مبذِّراً أو سفيهاً ؟ كلا...إلخ كلامه رحمه الله تعالى ، فانظره فإنه مهمٌّ ومفيد جدّاً .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان .

وعَبيدةُ : هو ابن عَمْرو السَّلْماني ، المرادي ، الكوفي ، تابعي كبيرٌ مخضرم ، أسلم في آخر حياة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره ، وهو فقيه ثبتٌ ، كان شُريح القاضي إذا أشكل عليه شيءٌ يسأله . مات قبل سنة سبعين من الهجرة على الصحيح . وهو من رجال الكتب الستة .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ : ٤٢ ـ ٤٣) وانظر الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة ، لوجود بعض القصص .

* عن الإمام مالك رحمه الله تعالى ـ وقد سُئل عن أيوب السختياني رحمه الله تعالى [وهو ثقة ثبت حجةٌ من كبار الفقهاء العُبّاد] قال : ما حدَّثتُكم عن أحدٍ إلا وأيوب أفضلُ منه .

قال : وحجَّ حجتين ، فكنتُ أرمقه ، ولا أسمع منه ، غير أنه كان إذا ذُكر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بكى حتى أرحمه . فلما رأيتُ منه ما رأيتُ ، وإجلالَه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كتبتُ عنه[1].

* وقال مصعب بنُ عبد الله رحمه الله تعالى : كان مالك ـ رحمه الله تعالى ـ إذا ذُكر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يتغيَّر لونُه ، وينتحب حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقيل له يوماً في ذلك ؟ فقال : لو رأيتم ما رأيتُ لما أنكرتم عليَّ ما ترون .

ـ قال : لقد كنت أرى محمد بنَ المنكدر [وهو ثقة فاضل من أفاضل التابعين في المدينة] وكان سيدَ القرّاء ، لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا بكى حتى نرحمَه .

ـ ولقد كنتُ أرى جعفرَ بن محمد الصادق [الفقيه الإمام رحمه الله تعالى] ـ وكان كثيرَ الدعابة والتبسم ـ فإذا ذُكر عنده النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ؛ اصفرَّ ، وما رأيتُه يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا عن طهارة ....

ـ ولقد كان عبدُ الرحمن بنُ القاسم [بن محمد بن أبي بكر الصِّدّيق ، وهو ثقة جليل ورِعٌ ، قال عنه ابنُ عيينة : كان أفضلَ أهل زمانه] يذكر

(١) الشفا (٢ : ٥٩٦ ـ ٥٩٧) وشعب الإيمان (٢ : ٢٠٦) وحلية الأولياء (٣ : ٤) وسير أعلام النبلاء (٦ : ١٧).

النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فيُنظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم ، وقد جفّ لسانه في فمه ، هيبةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ـ ولقد كنت أتي عامرَ بنَ عبد الله بن الزبير [الثقة العابد الكبير القدر] فإذا ذُكر عنده النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بكى ، حتى لا يبقى في عينيه دمع .

ـ ولقد رأيت الزهري [محمد بن مسلم بن شهاب القرشي ؛ الفقيه الحافظ ، المتفق على جلالته وإتقانه ، وهو إمامُ أهل الحجاز والشام]ـ وكان من أهنأ الناس وأقربهم ـ فإذا ذُكر عنده النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفتَه .

ـ ولقد كنتُ آتي صفوانَ بن سُلَيم [ثقة مفتٍ] وكان من المتعبدين المجتهدين ، فإذا ذُكر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بكى ، فلا يزال يبكي ، حتى يقوم الناسُ عنه ويتركوه ....

ـ ورُوي عن قتادة رحمه الله تعالى أنه كان إذا سمع الحديثَ أخذه العويلُ الزويل.اهـ[1].

* ومن تعظيمهم وتوقيرهم رحمهم الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عدم تحديثهم إلّا على وضوء ، وعدم تحديثهم وهم يمشون ، أو وهم قيام ، ويرون أن رفع الصوت عند التحديث كرفعه فوق صوت النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهو حي ،...إلخ. وأذكر بعضَ النماذج .

---

(١) الشفا (٢ : ٥٩٧ ـ ٥٩٨) وانظر تراجم هؤلاء الأعلام رحمهم الله تعالى في سير أعلام النبلاء (٥ : ٢١٩ ، ٣٢٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٤) (٦ : ٥ ، ٢٥٥).

ـ قال ضرار بنُ مُرّة الشيباني الكوفيُّ الثقة الثبتُ رحمه الله تعالى : كانوا يكرهون أن يحدِّثوا بحديثٍ على غير وضوء .

وجاء نحوه عن قتادة رحمه الله تعالى[1] وكان يستحب ألّا تُقرأ أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلّا على وضوء ، ولا يحدِّث إلا على طهارة ، وحكى ذلك عن جعفر بن محمد .

ـ قلت : وضرار رحمه الله تعالى تُوفِّي سنة (١٣٢هـ) وقتادة هو ابن دعامة السدوسي ، رحمه الله تعالى تُوفِّي سنة (مائة وبضعة عشر) وهما ينقلان عمن سبقهما من أئمة السلف أنهم كانوا يكرهون التحديث على غير وضوء .

ـ وكان الأعمش رحمه الله تعالى إذا أراد أن يُحدِّث وهو على غير وضوء تيمّم[2].

ـ وقال عبدُ الله بن صالح رحمه الله تعالى[3]: كان مالك والليث ـ رحمهما الله تعالى ـ لا يكتبان الحديث إلّا وهما طاهران .

ـ وقد عقد الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) باب من كره التحديث على غير طهارة ، ومن كان إذا أراد التحديث على غير طهر تيمم[4].

---

(١) انظر : الشفا (٢ : ٦٠٢).

(٢) انظر الشفا (٢ : ٦٠١ ، ٦٠٤).

(٣) الشفا (٢ : ٦٠٤).

قلت : وقد أكرمني الله تعالى بذلك ، فما أذكر أني كتبتُ ـ قبل مرضي الأخير ـ حرفاً واحداً في كلّ مؤلفاتي إلا وأنا على وضوء ، وأرجو الله تعالى أن أبقى كذلك ، كما أسعى ألّا أروي حديثاً وأنا على غير وضوء أو كنت ماشياً ، ولله الحمد والمنة .

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١ : ٤١٠).

ـ كما عقد فصلاً عن الأحوال التي يكره التحديثُ فيها ، وقال : **يكره التحديث في حالتي المشي والقيام حتى يجلس الراوي والسامع.اهـ.**

وأذكر بعضَ النصوص من ذلك ، وبعضها من القاضي عياض[1].

* عن مالك أن رجلاً جاء إلى سعيد بن المسيِّب ـ وهو مريض ـ فسأله عن حديث وهو مضطجع ، فجلس ، فحدَّثه ، فقال له الرجل : وددتُ أنك لم تعنّ ، فقال : كرهتُ أن أحدِّثك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مضطجع .

وفي روايتين أخريين قال : فإني أُعظم أن أحدِّث بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مضطجع .

ـ مر مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدِّث ، فجازه ، فقال : إني لم أجد موضعاً أجلسُ فيه ، فكرهتُ أن آخذ حديثَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا قائم .

ـ قيل لمالك : لِمَ لم تكتب عن عَمْرو بن دينار ؟ قال : أتيتُه والناسُ يكتبون عنه قياماً ، فأجللتُ حديثَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أكتبه وأنا قائم .

ـ وقال عبد الرحمن بنُ مهدي : مشيتُ يوماً مع مالك إلى العقيق ، فسألته عن حديثٍ ، فانتهرني ، وقال لي : كنتَ في عيني أجلَّ من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نمشي .

ـ وسأله جريرُ بنُ عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم ، فأمر

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١ : ٤٠٧ ـ ٤٠٩) وجامع بيان العلم (٢ : ١٩٩) والشفا (٢ : ٦٠٠ ـ ٦٠٣) والإلماع (٥٠) والمحدث الفاصل (٥٨٥ وما بعد).

بحبسه . فقيل له : إنه قاضٍ . قال : القاضي أحقُّ من أُدِّب .

ـ وقال عبدُ الله بنُ المبارك : كنتُ عند مالك ، وهو يحدِّثنا ، فلدغته عقرب ستَّ عشرةَ مرةً ، وهو يتغير لونه ويصفر ، ولا يقطع حديثَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما فرغ من المجلس ، وتفرَّق الناسُ عنه . قلت له : يا أبا عبد الله ؛ لقد رأيتُ اليومَ منك عجباً . قال : نعم ، لدغتني عقرب ستَّ عشرةَ مرةً ، وأنا صابر في جميع ذلك ، وإنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.اهـ.

* ومن توقيرهم وتعظيمهم رحمهم الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عدمُ رفع الصوت عند قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا رفع واحدٌ صوته زجروه ، تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرون أن تعظيمه بعد وفاته كتعظيمه في حياته . وهذا باب واسع أشير إلى بعض القضايا .

ـ كان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يتحدَّث فيضحك ، فإذا جاء الحديثُ خشع[1].

ـ وعن حمّاد بن زيد قال : كنا عند أيوب [السختياني] فسمع لغطاً ، فقال : ما هذا اللغط ؟ أما بلغكم أن رفع الصوت عند الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كرفع الصوت عليه في حياته[2].

ـ وعن حماد رحمه الله تعالى نحوه[3] أيضاً .

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١ : ٤١٢) والشفا (٢ : ٥٩٩ ، ٦٠١).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١ : ١٩٥).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (١ : ١٩٦) وانظر فيه (١ : ١٩٢ ـ ١٩٣) لتوقير مجلس الحديث .

ـ وكان الإمام مالك رحمه الله تعالى إذا أراد أن يجلس للتحديث : اغتسل وتبخّر وتطيَّب ، فإن رفع أحدٌ صوتَه في مجلسه زبره ، وقال : قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ فمن رفع صوتَه عند حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ـ وكان عبدُ الرحمن بنُ مهدي[2] إذا قرأ حديثَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بالسكوت ، وقال : ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[3] ويتأوّل أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله.اهـ.

* وما ذكرته من كراهة التحديث أو أخذ الحديث أو كتابته... على غير طهارة ، أو في حال المشي أو القيام أو الاضطجاع ،... فكل ذلك من باب توقير حديث النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمه وتنزيهه ، الذي هو توقير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمه ، وإن كان ليس هو من الإثم ، والتحريم والحظر ، والله تعالى أعلم .

*** اتباع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .**

لقد جعل الله تعالى نبيَّه المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلم حادياً يحدو بقلوب أمته ، لاتباعه وطاعته والسير خلفه ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم دليلٌ يسلك بهذه الأمة في الدروب الصعبة المسالك ، وفي

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١ : ٤٠٦).

(٢) الشفا (٢ : ٥٩٩).

(٣) سورة الحجرات (٢).

المتاهات التي لا يعلمها إلا من اتّبعه وسلك سبيله ، ، إذ كلُّ الطرق والسُّبل مهلِكةٌ إلا الطريق الذي يسلكه ، لأنه هو صراط الله تعالى المستقيم ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾[1].

لذا فمن مشى خلفه ، واتّبع سبيلَه ، وسلك مسلكَه ،... نجا وسعد ، ووصل شاطئ السلامة ، ومن اتّبع غير سبيله ، وسار غيرَ مسيره ،... ضل وهلك ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[2]. فوحّد صراطه ؛ لأنه واحد ، وطريق الحق واحد ، وجمع السبل لأنها متشعِّبة متفرقة ، كالظلمات كثيرة، وأسبابها متعددة ، والله تعالى يُخرج من الظلمات المتعددة إلى النور الواحد ، بينما الطاغوت فإنه يخرج من النور الواحد إلى الظلمات المتعددة ، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3].

لقد جعل الله جل جلاله صوتَ نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ينادي في أعماق الكون دائماً ﴿ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ لتنالوا ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾.

وهذه سعادة لا تقابلها سعادة ، في الدنيا والآخرة . حيث جعل تعالى السبيل إلى محبة الله جل شأنه هو اتّباع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، والمتبع استحقّ هذا الاسم ، ونال هذا اللقب (محب لله تعالى)

(١) سورة الشورى (٥٢ ـ ٥٣).

(٢) سورة الأنعام (١٥٣).

(٣) سورة البقرة (٢٥٧).

بمتابعته صلى الله عليه وآله وسلم .

فمتّبع النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هو حبيبٌ ومحبوبٌ .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1].

فهذا الميزان الشرعي الدقيق ﴿ فَاتَّبِعُونِي ﴾ يُزان مدّعي الإيمان ومحبة الله تعالى ، ولا ينجح فيه إلا المتَّبع ؛ كاملُ الاتِّباع له صلى الله عليه وآله وسلم ، في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال ،... فمن حاد فقد طف به الميزان .

والاتّباع[2]: من تَبع ، وهو التُّلُوّ والقَفْوُ ، يقال : تبعتُ فلاناً إذا تلوته ، واتّبعتُه وأتْبعتُه إذا لحقته . وقال أبو زيد : يقال تابع الرجلُ عملَه إذا أتقنه وأحكمه ، وتتبّعت الشيء تتبُّعاً إذا تطلَّبتُه متتبِّعاً له . وقال أبو حيّان : معنى اتَّبعوا ، أي اقتدوا به إماماً ، أو فضّلوا ـ لأن من اتّبع شيئاً فضَّله ـ أو قصدوا .

والاتِّباعُ : التوغل والتمحّضُ فيه ، والإقبالُ عليه بالكلِّيَّة . وهو التوغل في الاقتداء والقفو ، مع تفضيل المتَّبَع .

فهو : السيرُ وراءه ، وفعلُ أفعاله ، والاقتداءُ بكل تصرفاته ، وقُفوُ أثره ، وإتقانُ أحواله ، وعدمُ الخروج عنه ، فيسير حيث سار ، ويقف حيث يقف ، ويفعل نفسَ الفعل ، ويتلفّظ نفس اللفظ ،... مع إتقان ذلك وإحكامه ، وعدم العنود عن الاتصاف بكل ما جاء به وعنه ، ... وكل ذلك يدل على شدة

---

(١) سورة آل عمران (٣١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١ : ٣٦١ ـ ٣٦٢) ومجمل اللغة (١ : ١٥٣) والصحاح (١١٨٩ ـ ١١٩٠) ولسان العرب (٨ : ٢٧ ـ وما بعد) وغريب الحديث لأبي عبيد (٤ : ١٧٢ ـ ١٧٣) وكتاب الغريبين (١ : ٢٤٦) وتفسير أبي السعود (١ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤) وروح المعاني (١ : ٣٣٧) وروح البيان (١ : ١٩٠).

الملازمة ، والتوغل بالاتصاف ، والإخلاص في الاقتداء ، ومنح الإرادة ، حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به المتبوع ،... وكل ذلك يكون في صغائر الأمور كما يكون في عظائمها ،... فمن خالف ذلك كان ناقص الاتباع .

ويوضِّح هذا المعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ـ : « لتتبعن سنن من قبلكم شِبراً بشبرٍ ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا في جُحر ضَبٍّ لاتبعتموهم »... متفق عليه[1].

فإنهم لشدة اقتفائهم آثارهم ، واتّباعهم طرائقهم ، ودقة اتصافهم ، وتوغّلهم في ملازمتهم ، لو دخلوا في مثل هذا الجُحر الضَّيِّق الرديء لتبعوهم ، كما قال الحافظ رحمه الله تعالى .

والمراد بالشبر والذراع والجُحر : التمثيل لشدة الموافقة لهم ، كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى .

وبهذا يتضح معنى الاتباع ، حتى لو دخلوا في جحر ضيق متعرج لتبعوهم ، ودخلوا خلفهم فيه ، بل لو نكح أحدُهم زوجَه ـ أو أمه ـ بالطريق لفعتموه ـ كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[2].

وهناك فرق بين الاتباع والطاعة ، إذ الطاعة مرتبطة بالأمر والنهي ، وقد يكون الحامل عليها الخوف من العقوبة ، وقد يكون المحبة . أما الاتباع فلا حامل له إلا نفس المتَّبِع محبةً ورغبةً وتقليداً ،... ويدل على التفريق

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب العلم : باب اتباع اليهود والنصارى ، رقم (٦).

(٢) المستدرك (٤ : ٤٥٥) وصححه وأقره الذهبي ، وكشف الأستار (٤ : ٩٨) برجال ثقات ، ومختصر زوائد البزار (٢ : ١٧٦ ـ ١٧٧) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٦١).

بينهما قوله تعالى على لسان هرون عليه السلام : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴾[1]. حيث أمر باتباعه وطاعة أمره ، والعطف يقتضي المغايرة ، والله تعالى أعلم .

ولهذا أوجب الله تعالى لمتَّبع نبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم محبتَه تعالى للمتَّبع ، ثم أردفها تعالى بالأمر بطاعته جل شأنه وطاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ ... ﴾ لذا لابد للمؤمن من الإثنين : الاتباع ـ ويكون نابعاً من نفسه ؛ محبة ورغبة وتقليداً ـ والطاعة لله تعالى ولرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ـ سواء عن محبة ورغبة ، أو خوفاً من العقاب الدنيوي أو الأخروي ـ والأول أولى وأنفع وأجدى ، والله تعالى أعلم .

* ومَن أَوْلى من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم عن هذا الاتباع ؟ وهم الذين اختارهم الله تعالى ليكونوا صحابة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فكانوا حظَّه من الأمم ، كما كان حظَّهم من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، لذا كانوا أفضلَ الخلق ـ عدا الأنبياء عليهم السلام ـ منذ خلق آدم عليه السلام حتى قيام الساعة . كما أوضحته في (فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم).

هذا مع حثه صلى الله عليه وآله وسلم لهم باتباعه ، والاقتفاء به ، والائتمام به ، كما بينته في غير هذا الموضع .

وقد نفّذ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ذلك بكل دقة ، خاصة

(١) سورة طه (٩٠).

بعد ما علموا أن الله تعالى قد جعل رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : قدوتَهم وإمامَهم ومتبوعَهم وأُسوتَهم ، لذا وصل بهم الأمر بالاتباع والامتثال الحد الأقصى والأكمل ، الذي لا يدانيه أو يقاربه فعلُ أتباع نبيٍّ من الأنبياء السابقين عليهم السلام[1].

لقد اتبعوه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو لم يطلب ذلك منهم صراحة ، بل كان يكفيهم فعله صلى الله عليه وآله وسلم لا غير ، فإذا رأوه فعل شيئاً فعلوه ، لا لشيء إلا لأنه صلى الله عليه وآله وسلم فعله ، حتى لو لم يعرفوا علة ذلك ، ما لم يكن خاصّاً به .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بأصحابه ، إذ خلع نعليه ، فوضعهما عن يساره ، فخلعوا نعالَهم . فلما قضى صلاتَه قال : « ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟ » قالوا : رأيناك خلعتَ فخلعنا ،... الحديث ، رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وعبد الرزاق وإسحٰق وابن سعد وأبو داود وأبو يعلى ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، في آخرين[2].

---

(١) انظر ما كتبته في المقارنة بين الصحابة وبين أتباع الأنبياء عليهم السلام : مكانة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام ، وشوق الجمادات واستجابتها له صلى الله عليه وآله وسلم ، ومحبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد .

(٢) مسند أحمد (٣ : ٢٠ ، ٩٢) ومصنف عبد الرزاق (١ : ٣٨٨) ومسند الطيالسي (٢٨٦ رقم ٢١٥٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٤١٧) ومسند عبد بن حُميد (٢٧٨ رقم ٨٨٠) وسنن الدارمي (١ : ٣٢٠) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب الصلاة في النعلين ، رقم (٦٥٠) ومسند أبي يعلى (٢ : ٤٠٩) والطبقات الكبرى (١ : ٤٨٠) وصحيح ابن خزيمة =

وعن الزبير بن عربي رحمه الله تعالى قال : سأل رجلٌ ابنَ عمر رضي الله تعالى عنهما عن استلام الحَجَر فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستلمه ويقبله ، قال قلت : أرأيتَ إن زُحِمْتُ ، أرأيتَ إن غُلِبْتُ ؟ قال : اجعل أرأيتَ باليمن ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستلمُه ويُقبِّلُه . رواه البخاري[1].

وسيأتي بعض النصوص الأخرى عنه رضي الله عنه في الفصل التالي .

بل قد يفعلون شيئاً ـ وإن لم تظهر حكمته ـ إنما هو الاتباع والاقتداء ، وقول عمر رضي الله تعالى عنه يمثِّل هذا خير تمثيل .

فعن أسلم مولى عمر ، أن عمر بنَ الخطاب رضي الله تعالى عنه قال للركن [الحجر الأسود] : أما والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم استلمَك ما استلمتُك ، فاستلمه .

ثم قال : ما لنا وللرَّمَلِ ؟ إنما كنا راءَيْنا به المشركين ، وقد أهلكهم الله ، ثم قال : شيءٌ صنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا نحب أن نتركه . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2]. وله ألفاظ أخرى عندهم .

بل من اتباعهم رضي الله تعالى عنهم أنهم يقولون : إنما نفعل ما فعله

= (٢ : ١٠٧) وصحيح ابن حبان (٥ : ٥٦٠) والموارد ، رقم (٣٦٠) والمستدرك (١ : ٢٦٠) والسنن الكبرى (٢ : ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٣١) والعلل لابن أبي حاتم (١ : ١٢١) ونصب الراية (١ : ٢٠٨) والتلخيص الحبير (١ : ٢٧٨).

(١) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب تقبيل الحجر .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب الرمل في الحج والعمرة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ، رقم (٢٤٨ ـ ٢٥٠).

صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهم كانوا ضُلّالاً فهداهم الله تعالى به ، وجهّالاً فعلّمهم الله تعالى به ، لذا فهم متبعون وليسوا مبتدعين ، هم مقتفون وليسوا مخترعين ، رضي الله تعالى عنهم ، ويوضح هذا المعنى ما يلي :

عن أمية بن عبد الله بن خالد رحمه الله تعالى ، أنه قال لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما : إنّا نجد صلاةَ الحضر وصلاة الخوف في القرآن ، ولا نجد صلاة السفر في القرآن ؟

فقال عبدُ الله بنُ عمر : يا ابن أخي ؛ إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا نعلم شيئاً ، وإنما نفعل كما رأينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يفعل . رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ورواه مالك وأحمد منقطعاً لكن يعضده الرواية الأولى[1].

وفي رواية للنسائي[2]. أنه قال لابن عمر رضي الله تعالى عنهما : كيف تُقصر الصلاة ، وإنما قال الله عز وجل : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ ﴾؟ فقال ابنُ عُمَر رضي الله تعالى عنهما : يا ابن أخي ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتانا ونحن ضُلّال ، فعلَّمنا ، فكان فيما

(١) مسند أحمد (٢ : ٦٥ ـ ٦٦ ، ٩٤ ، ١٤٨) وسنن النسائي : كتاب تقصير الصلاة : الباب الأول (٣ : ١١٧) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب تقصير الصلاة في السفر ، رقم (١٠٦٦) ومصنف عبد الرزاق (٢ : ٥١٧ ـ ٥١٨) والمعرفة والتاريخ (١ : ٣٧٢) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٧٢) وصحيح ابن حبان (٤ : ٣٠١) (٦ : ٤٤٤) والموارد (٥٦ رقم ١٠١) والمستدرك (١ : ٢٥٨) والموطأ (١ : ١٤٥ـ ١٤٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٣ : ١٣٦) وانظر التقصي (١٥٠رقم ٤٧٤) والتمهيد (١١ : ١٦١ ـ ١٦٤).

(٢) سنن النسائي : كتاب الصلاة : باب كيف فرضت الصلاة (١ : ٢٢٦).

علَّمنا ؛ أن الله عز وجل أمرنا أن نصلّي ركعتين في السفر.اهـ.

والنصوص في هذا الباب كثيرة جدّاً ، وإلا ما يحمل من يبقى زرار قميصه مفتوحاً ، وثوبه قصيراً ، وناصيته لا تقص ،... وكذا في الأكل والشرب ، واللباس ، والمحبة والكراهية ، والنوم ، والأذكار ، وغير ذلك ، إنما هو لشدة الاتباع ، والله تعالى أعلم .

*** وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد طلب من الصحابة رضي الله تعالى عنهم إدامة مجالسته ، وإدامة النظر إلى طلعته البهية ، لأنه سيأتي على أحدهم يوم يتمنّى أحدهم لو يرى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحظة ، ثم لا يراه بعدها ، ويدفع مقابل ذلك أهلَه وماله جميعاً .**

ـ فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « والذي نفسي بيده ؛ ليأتين على أحدكم يومٌ ولا يراني ، ثم لأن يراني أحبُّ إليه من أهله وماله معهم ». رواه مسلم(١).

فإنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أن من سيأتي بعده ممن غلب عليه حبُّه ، ولكن لم يسعد برؤياه ، فإنه على استعداد أن يدفع أهلَه وماله في سبيل أن يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرةً واحدة ، ثم لا يراه بعدها أبداً .

ـ فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مِن أشدِّ أمتي لي حُبّاً ؛ ناسٌ يكونون بعدي ، يودُّ أحدُهم لو رآني بأهله وماله ». رواه مسلم(٢).

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل النظر إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وتمنّيه ، رقم (١٤٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب فيمن يود رؤية النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بأهله =

* لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشتاق إلى رؤية هؤلاء المحبّين ، وسمّاهم إخوانه ، كيف وهم محبوه ومتّبعوه ومطيعوه ومؤمنون به ،... وسمّاهم إخواناً له ، وإن لم يدركوه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يسعدوا برؤيته ، فحصل الاشتياق من الطرفين ، والحرص على الرؤية من الجانبين .

ـ فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى المقبرة ، فقال : « السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين ، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون . وددتُ أنّا قد رأينا إخوانَنا » قالوا : أَوَلسنا إخوانَك يا رسول الله ؟ قال : « أنتم أصحابي ، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعد »

فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعدُ من أمّتِك يا رسول الله؟ فقال : « أَرأيتَ لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظهرَي خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يعرف خيلَه ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « فإنهم يأتون غُرّاً مُحَجَّلين من الوضوء ، وأنا فرطُهم على الحوض ،... ». رواه مسلم[1].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « بل أنتم أصحابي » ليس نفياً لأُخوّتهم ، ولكن ذكر مرتبتَهم الزائدة بالصحبة ، فهم أخوة صحابة ، والذين لم يأتوا أخوة ليسوا بصحابة ، لذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أفضل لجمعهم مرتبتين ، وتميّزهم بالصحبة التي لا يلحقهم بها أحد[2] والله تعالى أعلم .

= وماله ، رقم (١٢).

(١) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، رقم (٣٩).

(٢) انظر شرح الباجي على الموطأ (١ : ٦٩ ـ ٧٠) وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣ : ١٣٨).

وهذا بعض ما يمكن أن أذكره في محبة سلف الأمة ـ من صحابة وتابعين وأتباع تابعين ، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم ، وتوقيرهم وتعظيمهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،...

وصلى الله تعالى وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

* * * * *

فصل
طاعته ﷺ والمحافظة على سنته

لما عرف الصحابةُ الكرامُ رضي الله تعالى عنهم أهميةَ السنة النبوية الشريفة ، بما سمعوه من كتاب الله تعالى ، وحثِّ القرآن الكريم على طاعةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأَمْرِ الله تعالى لهم بذلك ، ونهيِهم عن مخالفته ومعصيته صلى الله عليه وآله وسلم ، وعدمِ الخروج عن سنة نبيهم المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذا بما سمعوا من حديث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من حثِّهم على اتباع سنته صلى الله عليه وآله وسلم[1]،... وما شاهدوه ، وما رأوه من حالِه ، وعلاماتِ نبوته صلى الله عليه وآله وسلم ،... : كلُّ ذلك حملهم على التمسك بسنته ، والأخذ بها ، والحرص عليها ،... ومعرفة ما يصدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، وحفظه ونقله ، والتثبت فيه قبل ذلك .

وقد ظهر هذا الحرص والتثبت منهم رضي الله تعالى عنهم على سماع الحديث الشريف ، وحفظه ومعرفته بعدة أمور . وقد بينتُ أحوالهم رضي الله تعالى عنهم بالنسبة للسنة النبوية الشريفة في (نشأة علوم الحديث) وما أكتبه هنا في هذه الرسالة فهو ملخّصٌ من ذلك الكتاب ، لذا فإني سأقتصر على ذكر مثال أو مثالين ، وكذا في العزو ، ومن أراد الزيادة فلينظر فيه .

---

(١) انظر : شبهات حول السنة ، ومحبة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد ، فقد ذكرت الأدلة الكثيرة على وجوب طاعة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما ذكرت مختصراً لذلك في (نشأة علوم الحديث) فانظرها .

*** فمن شدة حرص بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم على سماع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ملازمتُهم له صلى الله عليه وآله وسلم من أجل سماعهم وحفظهم .**

ويمثل هذا الأمرَ راويةُ الإسلام الأول : أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، حيث يقول : إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غرسُ الودي ، ولا صفقٌ بالأسواق ، إني كنت أطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمةً يُعَلِّمُنيها ، وأكلةً يُطْعِمُنيها .

فقال له عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما : أنت يا أبا هريرة كنتَ ألزمَنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعلَمنا بحديثه . رواه أحمد وعبد الرزاق والحاكم وصححه ، والترمذي والطيالسي مختصراً[1]

وقد ذكرت في الأصل عدة روايات أيضاً فانظرها ، كما ذكرت في مقدمة (صحيفة أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) مدى حرصه ، وقوة حفظه ، وسبب إكثاره ،... فانظرها .

*** ومن ذلك : حرص بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم على سماع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة .**

ويمثل هذا عددٌ كبيرٌ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، حيث إنهم كانوا حريصين على معرفة أحواله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ليقتدوا به ، ويعرفوا سنتَه صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ليطبقوها ، سواء كان سماعُهم منه صلى الله عليه وآله وسلم مباشرةً ، أو بواسطة .

(١) مصنف عبد الرزاق (٣ : ٤٥٠) ومسند الطيالسي (رقم ٢٥٨١) ومسند أحمد (٢ : ٣ ، ٣٨٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، رقم (٣٨٣٦) والمستدرك (٣ : ٥١٠ ـ ٥١١) وأصل الحديث في الصحيحين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أنه قال : يا رسول الله ؛ مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك ، لما رأيتُ من حرصك على الحديث ، أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله ؛ خالصاً من قلبه ، أو نفسه ». رواه البخاري[1].

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة : تناوبُهم في النزولَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم** ، مع انشغال الآخرين بأعمالهم ، فيرجع من نزل إلى من بقي فيخبره بما سمع من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن عبد الله بن عباس ، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم قال : كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار ، في بني أمية بن زيد ـ وهي من عوالي المدينة ـ وكنا نتناوب النزولَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم أنهم : كانوا يرسلون إلى بيوت أزواج النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم** ـ سواء ليروا ما فعل صلى الله عليه وآله وسلم ـ إن كان المرسَل مَحْرَماً ، أو ليسألوا أزواجَه صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله تعالى عنهن ؛ عن أفعاله وأحواله وأقواله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكرت عدداً من الأحاديث الشريفة في (ذكر أثر

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب الحرص على الحديث .

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب التناوب في العلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب في الايلاء واعتزال النساء وتخييرهن ، رقم (٣٠ـ ٣٥).

النساء في الرواية) فانظرها في الأصل ، وسيأتي ذكر بعضها ، إن شاء الله تعالى .

ـ أما الدخول على أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن ، ومعرفة الداخل عن أحواله صلى الله عليه وآله وسلم عن كثب فذلك كثير ، كما في قصة إرسال العباس بن عبد المطلب ولدَه عبدَ الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما إلى بيت خالته أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها ، وذَكَرَ كيف كانت صلاةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الليل ، وكيف فعل في تلك الليلة ، والحديث متفق عليه ، وقد رواها الإمامُ البخاري رحمه الله تعالى في تسعة عشر موضعاً من صحيحه[1].

*** ومن شدة حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة : تثبتهم مما لا يعرفون حتى يرجعوا إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم** . ولهذا صورٌ متعددة ، منها :

*** أنهم رضي الله تعالى عنهم كانوا يراجعونه صلى الله عليه وآله وسلم فيما لا يعرفون ، أو لم تستوعبه عقولُهم** ،... حتى يعرفوا الحكمَ في ذلك . كما هو الحال في السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ؛ أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه .

فعنها رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس أحد يحاسب إلا هلك » قالت : قلت : يا رسول الله جعلني

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب السحر في العلم ، وكتاب الوضوء : باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره ، وفي غيرها . وانظر بشرح فتح الباري (١ : ٢١٢) لبيان أرقام العزو . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، رقم (١٨١ ـ ١٩٤).

الله فداءك ، أليس يقول الله عزوجل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب هلك ». متفق عليه[1].

*** وإذا حصلت لهم مشكلة ، أو أفتى بعضُهم بحكم معين ؛ ثم شك ،... رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم** ليعرفوا الحكمَ الصحيحَ ، ويسمعوا منه صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : انطلق نفرٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سَفْرةٍ سافروها ، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب ، فاستضافوهم ، فأبَوا أن يُضَيِّفوهم ، فلُدغ سيدُ ذلك الحيِّ ، فسعوا له بكل شيء ، لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا ، لعله أن يكون عند بعضهم شيء ، فأَتَوهم ، فقالوا : يا أيها الرهطُ ؛ إن سيدَنا لُدغ ، وسعينا له بكل شيء ، لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله ، إني لأرقي ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضيفونا ، فما أنا بِراقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً . فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ « الحمد لله رب العالمين » فكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشي وما به قَلَبَةٌ ، قال : فأوفوهم جُعلَهم الذي صالحوهم عليه . فقال بعضهم : اقْسِموا ، فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتيَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فنذكرَ له الذي كان ، فننظرَ ما يأمرنا ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، وكتاب التفسير : سورة ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ باب : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب اثبات الحساب ، رقم (٧٩-٨٠).

فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فذكروا له ، فقال : « وما يدريك أنها رقية ؟ » ثم قال : « قد أصبتم ، اقسِموا ، واضربوا لي معكم سهماً » فضحك النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

*** وكانوا رضي الله تعالى عنهم إذا سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ، ثم سمعوا من غيره خلافَه ، أنكروا على من سمعوه منه ،** ثم أخذوه معهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسمعوا الصواب في ذلك .

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : سمعت هشامَ بن حكيم يقرأ سورةَ الفرقان ؛ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ؛ لم يُقرئنيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكدتُ أساوره في الصلاة ، فتصبَّرتُ حتى سلَّم ، فلببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ ؟ قال : أقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقلتُ : كذبتَ ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ ، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : إني سمعتُ هذا يقرأ بسورة الفرقان على حرف لم تقرئنيها ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أرسله ، اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءةَ التي سمعتُه يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كذلك أنزلت » ثم قال : « اقرأ يا عمر » فقرأتُ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإجارة : باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ، رقم (٦٥ ـ ٦٦).

القراءةَ التي أقرأنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه ». متفق عليه[1].

إلى غير ذلك من الأنواع ، ولولا خشية الإطالة لذكرت نماذج أخرى متعددة ، لكن حسبي ما ذكرت ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة ، ومعرفةِ الحكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنهم كانوا يكلِّفون غيرَهم أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،** إذا كان يمنعهم من مواجهة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مانع ؛ من حياءٍ ، أو خجلٍ ،... أو غير ذلك .

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : كنت رجلاً مذاء ، فاستحييتُ أن أسألَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لمكان ابنته مني ، فأمرت المقدادَ ابن الأسود فسأله ، فقال : « يغسل ذَكَرَه ، ويتوضأ ». متفق عليه[2].

والأحاديث فيه كثيرة ، والله تعالى أعلم .

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة : أنهم**

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، رقم (٢٧٠-٢٧١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال ، وكتاب الوضوء : باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين ، وكتاب الغسل : باب غسل المذي والوضوء منه . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب المذي ، رقم (١٧-١٩).

كانوا إذا فاتهم حديثٌ لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، سمعوه من صحابي آخر سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وهذا كثير جدّاً .

ـ لكنهم قد لا يذكرون أنهم سمعوه من صحابي آخر ، لثقتهم وعدالتهم وأمانتهم ،... رضي الله تعالى عنهم ، كما مر من حديث عمر بن الخطاب في تناوبه مع الأنصاري رضي الله تعالى عنهما ، المتفق عليه .

ـ وقد يصرحون باسم ذلك الصحابي ؛ الذي سمعوا الحديثَ منه ، وقد لا يصرحون .

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : ما كلُّ الحديث سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . كان يحدثنا أصحابُنا ، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل . رواه أحمد برجال الصحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، في آخرين[1]. في أحاديث كثيرة .

ـ وأما التصريح بمن سمع منه الحديثَ ، فهو على نوعين :

أ ـ أن يصرح به مباشرة من غير تنقير من أحد عليه ، وهذا كثير جداً ، ومن نظر في تحفة الأشراف ، رأى الكثير من ذلك .

مثل : رواية عبد الله بن عمر عن حفصة ، وروايته عن عمر ، ورواية البراء بن عازب عن أبي أيوب ، وجابر بن سمرة عنه ، ورواية جندب بن عبد الله عن حذيفة بن اليمان ، ورواية أنس بن مالك عن زيد بن ثابت ،... وغيرهم كثير جداً . رضي الله تعالى عنهم .

(١) انظر : مسند أحمد (٤ : ٢٨٣) والمستدرك (١ : ٩٥) والمعرفة والتاريخ (٢ : ٦٣٤) بنحوه ، ومعرفة الصحابة (١ : ٣٨٥) والجامع لأخلاق الراوي (١ : ١١٧) والمحدث الفاصل (٢٣٥) ومجمع الزوائد (١ : ١٥٤) وكنز العمال (١٠ : ٢٨٨ ، ٢٩٦).

ب ـ التصريح بمن سمع منه بعد التنقير عليه . فهو أقل من سابقه .

مثال ذلك : حديث « من أدركه الفجر جنباً فلا يصم » فقد قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : لم أسمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إنما سمعتُ ذلك من الفضل . فرجع أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عما كان يقول في ذلك . كما عند الشيخين[1].

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم : أنهم إذا كانوا بعيدين عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنهم لا يكتفون ـ أحياناً ـ بمعرفة الحكم من الصحابة ، بل يرحل أحدُهم إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، ليسمع منه مباشرة ، ويتثبت من صحة النقل ، ويتأكد من صحة الحكم** ، ولو كانت المسافةُ بعيدةً ، كمكة المكرمة مثلاً .

فعن عقبة بن الحارث رضي الله تعالى عنه ، أنه تزوَّج ابنةً لأبي إهاب بن عَزيز ، فأتته امرأة فقالت : إني قد أرضعتُ عقبةَ والتي تزوَّج بها ، فقال لها عقبة : ما أعلم أنك أرضعتيني ولا أخبرتيني . فركب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ، فسأله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كيف وقد قيل ؟ ». ففارقها عقبةُ ، ونكحتْ زوجاً غيرَه . رواه البخاري[2]، وقد عنون له [باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله] .

* كانت القبائل العربية ـ وخاصة النائية عن المدينة المنورة ـ تنتظر ما يكون بين النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبين أهل مكة ، **فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم مكةَ ، وأرسل الرسلَ إلى تلك**

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب الصائم يصبح جنباً . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ، رقم (٣٥).

(٢) صحيح البخاري :كتاب العلم : باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، وفي غيرهما

القبائل وزعمائها ،...جاءته صلى الله عليه وآله وسلم وفودُ تلك القبائل ، كما جاءه صلى الله عليه وآله وسلم الشباب منهم لا ليُمَثِّلوا أقوامَهم وقبائلَهم ، ولكن لحب المعرفة ، ولقاء النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، والتبرك به .

وما قصة ضمام إلا واحدة من تلك الوفود ، لكن جاء فيها التصريح ـ كما في صحيح مسلم ـ جاءنا رسولُك ، وإن رسولَك ،... فهو يمثِّل قومَه ، مَثَلُه كمثل وفدِ عبد القيس .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : إن وفدَ عبد القيس لما أتوا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَن القوم ـ أو مَن الوفد ؟ » قالوا : ربيعة ، قال : « مرحباً بالقوم ـ أو بالوفد ـ غير خزايا ولا ندامى » فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر . فمُرْنا بأمر فصل نُخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ،... الحديث بطوله ، وفي آخره : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « احفظوهن ، وأخبروا بهن مَن وراءَكم ». متفق عليه[1].

*** ومن حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على الفائدة والاستفادة : أنهم كانوا يُحضرون أبناءَهم إلى مجالس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ولو كانوا أبناءَ أربع سنين أو أكثر أو أقل .**

ـ وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ عن صحابةٍ تحمَّلوا تلك الأحاديثَ وهم

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب أداء الخمس من الإيمان ، وكتاب العلم : باب تحريض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ،... وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وشرائع الدين ،... رقم (٢٣ ـ ٢٥).

صغار ، ولا يخفى رواياتُ أنس بن مالك ، وابن عباس ، وابن الزبير ، والبراء بن عازب ، وابن عمر ،... ونحوهم رضي الله تعالى عنهم ؛ حيث لقوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم دون البلوغ .

ـ بل منهم من تُوفي النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولَـمّا يبلغوا بعد ؛ كابن الزبير ، والحسن ، والحسين ، وعمر بن أبي سلمة ، وابن عباس ، ومحمود بن الربيع ، وعبد الله بن جعفر ، والمسور بن مخرمة ، وسهل بن أبي حثمة ، والسائب بن يزيد ، وعبد الله بن حنظلة ، وأبي الطفيل الكناني ، والنعمان بن بشير ، ومسلمة بن مخلد ، وقرة بن إياس ، وقثم بن العباس ، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم ، وكلهم من الصحابة الذين رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ـ وقد كان الصبيانُ يحضرون الصلاةَ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ـ عندما أعتم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ليلةً بالعِشاء ولم يخرج ـ : نام النساء والصبيان ،... الحديث بطوله ، متفق عليه ، من حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها[2].

ـ كما كانوا يخرجون إلى المصلى مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، لصلاة العيد ونحوها ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[3] على حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

---

(١) انظر المحدث الفاصل (١٨٩ ـ ١٩٢) والكفاية (١٠٥ ـ ١١١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المواقيت : باب فضل العشاء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب وقت العشاء وتأخيرها ، رقم (٢١٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب العيدين : باب خروج الصبيان إلى المصلى .

ـ كما كانوا يصلّون على الجنائز معه صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[1] على حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

ـ وكان صلى الله عليه وآله وسلم يُؤتَى بالصبيان فيُبَرِّكُ عليهم ، كما في الحديث المتفق عليه[2].

ـ وكانوا يعلِّمون صبيانَهم القرآنَ الكريمَ في عهده صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[3].

فالصبيان يُؤتى بهم بعد ولاداتهم إلى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا كَبروا حضروا الصلاةَ معه صلى الله عليه وآله وسلم ، مع أهليهم ، ثم يستقلون بذلك .

وهذا كله من حرص الصحابة الكبار رضي الله تعالى عنهم على أولادهم لينشؤوا نشأةً سليمةً صالحةً ، وكانوا لهم ما أرادوا ، ولهذا روى لنا كثير من الصحابة الصغار ـ وليس فيهم صغير ـ رضي الله تعالى عنهم أحاديثَ كثيرةً جدّاً أيضاً ، والله تعالى أعلم .

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة ،**

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب صلاة الصبيان مع الناس على الجنائز.

(٢) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤسهم (فقد ذكر أحاديثَ السائب بن يزيد ، وعبد الله بن هشام ، ومحمود بن الربيع ، وعبد الله بن ثعلبة بن صُعير ، وعائشة) وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب حكم بول الطفل الرضيع ، رقم (١٠١ ـ ١٠٢) لحديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أيضاً ، مع أن أحاديث الباقين متفق عليها أيضاً .

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب تعليم الصبيان القرآن .

وسرعة تطبيقهم لأمر ربهم تعالى : أنهم إذا قاموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم التقوا فيما بينهم ، فإنهم يتذاكرون حديثَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى يحفظوه ، ويتعلَّموا ما فيه ؛ ليطبقوه .

وقد سبق ذكرُ حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما ،... كان يحدثنا أصحابنا ،...إلخ. وقد تنوعت كيفية مذاكرتهم :

ـ إما أن تكون على الانفراد .

كما قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : إني لأجزيء الليل ثلاثةَ أجزاء ، فثلثٌ أنام ، وثلثٌ أقوم ، وثلثٌ أتذكر أحاديثَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ـ وإما أن تكون فيما بينهم رضي الله تعالى عنهم ، ويكون العددُ كثيراً .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وربما نكون نحواً من ستين إنساناً ـ فيحدثنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم يقوم ، فنتراجعه بيننا ؛ هذا وهذا وهذا ، فنقوم وكأنما قد زرع في قلوبنا . رواه الخطيب والبيهقي والبزار وأبو يعلى ، وكلهم من طريق الرقاشي عنه[2].

وللحديث شواهد ذكرتها في الأصل ، فانظرها .

ـ أو تكون المذاكرة بين اثنين مثلاً أو أكثر .

كما في حديث أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه ومذاكرة حديث « بدأ هذا

---

(١) سنن الدارمي (١ : ١٧).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١ : ٢٣٦) والفقيه والمتفقه (٢ : ١٢٧) ومسند أبي يعلى (٧ : ١٣١) ومجمع الزوائد (١ : ١٣٢ ، ١٦١) وإتحاف الخيرة المهرة (١ : ٢٧٦ ـ ٢٧٧) والمدخل إلى السنن الكبرى (٢٩٠).

الأمر نبوة ورحمة ، ثم كائن خلافة ورحمة ،...» الحديث ، حيث كان يتذاكره هو ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ، وهو وبشير بن سعد والد النعمان ابن بشير رضي الله تعالى عنهم ، وقد رواه الطيالسي وأبو يعلى والطبراني في الكبير وأبو نعيم ، في آخرين[1].

*** وكما كان الرجال حريصين على الحديث الشريف ، كان النساء كذلك حريصات على معرفة الأحكام ، مع حفظ الحديث وروايته ، كما كن حريصات أيضاً على سماع الحديث من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم** ، سواء كن من أمهات المؤمنين ، أم من غيرهن رضي الله تعالى عنهن ، وقد ظهر عدد من الصحابيات المكثرات من الحديث ، كما هو الحال في الرجال .

فقد روى من النساء الصحابيات رضي الله تعالى عنهن في الكتب الستة الأصول ـ كما تحفة الأشراف ـ (١١٧) سبع عشرة ومائة امرأة بما فيهن المبهمات ، ومجموع الأحاديث التي روينها (٢٦٧٧) سبعة وسبعون وستمائة وألفان ، فهو أكثر من سُبع مجموع ما في الكتاب تقريباً ، وهذا يدل على مدى عنايةِ النساء بالسنة النبوية ، وحرصِهن رضي الله عنهن على الرواية .

وقد ذكرت في الأصل : أسماء المكثرات منهن وعدد روايتهن ، فانظره .

وروايات هؤلاء الصحابيات رضي الله تعالى عنهن : إما أنهن قد سمعن

---

(١) انظر : مسند الطيالسي (٣١) ومعرفة الصحابة (٢ : ٢٩ـ ٣١) من طرق ، ومسند أبي يعلى (٢ : ١٧٧ـ ١٧٨) والبحرالزخار (٤ : ١٠٨ـ ١٠٩) وكشف الأستار (٢ : ٢٣١ـ ٢٣٢) والمعجم الكبير (١ : ١١٩ـ١٢٠) (٢٠ : ٥٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٥٩) ومجمع الزوائد (٥ : ١٨٩).

ذلك من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة ؛ في مجالسه وخطبه ،... أو سألنه صلى الله عليه وآله وسلم ،... أو سمعن من غيرهن ـ من الرجال أو النساء ـ ممن سمع منه صلى الله عليه وآله وسلم ، والله تعالى أعلم .

*** ومن حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية في زمن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : حفظها ونقلها للناس .**

قال الإمامُ الحاكم رحمه الله تعالى[1] : قد رَوى عنه صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة أربعةُ آلاف رجل وامرأة ، وصحبوه نيفاً وعشرين سنة ـ بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة ـ وحفظوا عنه أقوالَه وأفعالَه ، ونومَه ويقظتَه ، وحركاته وسكونَه ، وقيامَه وقعودَه ، واجتهادَه ، وعبادتَه ، وسيرتَه ، وسراياه ، ومغازيه ، ومزاحَه ، وزجرَه ، وخطبتَه ، وأكلَه وشربَه ، ومشيَه ، وسكوتَه ، وملاعبتَه أهله ، وتأديبَه فرسَه ، وكتبتَه إلى المسلمين والمشركين ، وعهودَه ، ومواثيقَه ، وألحاظَه ، وأنفاسَه ، وصفاته ، هذا سوى ما حفظوه عنه من أحكام الشريعة ، وما سألوا عن العبادات والحلال والحرام ، وتحاكموا فيه إليه.اهـ.

فلم يتركوا رضي الله تعالى عنهم لنا شيئاً مما يصدر عنه أو يتصل به صلى الله عليه وآله وسلم إلا ذكروه ، حتى ولو كان شيئاً عرضياً ، أو أمراً لا يُؤْبه به ، وما ذاك إلا الحب الذي جعلهم ينظرون إلى كل ما يصدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم على أنه من الدِّين ؛ الذي أُلزموا باتباعه وأخذه ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل .

(١) المدخل إلى أصول الحديث (٨٧ ـ ٨٨) من مجموع الرسائل الكمالية .

* ومن هذا الحرص الشديد ، والامتثال الدقيق الذي نتج عما سمعوه من أقوال الله تعالى في كتابه الكريم وأقوال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بوجوب طاعةِ نبيِّه الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، والأخذ بسنته ، واتباعِ أمره ، وجعله القدوةَ المثلى ، والمثلَ الأعلى ،... **هذا الحرص جعلهم يحفظون سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، حفظاً ندر له مثيل في الوجود ، بل لا مثيل له .**

وهذا الحفظ تمثل بثلاثة أمور .

أ : التطبيق العملي . وهذا واضح لا يحتاج إلى برهان ، لكثرته ووضوحه ، إذ العبادات والمعاملات والأحوال والأخلاق ،... كل ذلك جاء تفصيلُها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد طبَّق الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ذلك على أنفسهم .

ـ كيف لا ، وقد سمعوه صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « صلُّوا كما رأيتموني أُصلي »[1] . ويقول صلى الله عليه وآله وسلم : « خذوا عني مناسككم » . رواه مسلم[2] .

ـ وأقتصر على ذكر مثال واحد يوضح كيف كان تطبيقُ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم لسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومدى حرصهم على امتثال أمره صلى الله عليه وآله وسلم ، وطاعتهم له ، ولو لم يعرفوا علَّةَ

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب من أحق بالإمامة ، رقم (٢٩٢) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله تعالى عنه .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً ، رقم (٣١٠). من حديث جابر رضي الله تعالى عنه .

ذلك وحِكمتَه .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بأصحابه ، إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره ، فلما رأى ذلك القومُ ألقَوا نعالَهم ، فلما قضى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاتَه قال : « ما حملكم على إلقائكم نعالكم ؟ » قالوا : رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن جبريل صلى الله عليه وآله وسلم أتاني فأخبرني أن فيها قذراً ،... » الحديث بطوله ، رواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة والدارمي وابن سعد وعبد بن حُميد وأبو داود ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم[1].

ب : **الحفظ** . لأن الأُمِّيَّة هي الغالبة عليهم في ذلك الوقت : لذا كانوا يعتمدون على الحفظ ، وهو أمر يتوارثونه منذ الجاهلية ، فكانوا يحفظون تواريخَهم وأشعارَهم وآدابَهم وأيامَهم ،... حفظاً ، ولم يكن من ذلك شيء مكتوب إلا نادراً . وقد بينتُ ذلك بشكل موسّع ، وذكرت الأدلة من القرآن والسنة ، في (أُمِّيَّة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم) فانظره .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهرُ هكذا وهكذا وهكذا ـ وعقد الإبهام في الثالثة ـ والشهرُ هكذا وهكذا وهكذا .

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٠ ، ٩٢)ومسند الطيالسي (رقم٢١٥٤) وسنن الدارمي (١ : ٢٦٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٤١٧) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب الصلاة في النعل ، رقم (٦٥٠ ـ ٦٥١)والطبقات الكبرى (١ : ٤٨٠) ومسند عبد بن حُميد (رقم ٨٨٠) ومسند أبي يعلى (٢ : ٤٠٩) وصحيح ابن خزيمة (١ : ٣٨٤) وصحيح ابن حبان (٣ : ٣٠٥ ـ ٣٠٦) والمستدرك (١ : ٢٦٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٤٠٢ ، ٤٣١) وشرح السنة (٢ : ٩٢).

يعني : تمامَ الثلاثين ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وليس معنى ذلك : أنه لا يوجد فيهم مَن يعرف القراءةَ والكتابة ، بل فيهم من يعرف ذلك ، لكنهم قلة بالنسبة لغيرهم ، وإنما العبرةُ بالغالب .

وقد أمرهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بتدوين القرآن الكريم ، مع حفظهم له في صدورهم ـ والأمرُ كان واجباً ـ لعدم جواز روايته بالمعنى ، أما بالنسبة للسنة النبوية الشريفة ، فقد كان بعضُهم يكتب دون الأغلبية ، لجواز روايتها بالمعنى .

ولهذا حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على حفظِها ـ في زمن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ـ إمتثالاً لأمره صلى الله عليه وآله وسلم ـ ونقلِها نقلاً صحيحاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، إضافة إلى تطبيقها عملياً .

وقد حثَّ صلى الله عليه وآله وسلم على حفظ السنة ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه ثم بلغه ،... ». إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرتها في الأصل .

ولهذا اشتهر عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بكثرة الحفظ عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، كما بينته في الأصل .

ج : **الكتابة** . إن عامة العرب في زمن النبوة وقبلها كانوا أُمِّيِّين ؛ لا يقرؤون ولا يكتبون ـ كما ذكرتُ ذلك قبل قليل ـ لكن وُجد فيهم من

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لا نكتب ولا نحسب ». وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ، رقم (١٥).

يكتب ، ولهذا كثر كُتّاب الوحي بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأكثر من عدّهم ابنُ حديدة الأنصاري رحمه الله تعالى ، فقد ذكر منهم (٤٤) أربعة وأربعين رجلاً ، في كتابه (المصباح المضيء في كُتّاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأُمِّي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي)[1] وهذا عدا من كتب له صلى الله عليه وآله وسلم غير القرآن ، من رسائل وكتب ، وقد ذكرت في الأصل عددهم ، وأسماءهم رضي الله تعالى عنهم .

ـ وقد اشتهر عن بعض الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم الكتابة للحديث في زمن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما عُرف من كان يكتب السنةَ بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم . كما بينته في الأصل .

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : كنتُ أكتبُ كلَّ شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أريد حفظه ، فنهتني قريشٌ ، وقالوا : رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر ؛ يقول في السخط والرضا . قال : فأمسكت عن الكتابة ، ثم ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « أكتب ـ وأشار إلى فيه ـ والذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والدارمي بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثرَ حديثاً عن النبي صلى الله عليه

(١) وذلك من (١ : ٢٩ ـ ٢٤٢).

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٦٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٨) وسنن أبي داود : كتاب العلم : باب كتابة العلم ، رقم (٣٦٤٦) وسنن الدارمي : المقدمة : باب ما جاء في كتابة العلم (١ : ١٠٣) والمستدرك (١ : ١٠٤ـ١٠٦من طرق) وجامع بيان العلم (١ : ٧١) وتقييد العلم (٨٠).

وآله وسلم مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب . رواه البخاري[1].

* وقد ظهر **حِرص الصحابة رضي الله تعالى عنهم على التمسُّك بالسنة النبوية ، والعمل بها ، وتطبيقها ، والقيام بحقها : بمحافظتهم عليها :**

ـ لقد حفظ الصحابة رضي الله تعالى عنهم سنة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بشكل لم يُعهد له مثيل في الكون ، فقد نقلوا لنا كل أمرٍ صدر عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى الأمور العَرَضيَّة ، فلم يتركوا لنا شيئاً من أفعاله وأقواله وأحواله وأوصافه ،... صلى الله عليه وآله وسلم إلا نقلوه ، حتى إن القارىء لسيرته وسنَّته صلى الله عليه وآله وسلم لَيتصَّور ذلك أمامه ، وكأنه أمام مشهدٍ حيٍّ ، لما كان في ذلك الزمن من دقَّةِ نقلِهم واستيعابِهم وشمولِهم ، وعدم غفلتهم عن كل ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، وما له صلةٌ به صلى الله عليه وآله وسلم ، وماله علاقةٌ به صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو لم يكن ذلك جوهريّاً في نظر كثير من الناس .

وخير مثال على ذلك نقلهم لحجة الوداع ، التي نقلوا فيها أموراً لا يمكن أن تخطر على بالِ شخصيَّةٍ مرافقةٍ لزعيمٍ من الزعماء ، أو قائدٍ من القواد ، ولكنه الحب الذي فعل فيهم ذلك ، وجعلهم ينظرون إلى كل ما يصدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم على أنه دينٌ يجب أخذه ونقله والعمل به[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب كتابة العلم .

(٢) انظر ما كتبه شيخنا الشيخ السيد أبو الحسن الندوي في مقدمة (حجة الوداع) لشيخنا الشيخ زكريا الكاندهلوي رحمهما الله تعالى .

ولهذا لا نعرف في تاريخ البشرية سيرة عظيمٍ أو زعيمٍ أو حتى نبي نُقلتْ سيرتُه وسنّتُه ؛ ما نقلت سيرةُ النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وصحبه وسلم وسنّتُه ، حتى كأن القارىء لها رأي عين منها .

*** وقد ظهرت محافظتهم على السنة النبوية الشريفة بالصور التالية :**

*** الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاتباع الشديد له .**

هذا الاقتداء والاتباع نابعٌ من إيمانهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه رسول الله ، ووجوب طاعته واتباعه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومحبتهم له ، التي أخذت منهم كل مأخذ .

وإن كثيراً منهم رضي الله تعالى عنهم طبّقوا ذلك حتى في الأمور الجِبِلِّيَّة ، التي ليست من أمور التشريع ، سواء في المأكل أو المشرب ، أو النوم ، أو الجلوس ، أو حتى في قضاء الحاجة ، أو المشي ،... وهكذا[1].

وخير مثال على ذلك : سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ، الذي كان يتتبع أحوال النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، صغيرها وكبيرها ، أين نام ، وأين صلَّى ، وأين جلس ، وكيف فعل ،... وهكذا ، حتى خِيف على عقله ، من شدة اهتمامه بذلك رضي الله تعالى عنه[2].

ـ فلم يدخل من باب النساء ، لأن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو تركنا هذا الباب للنساء »[3].

---

(١) انظر : الفقيه والمتفقه (١ : ١٣٠ ـ ١٣١).

(٢) انظر : الحلية (١ : ٣١٠) وسير أعلام النبلاء (٣ : ٢١٣).

(٣) انظر : مسند الطيالسي (٢٥١ رقم ١٨٢٩) والحلية (١ : ٣١٣).

ـ كان يتعهد شجرةً ، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس ، لأن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم نزل تحتَها[1].

ـ ويأخذ برأس راحلته ، لعل خُفّاً منها يقع على مكانٍ وقع عليه خُفُّ راحلةِ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم[2].

ـ ولهذا لما سُئل رضي الله تعالى عنه عن استلام الحَجَر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستلمه ويقبله ، قال : قلت : أرأيتَ إن زُحِمْتُ ، أرأيتَ إن غُلِبْتُ ؟ قال : اجعل أرأيتَ باليمن ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستلمُه ويُقبِّلُه . رواه البخاري وغيره[3].

ـ ولهذا كان رضي الله تعالى عنهما يستلمه ، ثم يضع شفتيه عليه طويلاً ، كما رواه الشافعي ، وما تركه منذ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعله ، حتى في وقت الزحام ، وإن أدَّى ذلك إلى خروج الدم من أنفه رضي الله تعالى عنه ، وكأنه كان لا يرى الزِّحام عُذراً في تركه ، رضي الله تعالى عنهما[4].

والنصوص في ذلك كثيرة .

بل قد يفعلون شيئاً ـ وإن لم تظهر حكمته ـ إنما هو الاتباع والاقتداء ، وقول عمر رضي الله تعالى عنه يمثِّل هذا خير تمثيل ، عندما قال للركن ـ

(١) انظر : الطبقات لابن سعد (٤ : ١٠٢) وأسد الغابة (٣ : ٣٤١) وسير أعلام النبلاء (٣ : ٢١٣).

(٢) انظر : حلية الأولياء (١ : ٣١٠) وتاريخ بغداد (١ : ١٧٢) وسير أعلام النبلاء (٣ : ٢٣٧).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب تقبيل الحجر ، ورواه الترمذي والنسائي كلاهما في الحج أيضاً .

(٤) انظر : فتح الباري (٣ : ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

الحجر الأسود ـ أما والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم استلمك ما استلمتُك ، فاستلمه ، ثم قال : ما لنا وللرَّمَلِ ؟ إنما كنا راءينا به المشركين ، وقد أهلكهم الله ، ثم قال : شيء صنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا نحب أن نتركه . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي رواية لهما[2] ـ ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقبِّلُك ما قَبَّلتُك .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ، ولهذا كثر عنهم رضي الله تعالى عنهم قولهم : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعل كذا ،... هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ، والله تعالى أعلم .

*** إنكارُهم على مَنْ خالفها :**

ومن حفاظهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية ، ومحافظتهم عليها ؛ إنكارُهم على مَنْ خالفها ، ولو كانت المخالفة يسيرة ، وهذا بابٌ واسعٌ جداً ، والنصوص فيه كثيرة جداً ، كيف لا وهي سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد اختارهم الله تعالى ليحفظ بهم دينه ، فنقلوه كما أنزل ، من غير زيادة فيه ، ولا نقصان ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل . وقد ذكرت في الأصل أمثلةً كثيرة على ذلك ، أقتصر على بعضها للتنبيه .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب الرمل في الحج والعمرة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ، رقم (٢٤٨ ـ ٢٥٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب تقبيل الحجر . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤٨).

فعن أبي الأشعث [شراحيل بن آدة الصنعاني] قال : غزونا غزاة ، وعلى الناس معاوية ، فغنِمْنا غنائمَ كثيرةً ، فكان فيما غنِمْنا ؛ آنيةً من فضةٍ ، فأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في أعطيات الناس ، فتسارع الناس في ذلك ، فبلغ عبادةَ بن الصامت ، فقام فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن بيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ؛ إلا سواء بسواء ، عيْناً بعيْنٍ ، فمن زاد أو ازداد فقد أربى ، فردَّ الناسُ ما أخذوا ، فبلغ ذلك معاوية ، فقام خطيباً ، فقال : ألا ما بالُ رجالٍ يتحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث ، قد كنا نشهده ونصحبه ، فلم نسمعها منه ، فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصة ، ثم قال : لنحدثن بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن كره معاوية ـ أو قال : وإن رغم ـ ما أبالي أن لا أصحبه في جنده ليلة سوداء . رواه مسلم[1].

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا تمنعوا نساءَكم المساجد إذا استأذنّكم إليها ».

قال : فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن ، قال : فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبّاً سيِّئاً ، ما سمعته سبَّه مثلَه قط ، وقال : أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقول : والله لنمنعهن !. متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب الصرف وبيع الذهب بالورِق نقداً ، رقم (٨٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة ، رقم (١٣٤ ـ ١٤٠).

فلم يسكت رضي الله تعالى عنه على ابنه عندما أعلن مخالفة السنة ، مع أن الذي حمله على ذلك الغيرة ، لتغير بعض النساء ، وقد جاء هذا واضحاً في بعض الروايات[1].

وعن عبد الله بن عكيم قال : كنا مع حذيفة بالمدائن، فاستسقى حذيفة ، فجاءه دِهْقَانٌ بشراب في إناء من فضة ، فرماه به ، وقال : إني أخبركم أني قد أمرته أن لا يسقيني فيه ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا تشربوا في إناء الذهب والفضة ، ولا تلبسوا الديباج والحرير ، فإنه لهم في الدنيا ، وهو لكم في الآخرة يوم القيامة ». متفق عليه[2].

لم يسكت رضي الله تعالى عنه على زعيم فلاحي العَجَم ، أو زعيم القرية ورئيسها ، لأنه كان قد نهاه عن ذلك مرات ، مما اضطره إلى حذفه بالإناء ، ثم قال معتذراً عن سبب ذلك ، والله تعالى أعلم .

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، والحمد لله تعالى .

*** عدم سكوتِهم عن إظهار السنة :**

كما أنهم رضي الله تعالى عنهم ما كانوا يسكتون عن إظهارِ السنةِ ، ولو أدَّى ذلك إلى الأذى ، ويُظهرون السنةَ أمام الحاكم الذي يخالفُ السنةَ ، ولا يأبهون بما يكون بعد ذلك ، ذكرت في الأصل كثيراً منها ، أذكر بعضها إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر : فتح الباري (٢ : ٣٤٨ـ٣٤٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة : باب الأكل في إناء مفضض ، وكتاب الأشربة : باب آنية الفضة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة : باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ، رقم (٤).

ـ كما في جذب أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه لمروان بن الحكم ، حين أراد الصعود على المنبر يوم العيد ، وتقديم الخطبة على الصلاة ، فأخبره أبو سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أول شيء يبدأ به ـ في العيدين ـ الصلاة ، ثم يخطب الناس ، وقال لمروان : غيَّرتُم والله ، فقال : أبا سعيد ؛ قد ذهب ما تعلم ، فقلت : ما أعلم ـ والله ـ خير مما لا أعلم ، فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتُها قبل الصلاة . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

ـ كما أخبر أبو شُريح الخزاعي رضي الله تعالى عنه ، عمرو بن سعيد [الأشدق] ـ وهو يبعث البعوث إلى مكة ـ قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إن مكة حرَّمها الله ، ولم يُحرِّمها الناس ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخَّص لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها فقولوا : إن الله قد أذن لرسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم يأذنْ لكم ، وإنما أذِنَ لي فيها ساعة من نهارٍ ، ثم عادت حرمتُها اليوم كحرمتِها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب . الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

ـ وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : صلَّى معاوية بالمدينة صلاةً فجهر فيها بالقراءةِ ، فقرأ فيها : بسم الله الرحمن الرحيم لأمِّ القرآن ،

(١) صحيح البخاري : كتاب صلاة العيدين : باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة العيدين : في مقدمته ، رقم (٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها ،... رقم (٤٤٦).

ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها ، حتى قضى تلك الصلاةَ ، فلما سلَّم ، ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان : يا معاوية ؛ أسرقتَ الصلاةَ أم نسيتَ ؟ فلما صلَّى بعد ذلك ؛ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أمِّ القرآن ، وكبّر حين يهوي ساجداً . رواه الشافعي والبيهقي والحاكم والدارقطني وعبد الرزاق والبغوي وابن عبد البر ، وهو صحيح على شرط مسلم[1].

فمعاوية رضي الله تعالى عنه إذ ذاك صاحب الأمر ، وذو الحكم ، وكان الناس من سطوته خائفين ، ومن بأسه جد حذرين ، فلم يسامحوا أنفسهم ، ولا رأوا في أديانهم أن يُقرّوه على أمر خالف فيه السنة ، حتى إنهم أنكروا عليه أشنع إنكار ، بقولهم : أسرقتَ الصلاةَ أم نسيتَ[2]؟

وانظر بقية النصوص في الأصل ـ والحمد لله ـ وكلها تُنبىء عن مدى عنايةِ الصحابة الكرام ، وتمسكِهم ومحافظتِهم على سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، ورضي الله تعالى عنهم ، وحشرنا معهم .

*** ومن محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية: احتجاجهم بكتاب الله تعالى على حُجِّيّتها ، ووجوب تطبيقها ، على الذين يخالفونها ، أو على الذين لم يظهر لهم ذلك :**

---

(١) الأم (١ : ٩٣ ، ٩٣ ـ ٩٤) والمسند (٣٦ـ٣٧ ، ٣٧) والسنن للشافعي رقم (٤٤) والسنن الكبرى (٢ : ٤٩ ، ٤٩ ـ ٥٠) والمستدرك (١ : ٢٣٣) وصححه على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وسنن الدارقطني (١ : ٣١١) وقال : رجاله ثقات ، ومصنف عبد الرزاق (٢ : ٩٣) من طريق آخر ، وشرح السنة (٣ : ٥٥ـ٥٦) والإنصاف (١٧٨).

(٢) انظر : الشافي شرح مسند الشافعي (١ : ١٧٠ آ) وتعليقي على هذا الحديث في السنن للشافعي .

ـ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : لعن الله الواشمات ، والمستوشمات ، والنَّامصات ، والمتنمِّصات ، والمتفلجات للحُسْن المغيراتِ خلْقَ الله . قال : فبلغ ذلك امرأة من بني أسدٍ ، يقال لها : أم يعقوب ، وكانت تقرأ القرآن ، فأتته فقالت : ما حديثٌ بلغني عنك ؟ أنك لعنت الواشمات ، والمستوشمات ، والنَّامصات ، والمتنمِّصات ، والمتفلجات للحُسْن المغيراتِ خلْقَ الله .

فقال عبد الله : وما لي لا ألعنُ من لعن رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وهو في كتاب الله .

فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته ، فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

فقالت المرأة : فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن . قال : اذهبي فانظري ، قال : فدخلت على امرأة عبد الله ، فلم تر شيئاً ، فجاءت إليه فقالت : ما رأيتُ شيئاً . فقال : لو كان ذلك ؛ لم نجامعها . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

ـ وعن طاووس بن كَيْسان رحمه الله تعالى قال : رآني ابن عباس ، وأنا أُصلي بعد العصر ، فنهاني ، فقلت : إنما كُرِهت أن تُتَّخَذَ سُلَّماً . فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : نهى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة بعد العصر ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الحشر : باب ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾. وصحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة : باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ،... رقم (١٢٠).

وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1] وما أدري تُعذَّبُ عليها أم تؤجر . رواه الشافعي وعبد الرزاق والدارمي والبيهقي والخطيب البغدادي[2]. والنصوص في ذلك كثيرة ، فانظرها في الأصل .

وهكذا كانوا رضي الله تعالى عنهم يقولون إذا سُئلوا عن أمرٍ موجودٍ في السنة النبوية ، ولم يوجد في القرآن : كنَّا ضُلاَّلاً فهدانا الله تعالى به ، فبه نقتدي صلى الله عليه وآله وسلم[3].

*** مُذاكرتُهم للسنة النبوية في مجالسِهم :**

وذلك أنهم رضي الله تعالى عنهم إذا جلسوا فيما بينهم فإنهم يتذاكرون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكي يستذكروها ، ومن ثَمَّ لكي يحفظوها ، وقد تكون مذاكرتهم لها في التطبيق العملي ، وقد تكون استعراضاً قولياً .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : أصحابُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا جلسوا كان حديثُهم ـ يعني الفقه ـ إلا أن يقرأ رجلٌ سورة ، أو يأمر رجلاً بقراءة سورة . رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ، والبيهقي في المدخل ، ورواه الخطيب في الجامع والفقيه والمتفقه ـ من غير

---

(١) سورة الأحزاب (٣٦).

(٢) الرسالة (٤٤٣ ف ١٢٢٠) والمصنف لعبد الرزاق (٢ : ٤٣٣) وسنن الدارمي (١ : ٩٥). والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٤٥٣) والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١ : ١٤٦ ـ ١٤٧) وانظر الدر المنثور (٥ : ٢٠١).

(٣) انظر : مسند أحمد ، من نسخة الشيخ أحمد شاكر ، بأرقام (٥٦٩٨ ، ٥٧٥٧).

ذكر أبي سعيد[1]..

ولهذا كانوا رضي الله تعالى عنهم يحثون على مذاكرةِ الحديث الشريف ومُدارستِه ، لإن مذاكرة الحديث إحياء له في صدورهم ، وهي حياة له .

وكل ذلك يدل على مدى حرصِهم رضوان الله تعالى عليهم على حفظ سُنَّة نبيِّهم صلى الله عليه وآله وسلم على الوجه الذي يليق بها ، والله تعالى أعلم .

*** سؤال بعضهم عنها عند عدم معرفته لها :**

وذلك إذا احتاج أحدهم إلى حديث فلم يعرفه أو لم يسمعه من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ذكَّر الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم به ، وسألهم عنه إن كان عند أحدِهم حتى يذهب إليه ، ويعمل به .

ـ فعن قبيصة بن ذؤيب قال : جاءت الجدَّة إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لتسأله ميراثَها ، فقال لها أبو بكر : ما لكِ في كتاب الله شيء ، وما أعلم لكِ في سنة نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ، فارجعي حتى أسأل الناس ، فسألَ الناسَ ، فقال له المغيرة بن شعبة : حضرتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاها السدس . فقال أبو بكر : هل معك غيرُك ؟ فقام محمد بن مَسْلَمَة الأنصاريُّ فقال مثل ما قال المغيرة ، فأنفذه لها أبو بكر . رواه مالك وأصحاب السنن وأحمد وابن الجارود ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم ، في آخرين[2].

(١) المستدرك (١ : ٩٤) والمدخل للبيهقي (٢٨٨) والجامع لأخلاق الراوي (٢ : ٦٨) من نسخة الطحان ، وَ (٢ : ١٢٧) من نسخة محمد رأفت سعيد ، وفي الفقيه والمتفقه (٢ : ١٢٦).

(٢) الموطأ : كتاب الفرائض : باب ميراث الجدة ، رقم (٤) ومصنف عبد الرزاق (١٠ : ٢٧٤ ـ =

ـ وعن ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم أنه نشد الناسَ قضاءَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ـ يعني في الجنين ـ فقام حمل بن مالك بن النابغة الهذلي فقال : كنت بين امرأتين لي ـ يعني ضرَّتين ـ فضربت إحداهما الأخرى بمسطح فقتلَتْها ، وقتلتْ جنينَها ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنين بغُرَّةٍ ؛ عبدٍ أو أَمَةٍ . فقال عمر : الله أكبر ، لو لم نسمع بهذا لقضينا بغيره . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم ، ورواه الشافعي وأبو داود والنسائي من طريق طاووس عن عمر رضي الله تعالى عنه[1] ، والحديث ثابت في الصحيحين من طريق أبي هريرة والمغيرة بن

= ٢٧٥) وسنن سعيد بن منصور (١ : ٣ : ٣١ رقم ٨٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٣٢٠ ـ ٣٢١) وسنن أبي داود : كتاب الفرائض : باب في الجدة ، رقم (٢٨٩٤) وسنن الترمذي : كتاب الفرائض : باب ما جاء في ميراث الجدة ، رقم (٢١٠٠ ، ٢١٠١) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الفرائض : باب ذكر الجدات والأجداد ،... وباب ذكر اسم هذا الرجل الذي أدخل بين الزهري وبين قبيصة (٤ : ٧٣ ـ ٧٥ من طرق) وتحفة الأشراف (٨ : ٣٦١) وسنن ابن ماجه : كتاب الفرائض : باب ميراث الجدة ، رقم (٢٧٢٤) ومسند أحمد (٤ : ٢٢٥ ، ٢٢٥ ـ ٢٢٦) والمنتقى لابن الجارود (٣٢٠ ـ ٣٢١) وسنن الدارمي (٢ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠) والمعجم الكبير (١٩ : ٢٢٨ ـ ٢٣٠ من طرق) (٢٠ : ٤٣٧ ـ ٤٣٩) ومسند الشاميين (٣ : ٢٢٠ ـ ٢٢٢) ومسند أبي يعلى (١ : ١١١ ـ ١١٢) والمستدرك (٤ : ٣٣٨) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٣٩٠ ـ ٣٩١) وموارد الظمآن (٣٠٠) وشرح السنة (٨ : ٣٤٥ ـ ٣٤٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ٢٣٤) وانظر التلخيص الحبير (٣ : ٨٢).

(١) الأم (٦ : ٩٣) والرسالة (٤٢٦) والسنن (رقم ٦٠٠) والمسند (٢٤١ ، ٣٤٨) ومصنف عبد الرزاق (١١ : ٥٧ ، ٥٨) وسنن الدارمي (٢ : ١١٧) ومسند أحمد (٤ : ٧٩ ـ ٨٠) وسنن أبي داود : كتاب الديات : باب دية الجنين ، رقم (٤٥٧٢) وسنن النسائي : كتاب القسامة : باب قتل المرأة بالمرأة ، وباب دية جنين المرأة (٨ : ٢١ – ٢٢ ، ٤٧) وسنن ابن ماجه : كتاب =

شعبة رضي الله عنهما .

*** الحث على احترام السنة النبوية الشريفة وتوقيرها :**

إن احترام السنة النبوية الشريفة وتوقيرها من احترام الصادرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره ، وتعظيمه والتسليم له ، والانقياد لأمره ، وقد بلغ الصحابة رضي الله تعالى عنهم المثل الأعلى في ذلك ، إذ لم يكن احترامهم وتعظيمهم للسنة النبوية الشريفة في حياة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فحسب ؛ بل كان هذا شأنهم رضي الله تعالى عنهم ، حتى بعد انتقاله صلى الله عليه وآله وسلم من عالم الدنيا إلى الرفيق الأعلى .

وقد وردت نصوص كثيرة عنهم رضي الله تعالى عنهم ـ تقدم بعضها ـ كلها تدل على مدى تمسكهم بالسنة النبوية الشريفة والتسليم لها ، واحترامها وتعظيمها وتوقيرها .

وقد عقد الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه (الفقيه والمتفقه) باباً بهذا العنوان ، ذكر فيه كثيراً من النصوص عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى ، كلها تدل على هذا المعنى ، أذكر بعضها ، مع عزوها إلى مصادرها الأصلية ما أمكن إن شاء الله تعالى .

ـ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : من سرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً ؛ فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس ، حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وآله وسلم سنن الهدى ، وإنهن من سنن

= الديات : باب دية الجنين ، رقم (٢٦٤١) والمعجم الكبير (٤ : ٩) وسنن الدارقطني (٣ : ١١٥ ـ ١١٧) والمستدرك (٣ : ٥٧٥) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٣٧٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ ، ١١٤ ، ١١٥).

الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطُّهور ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد ؛ إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف . رواه مسلم[1].

*** ـ لهذا كانوا رضي الله تعالى عنهم ينكرون أشد الإنكار على من لم تطب نفسه بالسنة ، أو كان يستهزىء بها .**

ـ فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بينما رجلٌ يتبختر في بردين ؛ خسف الله به الأرضَ ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » فقال له فتى ـ قد سماه ـ وهو في حلةٍ : يا أبا هريرة ؛ أهكذا كان يمشي ذلك الفتى الذي خسف به ؟ ثم ضرب بيده ، فعثر عثرة كاد ينكسر منها ، فقال أبو هريرة : للمنخرين والفم ، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ هذا لفظ الدارمي ، والحديث متفق عليه[2].

ـ وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : يا أيها الناس ؛ لا عذر لأحدٍ بعد السنة ، في ضلالةٍ ركبها حسبها هدى ، ولا في هدىً تركه حسبه ضلالةً ، قد بينت الأمور ، وثبتت الحجة[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ، رقم (٢٥٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب من جر ثوبه من الخيلاء . وصحيح مسلم : كتاب اللباس : باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه ، رقم (٤٩ ـ ٥٠) وسنن الدارمي (١ : ٩٦ رقم ٤٤٣).

(٣) الفقيه والمتفقه (١ : ١٤٨).

وعن أبي الشعثاء رحمه الله تعالى قال : كنا قعوداً في المسجد مع أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، فأذَّن المؤذن ، فقام رجل من المسجد يمشي ، فأتبعه أبو هريرة بصرَه حتى خرج من المسجد ، فقال أبو هريرة : أما هذا فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم . رواه مسلم[1].

وقد بلغ الأمر ذروته في الإنكار على من خالف السنة فلم يعمل بها ، في حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه حيث إنه رأى رجلاً لا يتم الركوع والسجود ، فلما قضى صلاته ؛ قال له حذيفة رضي الله تعالى عنه : ما صليت ، قال أبو وائل (الراوي عن حذيفة) : وأحسبه قال : لو متَّ متَّ على غير سنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . رواه البخاري[2].

لأن من تعظيم السنة واحترامها العملَ بها وتطبيقها ، فلما كان هذا المصلي غير مطبِّقٍ لها ، كان مضيعاً ومخالفاً لهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ، ويرزقنا حسن الاتباع الكامل لنبيه وحبيبه صلى الله عليه وآله وسلم .

***ـ مراجعة بعضهم بعضاً عند التشكيك :**

وهذا أمر مهمٌ جداً ، وقد اتخذ أشكالاً متعددة ، فقد يراجعون المُحدِّث نفسه ليتدبر الحديث الذي حدَّث به ، لعله وَهِم أو أخطأ ، أو دخل عنده حديث في حديث ،... فيراجعونه في ذلك ليتثبَّتوا من صحة نقله ، وإضافته إلى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن ، رقم (٢٥٨ ، ٢٥٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب إذا لم يتم السجود ، وفي كتاب الأذان : باب إذا لم يتم السجود . أيضاً .

ومن ذلك :

أ ـ مراجعة المُحدِّث ليتدبَّر الحديث الذي حدَّث به .

فعن عمرو بن عَبَسَة رضي الله تعالى عنه ـ في قصة إسلامه ، وهو حديث طويل ، رواه مسلم في صحيحه[1] ، وقد أسلم في مكة ، ثم رجع إلى قومه ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، ولما بلغ عَمْراً هجرة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتسارع الناس إلى الإسلام قدم إلى المدينة . قال عمرو : فقدمت المدينة ، فدخلت عليه ، فقلت يا رسول الله ؛ أتعرفني ؟ قال : « نعم ، أنت الذي لقيتني بمكة ؟ » قال : فقلتُ : بلى ، فقلت : يا نبي الله ؛ أخبرني عما علَّمك الله وأجهله ... فذكر الصلاة ... والوضوء وما فيه .

فحدَّث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له أبو أمامة : يا عمرو بنَ عبسة ؛ انظر ما تقول ، في مقام واحدٍ يُعطى هذا الرجلُ ؟

فقال عمرو : يا أبا أمامة ؛ لقد كبرت سني ، ورقَّ عظمي ، واقترب أجلي ، وما بي حاجة أن أكذب على الله ، ولا على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً (حتى عدَّ سبع مرات) ما حدَّثت به أبداً ، ولكني سمعته أكثر من ذلك.اهـ لفظ مسلم .

فقول أبي أمامة رضي الله تعالى عنه : (يا عمرو بن عبسة ؛ انظر ما تقول ،...) استنكار منه بأن يُعطى الرجل كل هذا في مقام واحد .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب إسلام عمرو بن عَبَسَة ، رقم (٢٩٤).

وأما قول عمرو بن عبسةَ رضي الله تعالى عنه : (لو لم أسمعه ، ... حتى قوله : ولكني سمعته أكثر من ذلك). يريد أنه لو لم يتحقق منه ، ويجزم به لما حدَّث به ، وجاء ذكر المرات بياناً لصورة حاله ، لا أنه يريد ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن كثرة عدد السماع شرط في الرواية ، لأن من سمعه مرة واحدة جاز له الرواية به ، بل يتعين عليه إذا انفرد ، والله تعالى أعلم[1].

ب ـ ومن صور التنقير والتثبت **إعادة السؤال بعد فترة من الزمن ، حتى يتثبَّت السائل من حفظ المسؤول .**

ومن ذلك ما رواه الشيخان[2] ـ واللفظ لمسلم ـ بسنديهما إلى عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال : قالت لي عائشة رضي الله تعالى عنها : يا ابن أختي ؛ بلغني أن عبد الله بن عَمرٍو مارٌّ بنا إلى الحج ، فالْقَه فسائله ، فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علماً كثيراً . قال : فلقيته ، فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال عروة : فكان فيما ذكر ؛ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله لا ينتزعُ العلمَ من الناس انتزاعاً ، ولكن يقبضُ العلماءَ فيرفعُ العلمَ معهم ، ويُبقي في الناس رؤوساً جهّالاً ، يُفتونهم بغير علم ، فيَضلون ويُضلون ».

قال عروة : فلما حدَّثتُ عائشة بذلك ، أعظمت ذلك وأنكرته ، قالت : أحدَّثك أنه سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول هذا ؟

قال عروة : حتى إذا كان قابِلٌ ؛ قالت له : إن ابنَ عَمْرو قد قدِم ، فالْقَه

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٦ : ١١٨) والأبي والسنوسي (٢ : ٤٣٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب كيف يقبض العلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب العلم : باب رفع العلم وقبضه ، رقم (١٣ ـ ١٤).

ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم ، قال : فلقيته ، فساءلته ، فذكره لي نحو ما حدَّثني به في المرة الأولى .

قال عروة : فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه إلا قد صدق ، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم يَنْقُص .

فقد صدَّقتْه حيث إنه لم يغيِّر من روايته شيئاً بعد مرور عام كامل .

ج ـ ومن ذلك **أن يُرسل السائل ـ أو السامع ـ إلى صحابي آخر ليتأكد من ضبط الأول وإتقانه** ، وهذا كثير أيضاً ، فمن ذلك :

فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص رحمه الله تعالى أنه كان قاعداً عند عبد الله بن عمر ، إذ طلع خَبَّابٌ صاحب المقصورة ، فقال : يا عبد الله بن عمر ، ألا تسمعُ ما يقول أبو هريرة ؟ إِأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من خرج مع جنازة من بيتها ، وصلّى عليها ، ثم تبعها حتى تُدفن ؛ كان له قيراطان من أجر ؛ كلُّ قيراط مثلُ أُحدٍ ، ومن صلّى عليها ثم رجع ؛ كان له من الأجر مثل أُحد » .

فأرسل ابن عمر خبّاباً إلى عائشة يسألُها عن قول أبي هريرة ، ثم يرجعُ إليه فيخبرُه ما قالت ، وأخذ ابن عمر قبضةً من حصباءِ المسجد يُقلِّبها في يده ، حتى رجع إليه الرسول ، فقال : قالت عائشة : صدق أبو هريرة . فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الأرضَ ، ثم قال : لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1] .

فلما صدَّقت السيدة عائشة أبا هريرة ، قال ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهم ـ : لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة ، متندِّماً على ما كان يفعله ، حيث كان

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب فضل اتباع الجنائز . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ، رقم (٥٢ ـ ٥٧) .

يصلي ولا يتْبَع ـ وهو الحريص على الخير .

كل ذلك حرصاً منهم رضي الله تعالى عنهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

د ـ ومن ذلك **أن يكتب السامع إلى صحابي آخر غير موجود في مصره ـ أو البلد الذي سمع فيه ـ ليتأكد من صحة نسبة الخبر الذي سمعه** ، وهذا كثير أيضاً .

ـ فعن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه قال : سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فأنكر ذلك عمران بن حصين ، وقال : حفظنا سكتة ، فكتبا في ذلك إلى أبي بن كعب بالمدينة . فكتب أُبيٌّ : أن حفظ سمرة . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، والدارقطني[1] .

هـ ـ ومن ذلك **أن يأخذ من حدَّثه إلى من كان قد سمعه منه ، ليتأكد من صحة نسبة الحديث الذي حدَّثه به عنه** ، حتى يأخذ به السامع .

ـ فعن نافع ، أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال له رجلٌ من بني ليث : إن أبا سعيد الخدري يأثرُ هذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال نافع : فذهب عبد الله وأنا معه والليثي ، حتى دخل على أبي سعيد

(١) مسند أحمد (٥ : ٧ ، ١١ ـ ١٢ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢١) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب السكتة عند الافتتاح ، رقم (٧٧٧ ـ ٧٨٠) وسنن الترمذي : باب ما جاء في السكتة في الصلاة ، رقم (٢٥١) وسنن ابن ماجه : باب في سكتتي الإمام ، رقم (٨٤٤ ، ٨٤٥) كلاهما في الصلاة ، وصحيح ابن حبان (٣ : ١٤٧) والمستدرك (٥ : ٢١٥) وسنن الدارقطني (١ : ٣٣٦). وتحسين الترمذي رحمه الله تعالى للخلاف في سماع الحسن من سمرة ، وقد صحح عدداً من رواياته .

الخدري ، فقال : إن هذا أخبرني أنك تخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن بيع الوَرِق بالوَرِق إلا مثلاً بمثل ، وعن بيع الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل . فأشار أبو سعيد بإصبعيه إلى عينيه وأذنيه ، فقال : أبصرت عيناي وسمعت أذناي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا تبيعوا الذهب بالذهب ، ولا تبيعوا الوَرِق بالوَرِق ، إلا مثلاً بمثل ، ولا تُشِفُّوا بعضه على بعض ، ولا تبيعوا شيئاً غائباً منه بناجزٍ ، إلا يداً بيد ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

فلما حدَّث أبو سعيد عبدَ الله بنَ عمر رضي الله تعالى عنهم ؛ صار ينهى عنه ، بعد أن كان أفتى به[2]. رضي الله تعالى عنهم .

و ـ ومن ذلك **أن يعرض على من حضره منهم ليخبروه بصدق قوله ، وصحة نسبة الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم** ، وقد يستحلف بعضهم على ذلك .

ـ فعن أبي المنهال رحمه الله تعالى قال : سألت البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما عن الصَّرف ؟ فقال : سل زيد بن أرقم فهو أعلم ، فسألت زيداً ، فقال : سل البراء فإنه أعلم ، ثم قالا : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع الوَرِق بالذهب ديناً . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المساقاة : باب بيع الفضة بالفضة . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب الربا ، رقم (٧٦).

(٢) انظر : صحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب بيع الطعام مثلاً بمثل ، رقم (١٠٠). وانظر فتح الباري (٤ : ٣٨٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بيع الوَرِق بالذهب نسيئة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب النهي عن بيع الوَرِق بالذهب ديناً ، رقم (٨٦ ، ٨٧).

ـ وعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ـ حين حوصر ، أشرف عليهم ـ وقال : أنشدكم بالله ؛ ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من حفر رومة » وعند النسائي والترمذي ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يُستعذب غير بئر رومة ، فقال : « من يشتري بئر رومة فيجعلُ فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة ». فاشتريتها من صلب مالي ، فجعلت دلوي فيها مع دلاء المسلمين ،... الحديث بطوله ، رواه البخاري ـ تعليقاً ـ والترمذي والنسائي[1].

ز ـ ومن ذلك أيضاً : **أن يَحلِفَ المُحَدِّثُ نفسُه إذا شعر بتشكك السامع** ، وهذا كثير أيضاً .

ـ فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، لما توفي سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله تعالى عنه ـ قالت : ادخلوا به المسجد حتى أصلي عليه ، فأُنكر ذلك عليها ، فقالت : والله لقد صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم على ابني بيضاء في المسجد ؛ سهيل وأخيه . رواه مسلم[2].

فقد حلفت رضي الله تعالى عنها لما أنكروا طلبها وطلب أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن إدخال جنازة سعد رضي الله تعالى عنه إلى المسجد ، وذلك لنسيانهم ، فحلفت مذكرةً لهم ، فسلَّموا لها ذلك .

ح ـ ومن ذلك أيضاً : **أن يذْكرَ المُحَدِّثُ منهم ما يؤكد على حفظه**

(١) صحيح البخاري : كتاب الوصايا : باب إذا وقف أرضاً أو بئراً ،... وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب عثمان ، رقم (٣٦٩٩) وسنن النسائي : كتاب الأحباس : باب وقف المساجد (٦ : ٢٣٣ ـ ٢٣٧) من طرق ، وانظر : فتح الباري (٥ : ٤٠٧).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الجنازة في المسجد ، رقم (٩٩ ـ ١٠١).

وضبطه وإتقانه ، وهذا كثير أيضاً .

ـ فعن أبي اليَسر رضي الله عنه الطويل ـ وقد رواه مسلم[1] ـ وفي آخره قصة محوه للصحيفة التي فيها الدَّيْن ، ثم قال : فأشهد بَصَرُ عينيَّ هاتين (ووضع أصبعيه على عينيه) وسَمْعُ أذنيَّ هاتين ، ووعاه قلبي هذا (وأشار إلى مناط قلبه) رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول : «من أنظر معسراً ، أو وضع عنه ؛ أظله الله في ظله ».

وقد كرر هذا أيضاً في حديث : « أطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ».

وهناك نصوص كثيرة في هذا الباب ، كحديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما ـ وهو متفق عليه ـ وغيره أيضاً .

ط ـ ومن ذلك أيضاً : **أن يستحلف السامعُ من حدَّثه عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حتى يتأكد من صحة سماعه** ، حفاظاً على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد ضرب علي بنُ أبي طالب رضي الله تعالى عنه المثلَ في هذا الباب .

ـ فعنه رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ إذا سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً نفعني الله منه ما شاء ، وإذا حدَّثني غيره استحلفتُه ، وحدَّثني أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ وصَدق أبو بكر ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما مِن رجل يُذنبُ ذنباً ؛ فيتوضّأُ ، فيُحسنُ الوضوءَ ، ويصلّي ركعتين ، فيستغفر الله عز وجل ؛ إلّا غُفر له » ثم قرأ هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ...﴾ إلى

(١) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق : باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليَسَر ، رقم (٧٤).

آخر الآية[1]. رواه أحمد وابن أبي شيبة والطيالسي والحُميدي والأربعة والبزار وأبو يعلى وغيرهم ، وحسنه الترمذي وابن عدي والبغوي والحافظ ابن حجر ، وصححه ابن حبان ، وقال ابن عدي : أرجو أن يكون صحيحاً[2].

ي ـ ومن ذلك أيضاً : **أن يذكر من كان حاضراً معه عند سماعهم الحديثَ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وطلبه من سامعيه أن يسأل الذي يشير إليه ، زيادة في اطمئنان السامع .**

ـ فعن أبي حُميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال : استعمل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً من بني أسد يقال له : ابنُ اللتبية ، على صدقة ،... الحديث وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ... والذي نفسي بيده لا يأتي بشيءٍ إلا جاء به يومَ القيامة ؛ يحمله على رقبته ، إن كان بعيراً له رغاء ، أو بقرةً لها خوار ، أو شاةً تيعر ـ ثم رفع يديه ، حتى رأينا عُفرتي إبطيه ـ ألا

---

(١) سورة آل عمران (١٣٥).

(٢) مسند أحمد (١ : ٢ ، ٨ ـ ١٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٣٨٧ ـ ٣٨٨) ومسند الطيالسي (٢ ، ٢ ـ ٣) ومسند الحميدي (١ : ٢ ، ٤ ـ ٥) ومسند أبي بكر للمروزي (٤٢ ـ ٤٤ من طرق) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب في الاستغفار ، رقم (١٥٢١) وسنن الترمذي : كتاب الصلاة : باب ما جاء في الصلاة عند التوبة ، وكتاب التفسير : ومن سورة آل عمران ، رقم (٤٠٦ ، ٣٠٠٦) والسنن الكبرى للنسائي (٦ : ١٠٩ ، ١١٠ من طرق ، ٣١٥) وعمل اليوم والليلة له (٣١٥ ـ ٣١٧ من طرق) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء أن الصلاة كفارة ، رقم (١٣٩٥) وعمل اليوم والليلة لابن السنّي (٢١٨ ـ ٢١٩) والبحر الزخّار (١ : ٦١ ـ ٦٢ من طرق) ومسند أبي يعلى (١ : ٩ ـ ١١ ، ٢٣ ـ ٢٦ من طرق) وشرح السنة (٤ : ١٥١ ـ ١٥٢) والكامل لابن عدي (١ : ٤٢٠ ـ ٤٢١) وقال : هذا حديث طريقه حسن ، وأرجو أن يكون صحيحاً ، وتهذيب التهذيب (١ : ٢٦٨) وجوَّد إسنادَه هنا ، وفتح الباري (١١ : ٩٨) وحسّنه هنا .

هل بلَّغتُ ؟ ثلاثاً ».

زاد في رواية : قال أبو حُميد : سمع أذناي ، وأبصرته عيني ، وسلوا زيد بن ثابت ، فإنه سمعه معي [وفي رواية : فإنه كان حاضراً معي]. متفق عليه[1].

زاد في رواية ، قال عروة [بن الزبير] : فقلت لأبي حُميد الساعدي : أسمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : مِن فيه إلى أذني .

ك ـ ومن ذلك أيضاً : **تنقير التابعين ـ أو الصحابة ـ على الصحابة ، بأن لا يحدِّثوهم إلا بما سمعوا من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة ؛ كأن يقول أحدهم : حدِّثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . أو ليس بينك وبينه أحد ، أو لم تسمعه من غيره** ، ونحو ذلك .والأمثلة في ذلك كثيرة .

ـ فعن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنهما ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ : « أنت مني بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبيَّ بعدي ».

قال سعيد : فأحببتُ أن أشافه به سعداً ، فلقيتُ سعداً ، فحدَّثتُه بما حدَّثني عامر . فقال : أنا سمعتُه ، فقلتُ : آنت سمعته ؟ فوضع إصبعيه على أذنيه ، فقال : نعم ، وإلّا فاستكّتا . رواه مسلم[2].

وعن عبد الله بن شقيق رحمه الله تعالى ، عن ابن أبي الجدعاء رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ليدخلن الجنةَ

(١) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب هدايا العمال ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب تحريم هدايا العمال ، رقم (٢٦ ـ ٢٩).

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل علي بن أبي طالب ، رقم (٣٠).

بشفاعة رجل من أمتي : أكثرُ من بني تميم ».

فقالوا : يا رسول الله ؛ سواك ؟ قال : « سواي ، سواي ».

قلت [القائل عبد الله بن شقيق] : أنت سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : أنا سمعته . رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة ، وصححه ابن حبان والحاكم[1].

وعن عَبيدة السَّلْماني رحمه الله تعالى ، عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال : ذكر الخوارجَ فقال : فيهم رجلٌ مُخْدَجُ اليد ـ أو مَثْدونُ اليد ـ لولا أن تَبْطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : قلت آنت سمعتَه من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة . رواه مسلم[2].

وهناك غير ما ذكرت من مظاهر التنقير والتثبت ، وقد فعلها الصحابة رضي الله تعالى عنهم أيضاً ، من باب المحافظة على السنة النبوية الشريفة ، والحرص عليها ، حتى لا يدخل دخيلٌ ، أو يتصدّى فيها من ليس أهلاً لذلك ، والله تعالى أعلم .

* ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم : **تصديق بعضهم لبعض** ، وذلك بأن يحدِّث أحدُهم أمام

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٦٩ ـ ٤٧٠ ، ٤٧٠) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب ذكر الاشفاعة ، رقم (٤٣١٦) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٣٧٦) والمستدرك (١ : ٧٠ ـ ٧١) وكتاب التوحيد (٢ : ٧٤٠) ورواه غيرهم ـ كأحمد والدارمي والترمذي في آخرين ـ لكن من غير الجملة الأخيرة .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب التحريض على قتل الخوارج ، رقم (١٥٥).

الآخرين ، ثم يسألهم عن ذلك ، أو ينقل فعلاً من أفعال النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ويطلب تأكيدَهم عليه ،... وهكذا ، وهذا كثير جدّاً أيضاً .

ـ فعن مالك بن أوس رضي الله تعالى عنه قال : بينما أنا جالس في أهلي حين مَتَع النهار ، إذا رسولُ عمر بن الخطاب يأتيني ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر ، فإذا هو جالس على رِمال سرير ، ليس بينه وبينه فِراش ، متكىءٌ على وسادةٍ من أَدَم ، فسلمتُ عليه ، ثم جلست ،... فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبُه يَرْفَأُ ، فقال : هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون ؟ قال : نعم ، فأذن لهم ، فدخلوا ، فسلّموا ، وجلسوا ، ثم جلس يرفأ يسيراً ، ثم قال : هل لك في علي وعباس ؟ قال : نعم ، فأذن لهم ، فدخلا ، فسلّما ، فجلسا .

فقال : عباس : يا أمير المؤمنين ؛ اقض بيني وبين هذا ـ وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من مال بني النضير ـ فقال الرهط ـ عثمان وأصحابه ـ : يا أمير المؤمنين ؛ اقضِ بينهما ، وأرح أحدهما من الآخر .

فقال عمر : تَئِيدَكم[1] ، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » ؟ يريد رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسَه . قال الرهط : قد قال ذلك ـ وفي رواية : قالوا : نعم .

(١) بفتح أوله وفتح الدال ، وكسر التحتانية ، مهموز ، وهو من الرفق ، أي اصبروا وأمهلوا وعلى رسلكم .

فأقبل عمرُ على عليٍّ وعباس ، فقال : أنشدكما بالله ، أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال ذلك ؟ قالا : قد قالَ ذلك ـ وعند مسلم : قالا : نعم ـ ،... الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

ففي هذا الحديث تصديقُ الصحابة الكرام عثمان وعلي والعباس والزبير وعبد الرحمن وسعد رضي الله تعالى عنهم لعمر رضي الله تعالى عنه فيما سألهم من سماعهم لهذا الحديث ، كما فيه استحلافهم على سماعهم ومناشدته لهم .

تنبيه : قاتل الله من زعم أن أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما منعا أهلَ البيت حقَّهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه شهادة عليٍّ والعباس رضي الله تعالى عنهما ـ مع بقية إخوانهم رضي الله تعالى عنهم ـ أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك ، والله تعالى أعلم .

* ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم : **إنكارهم على من قال بخلاف ما عندهم ، وتخطئة من قال بخلاف ما سمعوه** من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، أو بخلاف ما يعلمونه من السنة ، كقولهم : كذب فلان ، أو كذبتَ ، أو من قال بغير ذلك فقد كذب ، أو من قال كذا فقد كذب ، ونحو ذلك ، وكذب بلغة أهل الحجاز بمعنى أخطأ .

ـ فعن جابر بن سمُرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يخطب قائماً ، ثم يجلس . ثم يقوم فيخطب قائماً . فمن نبَّأك

(١) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب فرض الخمس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب حكم الفيء ، رقم (٤٩).

أنه كان يخطب جالساً فقد كذب ، فقد والله ، صليتُ معه أكثر من ألفَي صلاة . رواه مسلم[1].

* وعن سعيد بن جُبير رحمه الله تعالى قال : قلت لابن عباس : إن نوفاً البَكَاليَّ يزعم أن موسى عليه السلام صاحبَ بني إسرائيل ليس هو موسى صاحبَ الخضر عليه السلام ، فقال : كذب عدوُّ الله ، سمعتُ أُبيَّ بنَ كعب يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل ، فسُئل : أيُّ الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرُدَّ العلمَ إليه ، فأوحى الله إليه : إن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منكَ . قال موسى : أي ربِّ ، كيف لي به ؟ فقيل له : احمل حوتاً في مكتل ، فحيث تفقد الحوتَ فهو ثمَّ ،... » الحديث بطوله ، في قصة موسى والخضر عليهما السلام ، بنحو ما حكاه القرآن الكريم . متفق عليه[2].

ـ قوله : كذب عدوُّ الله : قال ابنُ التين رحمه الله تعالى : لم يرد ابن عباس إخراجَ نوفٍ من ولاية الله ، ولكن قلوب العلماء تنفر إذا سمعت غيرَ الحق ، فيطلقون أمثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه ، وحقيقتُه غيرُ مرادة .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : أما تكذيبُه ؛ فيُستفاد منه : أن العالمَ إذا كان

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة ، رقم (٣٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب ما يستحب للعالم إذا سُئل أيُّ الناس أعلم فيكل العلمَ إلى الله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب من فضائل الخضر عليه السلام ، رقم (١٧٠ ـ ١٧٢).

عنده علمٌ بشيءٍ ، فسمع غيرَه يذكر فيه شيئاً بغير علم أن يكذِّبه[1]،...

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : سمعت هشامَ بن حكيم يقرأ سورةَ الفرقان ؛ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ؛ لم يُقرئنيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكدتُ أساوره في الصلاة ، فتصبَّرتُ حتى سلَّم ، فلببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ ؟ قال : أقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقلتُ : كذبتَ ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ ،... الحديث بطوله ، في نزول القرآن على سبعة أحرف ، وليقرأ المسلم بما تيسر له ، وقد سبق ذكره كاملاً . متفق عليه[2].

ـ والنصوص في هذا الباب كثيرة ولله الحمد والمنة .

*** ـ ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم : طلب من يشهد لما حدَّث به ، وذلك عند التشكك من صحة الرواية ، أو عند خوف الخطأ فيها ، أو لرغبة التثبت ، ونحو ذلك .**

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : كنا في مجلسٍ عند أُبي بن كعبٍ ، فأتى أبو موسى الأشعريُّ مغضَباً حتى وقف ، فقال : أنشدكم الله ؛ هل سمع أحدٌ منكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « الاستئذان ثلاثٌ ، فإن أُذن لك ، وإلّا فارجع ».

---

(١) فتح الباري (١ : ٢١٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، رقم (٢٧٠ـ ٢٧١).

قال أُبيٌّ : وما ذاك؟ قال : استأذنتُ على عُمر بنِ الخطاب أمسِ ثلاثَ مرّات ، فلم يُؤذن لي ، فرجعتُ ، ثم جئتُه اليومَ ، فدخلتُ عليه ، فأخبرتُه أني جئتُ أمسِ فسلَّمتُ ثلاثاً ، ثم انصرفتُ . قال : قد سمعناك ونحن على شغل ، فلو ما استأذنتَ حتى يُؤذنَ لك ؟ قال : استأذنتُ كما سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال : فوالله لأُوجعنَّ ظهرَك وبطنَك ، أو لتأتينَّ بمن يشهد لك على هذا .

قال أُبيُّ بنُ كعبٍ : فوالله لا يقوم معك إلّا أحْدَثُنا سِنّاً . قم يا أبا سعيد ، فقمتُ حتى أتيتُ عمر ، فقلت : قد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول هذا . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1]. وقد رواه مالك وعدد من أصحاب السنن ، وله ألفاظ عدة .

وفي بعضها قال : أما إنّي لم أتهمك ، ولكني خشيتُ أن يتقوَّلَ الناسُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي أخرى : أما إني لم أتهمك ، ولكني أردتُ ألّا يتجرّأ الناسُ على الحديث على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي رواية لهما ، قال : سبحان الله ، إنما أتثبّت .

وبهذه الزيادات يتّضح : أن المراد هو التثبت ، وليس اتهام أبي موسى رضي الله تعالى عنه ، الذي له مكانة مرموقة عند عمر رضي الله تعالى عنه ، والله تعالى أعلم . وهناك عدد من القصص في ذلك .

* ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم صلى الله

(١) صحيح البخاري : كتاب الاستئذان : باب التسليم والاستئذان ثلاثاً ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الآداب : باب الاستئذان ، رقم (٣٣ـ٣٧) وفي بعضها : شهد أُبيُّ بن كعبٍ رضي الله تعالى عنه أيضاً .

عليه وآله وسلم : **محافظتهم على ما فارقهم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم** ، بحيث إن أحدهم يبقى على العهد الذي تركهم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن كان أحدهم يلاقي بعض الشدة والمشقة في محافظته على ذلك ، لكنهم لا يريدون أن يغيروا شيئاً تركهم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا كثير .

ـ فعن أبي مسلم الخولاني رحمه الله تعالى قال : حدثني الحبيب الأمين ، أما هو فحبيب إلي ، وأما هو عندي فأمين ؛ عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ تسعةً ـ أو ثمانيةً ، أو سبعةً ـ فقال : « ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ». وكنا حديثَ عهدٍ ببيعةٍ ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ! ثم قال : « ألا تبايعون رسول الله ؟ ». فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ! ثم قال : « ألا تبايعون رسول الله ؟ ». قال : فبسطنا أيدينا وقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعُك ؟ قال : « على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس ، وتطيعوا (وأسرَّ كلمةً خفيةً) ولا تسألوا الناس شيئاً ».

فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم ، فما يسألُ أحداً يناوله إياه . رواه مسلم[1].

وهذا كثير في التزام الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم الحالَ التي تركهم عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، سواء التزموا بها أمامه صلى الله عليه وآله وسلم ، أو حثَّهم وأمرهم بها ، أو عاهدوه عليها ، أو كانوا يفعلونها في حياته صلى الله عليه وآله وسلم ،...إلخ.

(١) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب كراهة المسألة للناس ، رقم (١٠٨).

* ومن حفاظهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم : **ما قام به بعضهم من الرحلات إلى أقطار نائية من أجل سماع حديث** لم يعرفه ، أو لم يسمعه من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، أو كان قد سمعه لكنه تشكّك فيه ، فأحب أن يتثبت من روايته ، ويكونون رضوان الله تعالى عليهم بهذا العمل قد فتحوا باب الرحلات في طلب العلم لمن جاء بعدهم من هذه الأمة .

وقد ألف الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى كتاباً خاصاً بذلك حافلاً سماه : (الرحلة في طلب الحديث)[1]. ذكر ت في الأصل بعضَ نصوصه .

ـ فمن ذلك : رحلةُ جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما إلى عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه ، إلى الشام ، ليسمع منه حديثاً ، في القصاص ، سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخشي أن يموتَ أحدهما قبل أن يسمعه .

وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يُحشر الناس يوم القيامة ـ أو قال : العبادُ ـ عُراةً غُرْلاً بُهْماً ـ » قال : قلنا : وما بُهْماً ؟ قال : « ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من قَرُب : أنا الملك ، أنا الديَّان ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخلَ النارَ وله عند أحد من أهل الجنة حقٌّ حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخلَ الجنة ولأحد من أهل النار عنده حقٌّ حتى أقصه منه ، حتى اللطمة »قال : قلنا : كيف ، وإنما نأتي الله عز وجل عُراةً غُرْلاً بُهْماً ؟ قال : « بالحسنات والسيئات ». رواه

(١) وهو مطبوع ، وخير طبعاته ما فعله أخونا العلامة الفاضل الأستاذ الدكتور الشيخ نور الدين عتر ، سلمه الله تعالى ، فقد حققه تحقيقاً علميّاً ، وأضاف إليه في آخره نصوصاً كثيرة أيضاً .

أحمد ـ وهذا لفظه ـ والبخاري في الأدب المفرد ، والخطيب البغدادي ورجاله وثقوا ، وحسنه الهيثمي ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي[1].

ـ ومنها خروج أبي أيوب رضي الله تعالى عنه إلى عقبة بن عامر ـ وهو بمصر ـ يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في ستر المؤمن . لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيره وغير عقبة .

قال عقبة : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية ؛ ستره الله يوم القيامة ».

فقال له أبو أيوب : صدقت ، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعاً إلى المدينة ، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر . رواه الحميدي وأحمد والحاكم والطبراني والخطيب ، وأصل الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود والنسائي في الكبرى والطبراني وأحمد[2].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٩٥) والأدب المفرد (٣٢٦ رقم ٩٧٣) والجامع لأخلاق الراوي (٢ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦) وشرف أصحاب الحديث (١٠٩ ـ ١١٥) والمستدرك (٤ : ٤٣٧ ـ ٤٣٨) (٤ : ٥٧٤ ـ ٥٧٥) ومجمع الزوائد (١ : ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ، ٣٥١). وانظر : فتح الباري (١ : ١٧٤ ـ ١٧٥). وروى البخاري الرحلة تعليقاً في صحيحه أيضاً ، ورواه الطبراني في الأوسط ، والخطيب في الرحلة (١١٥ ـ ١١٨) لكن قال : في مصر .

(٢) مسند الحميدي (١ : ١٨٩ـ١٩٠) ومسند أحمد (٤ : ١٥٣ ، ١٥٩) ومعرفة علوم الحديث (٧ ـ ٨) والرحلة (١١٨ ـ ١٢٣) وجامع بيان العلم (٩٣ ـ ٩٤) ومفتاح الجنة (٣٩) وعزاه للبيهقي . وانظر : سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الستر على المسلم ، رقم (٤٨٩١) والأدب المفرد (٢٥٧ ـ ٢٥٨) ومسند أحمد (٤ : ١٤٧ ، ١٥٨) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ٣٠٧ ، ٣٠٨) وتحفة الأشراف (٧ : ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، ٣١٥) حيث عزاه للنسائي في الكبرى أيضاً ، والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٣٣١) والأسماء المبهمة (٦٣) والجامع الصغير (٢ : =

فهذا أبو أيوب رضي الله تعالى عنه على تقدم صحبته وكثرة سماعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ رحل إلى صحابي آخر من أقرانه مسافات بعيدة من أجل حديث واحد ، ولو اقتصر على سماعه لأمكنه ، بل لو اقتصر على سماعه من بعض أصحابه لأمكنه ذلك ، ولكن حفاظهم على سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتثبتهم في صحة الألفاظ وضبطها ؛ جعلهم يستهينون الصعاب ، ويرحلون ألوفَ الأميال ، ويفارقون الأهلَ والأوطان والأحباب ، ويستسهلون في ذلك المشاق ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل .

وهكذا ضربوا رضي الله عنهم أروع المثل في الحفاظ على سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى[1]: ... حتى لقد كان أحدهم يرحل المراحل ذوات العدد ، ويقطع الفيافي والمفاوز الخطيرة ، ويجوب البلاد شرقاً وغرباً في طلب حديث واحد ، ليسمعه من راويه.اهـ.

رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، وجزاهم عنا خير ما جزى صحب نبي عن أمة نبيها ، وحشرنا معهم تحت لواء النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

* ومن حفاظهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم : **ما قام به بعضهم من تدوين الأحاديث التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو حفظها في دواوين مستقلة .**

= ٦٠٩) والمعجم الكبير (١٧ : رقم ٧٩٥ ، ٨٦٤ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٩٦٢) ومجمع الزوائد (١ : ١٣٤) وقال عن أحد أسانيد أحمد : رجاله ثقات ، فالحديث حسن ، والله تعالى أعلم .

(١) جامع الأصول (١ : ٣٩ـ ٤٠).

لقد ذكرت في الأصل أن السنة النبوية بدأ تدوينها في عهد النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى ؛ إلا والسنة النبوية قد كُتب بعضُها ، وأُذن في كتابة الآخر .

وقد بدأ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بكتابة السنة النبوية بعد وفاة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذا فعل كبار التابعين بين يدي الصحابة الكرام ، من غير إنكار منهم ، إلا ما كان في بدء الخلافة الراشدة .

فمن الصحابة الكرام من دوَّن بنفسه لأنه كاتب ، ومنهم من أملى على غيره من الصحابة والتابعين ، لأنه لا يعرف الكتابة ، ومنهم أذن في ذلك ، بل منهم من أَمر بتدوين العلم ، ومنهم من دُوِّن بين يديه ولم ينكر ، ومنهم من كان يكتب لغيره لأنه بعيد عنه ،... وهكذا .والله تعالى أعلم .

وأول من دوَّن السنة بعد وفاة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

*** ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم : نشرهم لها ، وبثها بين الناس** ، سواء في الدروس العامة ، أو حلقات التحديث ، أو في الخطب ، أو عند نزول النوازل ، كل ذلك خشية كتم العلم .

ـ فعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال : والله لأُحدِّثَنَّكم حديثاً ، لولا آيةٌ في كتاب الله ما حدَّثتُكم . إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا يتوضأ رجلٌ مسلمٌ فيحسن الوضوءَ ، فيصلّي صلاةً ؛ إلا

غَفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها ». رواه مسلم[1].

ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله ماحدثتُ حديثاً ، ثم يتلو ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ـ إلى قوله ـ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفقُ بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العملُ في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بشبع بطنه ، ويحضر مالا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون .

وفي رواية : وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ملء بطني ، فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً : « أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ، ثم يجمعه إلى صدره ، فإنه لم ينس شيئاً سمعه » فبسطت بردةً عَليَّ ، حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتُها إلى صدري ، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به . متفق عليه[2].

*****

(١) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب فضل الوضوء والصلاة عقبه ، رقم (٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب حفظ العلم ، وكتاب البيوع : باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾. وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه ، رقم (١٥٩ ـ ١٦٠).

فصل
مواقف الصحابة رضي الله عنهم في الدفاع عن النبي الكريم ﷺ

إن مواقف الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في دفاعهم عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا أساء إليه أحد ، أو نال منه ، أو قصّر معه ، أو لم يتأدب معه ، أو نحو ذلك ـ سواء كان الفعل من كافر أو منافق أو كتابي ، بل حتى لو كان جاهلاً ـ ... كثيرة جدّاً ، لا يستوعبها هذا المختصر ، لذا فإني سأقتصر على ذكر بعض الحالات ، الدّالة على هذه المواقف الشريفة ، وأجعلها مجملة ، تحت عناوين محددة .

١ ـ مواقف أبي بكر رضي الله تعالى عنه في مكة .

إن مواقف أبي بكر الصّدِّيق رضي الله تعالى عنه في الدفاع عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كلُّها مشرفة ، لكني أقتصر على ذكر بعضها ، نال من جرائها التعذيب والإيذاء الشديد من قبل كفار قريش .

* عن عروة بن الزبير قال : سألت ابنَ عَمْرو بن العاص ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . قال : بينا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي في حِجْر الكعبة ، إذ أقبل عقبةُ بنُ أبي مُعَيط ، فوضع ثوبَه في عنقه ، فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر ، حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ الآية[1] ، رواه البخاري[2].

---

(١) سورة غافر (٢٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب ما لقي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم =

* وعن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال : ما رأيت قريشاً أرادوا قتلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا يوماً ، رأيتهم وهم جلوس في ظل الكعبة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي عند المقام ، فقام إليه عقبةُ بن أبي مُعَيط ، فجعل رداءَه في عنقه ، ثم جذبه حتى وجب لركبتيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وتصايح الناس ، فظنوا أنه مقتول ، قال : وأقبل أبو بكر رضي الله تعالى عنه يشتد ، حتى أخذ بضبُعَي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مِن ورائه ، وهو يقول : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ ثم انصرفوا عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما قضى صلاتَه ، مرَّ بهم وهم جلوسٌ في ظل الكعبة ، فقال : « يا معشر قريش ، أما والذي نفسي بيده ما أُرسلتُ إليكم إلا بالذبح » وأشار بيده إلى حلقه ، فقال له أبو جهل : يا محمد ؛ ما كنتَ جهولاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنت منهم ». رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي ، ورواه النسائي مختصراً ، والبخاري تعليقاً ، وصححه ابن حبان[1].

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : لقد ضربوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة حتى غُشي عليه ، فقام أبو بكر ، فجعل ينادي : ويلكم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾؟ فقالوا من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر

= وأصحابُه من المشركين بمكة .

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٢٩٧) وخلق أفعال العباد (٧٥) وتفسير النسائي (٢ : ٢٥١ ـ ٢٥٢) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠) وللبيهقي (٢ : ٢٧٧) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٥٢٩) ومجمع الزوائد (٦ : ١٦) وعزاه لأبي يعلى والطبراني ، وإتحاف الخيرة المهرة (٨ : ١٥٠) وانظر : فتح الباري (٧ : ١٦٩).

المجنون ، فتركوه ، وأقبلوا على أبي بكر . رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي[1].

* وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ـ أنهم قالوا لها : ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقالت : كان المشركون قعدوا في المسجد يتذاكرون رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما يقول في آلهتهم ، فبينا هم كذلك ، إذ أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقاموا إليه بأجمعهم ، فأتى الصريخ إلى أبي بكر ، فقيل : أدرك صاحبَك . فخرج من عندنا ، وإن له لغدائرَ أربعاً ، وهو يقول : ويلكم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[2]؟ فلهَوْا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقبلوا على أبي بكر ، قالت : فرجع إلينا أبو بكر ، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه ، وهو يقول : تباركت ياذا الجلال والإكرام . رواه الحميدي وأبو يعلى بإسناد حسن كما قال الحافظ[3].

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما اجتمع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ، ألحّ أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الظهور ، فقال : « يا أبا بكر ؛ إنّا

---

(١) مختصر زوائد مسند البزار (٢ : ٣) وكشف الأستار (٣ : ١٢٥) والمستدرك (٣ : ٦٧) والمطالب العالية (٤ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦) وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، ومجمع الزوائد (٦ : ١٧) وإتحاف الخيرة المهرة (٩ : ٥٥) وانظر : فتح الباري (٧ : ١٦٩).

(٢) سورة غافر (٢٨).

(٣) مسند الحميدي (١ : ١٥٥ـ١٥٦) ومسند أبي يعلى (١ : ٥٢) وإتحاف الخيرة المهرة (٩ : ٥٤) ومجمع الزوائد (٦ : ١٦ ـ ١٧) وانظر فتح الباري (٧ : ١٦٩).

قليل ».

فلم يزل أبو بكر يُلحُّ حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد ، كلُّ رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس ، فكان أولَ خطيبٍ دعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ، فضُربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووُطِئ أبو بكر ، وضُرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسقُ عتبةُ بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ، ويحرِّفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر ، حتى ما يُعرف وجهه من أنفه .

وجاء بنو تَيْم يتعادَون ، فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحَملت بنو تَيم أبا بكر في ثوب ، حتى أدخلوه منزلَه ، ولا يشكّون في موته ، ثم رجعت بنو تَيم فدخلوا المسجد ، وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبةَ بنَ ربيعة .

فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تَيم يكلِّمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلَّم آخرَ النهار ، فقال : **ما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم** ؟ فمسّوا منه بألسنتهم وعذَلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه ـ أمِّ الخَير ـ : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه . فلما خلت به ألحَّت عليه ، وجعل يقول : **ما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم** ؟ فقالت : والله مالي علمٌ بصاحبك ، فقال : اذهبي إلى أمِّ جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه .

فخرجت حتى جاءت أمَّ جميل ، فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت : ما أعرف أبا بكر ، ولا محمد بنَ عبد الله ، وإن كنتِ تحبّين أن أذهبَ معك إلى ابنك ؟ قالت : نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِفاً ، فدنت أمُّ جميل ، وأعلنت بالصياح ، وقالت : والله إن

قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم .

قال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالت : هذه أمُّك تسمع . قال : فلا شيء عليكِ منها . قالت : سالمٌ صالحٌ . قال : أين هو ؟ قالت : في دار ابن الأرقم .

قال : فإن لله عليَّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فأمْهَلتا حتى هدأت الرِّجلُ ، وسكن الناسُ ، خرجتا به يتَّكئ عليهما ، حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : فأكبَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبَّله ، وأكبَّ عليه المسلمون ، ورقَّ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رقةً شديدةً .

فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله ؛ ليس بي بأس إلا مانال الفاسق من وجهي ، وهذه أمّي ؛ برَّةٌ بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وادع الله لها ، عسى الله أن يستنقذها بك من النار .

قال : فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ودعاها إلى الله فأسلمت[1].

الذي يهمني من هذا النص موقف أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وقد أغمي عليه من شدة الضرب ، ولم يُعرف أنفُه من عينه ـ من شدة الورم ـ فلما نطق كان أول كلمة يقولها : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ لقد نسي كلَّ ما حصل معه ، ولم يبال بالألم ، ولم يكن همه رضي الله تعالى عنه إلا سلامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا سأل عنه ، حتى عذله أقرباؤه وأهله ، ولكنه لم يأبه بما قالوا ، فلما رأى رسولَ الله صلى الله

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢ : ٤٣٩ ـ ٤٤١).

عليه وآله وسلم سالماً ؛ زال عنه الهم الأكبر ، والخوف الأشد . رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعن الجميع .

* وعن محمد بن عقيل رحمه الله تعالى قال : خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقال : أيها الناس ؛ أخبروني من أشجع الناس ؟ قالوا : أنتَ يا أمير المؤمنين . قال : أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفتُ منه ، ولكن أخبروني بأشجع الناس ، قالوا : لا نعلم ، فمن ؟ قال : أبو بكر رضي الله تعالى عنه .

إنه كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عريشاً ، فقلنا : من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لئلا يهوي إليه أحدٌ من المشركين ، فوالله ما دنا منه أحدٌ إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يهوي إليه أحد . فهذا أشجع الناس .

قال عليٌّ : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذته قريش ، فهذا يجؤه ، وهذا يتلتله ، وهم يقولون : أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر ، يضرب هذا ، ويجأ هذا ، ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ ثم رفع عليٌّ بردةً كانت عليه فبكى ، حتى اخضلّت لحيتُه ، ثم قال : أنشدكم الله ؛ أمؤمنُ آل فرعون خيرٌ أم أبو بكر؟ فسكت القوم ، فقال : ألا تجيبوني ؟ فوالله ، لساعةٌ من أبي بكر خيرٌ من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجلٌ يكتم إيمانه ، وهذا أعلن إيمانه . رواه البزار[1].

(١) البحر الزخار (٣ : ١٤ـ ١٥) وكشف الأستار (٣ : ١٦١ ـ ١٦٢) ومجمع الزوائد (٩ : ٤٦ ـ ٤٧) ومختصر زوائد البزار (٢ : ٢٨٣ ـ ٢٨٤) وانظر فتح الباري (٧ : ١٦٩ ـ ١٧٠).

* وكيف لا يكون كذلك وقد قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، المتفق عليه[1]. فمن فداه بهؤلاء فكيف لا يفديه بنفسه ؟؟؟

٢ـ ضرب سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه لأبي جهل ، عند إساءته للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

* عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال : كان إسلامُ حمزة حميةً ، وكان رجلاً رامياً ، وكان يخرج من الحرم فيصطاد ، فإذا رجع مر بمجلس قريش ، وكانوا يجلسون عند الصفا والمروة ، فيمر بهم ، فيقول : رميتُ كذا وكذا ، وصنعتُ كذا وكذا ، ثم ينطلق إلى منزله .

وأقبل من رميه ذاتَ يوم ، فلقيته امرأةٌ ، فقالت : يا أبا عمارة ؛ ماذا لقي ابنُ أخيك من أبي جهل بن هشام ، شتمه وتناوله وفعل به ، فقال : هل رآه أحدٌ ؟ قالت : إي والله ، لقد رآه ناسٌ . فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصفا والمروة ، فإذا هم جلوس ، وأبو جهل فيهم ، فاتّكأ على قوسه ، فقال : رميتُ كذا ، وفعلتُ كذا ، ثم جمع يدَه بالقوس فضرب بها بين أُذنَي أبي جهل ، فدقَّ سيتَها ، ثم قال : خذها بالقوس ، وأخرى بالسيف ، أشهد أنه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه جاء بالحق من عند الله .

قالوا : يا أبا عمارة ؛ إنه سبَّ آلهتَنا ، ولو كنتَ أنت ـ وأنت أفضلُ منه ـ ما أقررناك وذاك ، ما كنتَ يا أبا عمارة فاحشاً . رواه الطبراني برجال الصحيح ،

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، رقم (٢). وسيأتي ذكره بعد قليل إن شاء الله تعالى .

كما رواه من حديث يعقوب بن عتبة بن الأخنس بن شريق برجال ثقات أيضاً ، ورواه ابن إسحٰق من وجه آخر مطوّلاً ـ ورواه الحاكم من طريقه أيضاً وعنه البيهقي[1].

يضربه رضي الله تعالى عنه بحضرة كفّار قريش ، وعلى الأخص من بني مخزوم ـ أقاربه ـ غير آبه بما سيؤول الأمر إليه ، ثم يرفع صوته بالتهديد الشديد ؛ هذه ضربة بالقوس ، وستليها ضربة بالسيف ، لذا ما كان منهم إلا التلطف ، ومن أبي جهل إلا الاعتذار .

٣ ـ المواقف يوم الهجرة .

لقد حصلت مواقف يوم هجرة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة مشرفة ، فيها دلالة الفداء والاستماتة دون المحبوب صلى الله عليه وآله وسلم ، أقتصر على أربعة منها ، هي :

أ ـ مغامرة سيدنا عليٍّ رضي الله تعالى عنه بنومه في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي بيته ، وشبابُ قريش محدقون بباب البيت ، ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لينقضّوا عليه ، ويضربونه ضربة رجل واحد ، فمن نام في مثل هذا الظرف الحرج جدّاً ، فقد غامر ، ويكون قد دفعه الفداء والاستماتة دون المحبوب ، والجهاد لحفظه وحياطته ، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبره أنهم لن يصلوا إليه ، لذا نام وهو في غاية الاطمئنان .

ب ـ موقف سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه من الهجرة .

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١ : ٣٦٠ـ٣٦١) والمعجم الكبير (٣ : ١٥٢ـ ١٥٤) والطبقات الكبرى (٣ : ٩) والمستدرك (٣ : ١٩٢ ـ ١٩٣) ومجمع الزوائد (٩ : ٢٦٧) ودلائل النبوة (٢ : ٢١٣ ـ ٢١٤) والسيرة النبوية لابن كثير (١ : ٤٤٥ ـ ٤٥٧).

لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر بالهجرة ، سأل الصحبةَ معه ، فوافق صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك ، فعرض عليه إحدى راحلتيه ، فأخذها صلى الله عليه وآله وسلم بالثمن ، وصنع أهلُ أبي بكر رضي الله تعالى عنهم لهما سفرة . وشقت أسماء بنتُ أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قطعةً من نطاقها وربطت بها فم الجراب . وكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما يبيت عندهما ، ثم يدلج بسحر ، فيصبح مع قريش كبائت في مكة ، ويتتبع الأخبار ، ويأتيهما عند اختلاط الظلام ، ويرعى عليهما عامرُ بن فُهيرة مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ، ويريح غنمه عليهما بعد الغروب ، فإذا أدلج عبد الله نعق عامر بغنمه خلفه حتى يعمّي على قصّاص الأثر أثرَ أقدامه .

وهكذا طيلة فترة الاختباء في غار ثور . ولا يعلم بهما أحد من البشر إلا آل أبي بكر رضي الله تعالى عنهم . (بنتاه وولده ومولاه)[1].

ولا شك فإن هذا غاية المغامرة ، والفداء ، خاصة في ذلك الظرف العصيب الخطر جدّاً ، فهم جميعاً بين الحياة والموت ، والله تعالى أعلم .

ج ـ موقف سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه في الغار ، حين وصل الكفار الذين يطلبونه ، فنظر أبو بكر رضي الله تعالى عنه وهم أمام الغار ، فبكى ، وقال : يا رسول الله ؛ لو نظر أحدهم موضع قدمه لرآنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مُطَمْئِناً : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين ، الله ثالثهما » كما في حديث أنس عن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ، المتفق

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى المدينة ، لحديثي عائشة وأسماء رضي الله تعالى عنهما .

عليه[1].

وبكاء أبي بكر رضي الله تعالى عنه ليس على نفسه ، لأنه لا يعلم الغيب ، ولا ينزل عليه وحي ، إنما هو على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما بيَّنه في غير ما حديث ، لذا طَمْأنه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنزل الله سبحانه وتعالى مصداقَ ذلك في كتابه ، وأنزل السكينة عليه ، كما أنزل جل شأنه ملائكةً تحرسهما ، وسخّر لهما أضعف المخلوقات لحراستهما ، حتى ذهب الكفار ، وحصل الأمن ، كما بينتُه في (الآيات الربانية في السيرة النبوية).

د ـ وفي حال سيرهم في طريق الهجرة ، كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه كثيرَ الالتفات ، كما كان يمشي مرة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومرة عن يساره ، ومرة خلفه ، فقد كان من شدة محافظته على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرصه عليه ، يتذكر الرصد عن اليمين فيمشي عن اليمين ، ويتصوره عن اليسار فيمشي عن اليسار ، ويتصوره يلحق بهم فيمشي خلفه ، فسأله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك التحول في المشي فأخبره بذلك[2]. كل ذلك خشية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب المهاجرين وفضلهم ، منهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، رقم (١).

(٢) انظر : صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب جواز شرب اللبن ، رقم (٩١) وكتاب الزهد : باب في حديث الهجرة ، رقم (٧٥) لحديثي سراقة ، وأنس والبراء كلاهما عن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم . كما ورد عن غيرهم أيضاً .

ومحافظة عليه ، والله تعالى أعلم .

٤ ـ المواقف يوم بدر .

هناك عدة مواقف مشرِّفة للصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ وكلُّ مواقفهم مشرِّفة ـ في فدائهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أقتصر على ذكر بعضها .

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاور ، حين بلغه إقبال أبي سفيان .

قال : فتكلم أبو بكر ، فأعرض عنه ، ثم تكلم عُمر فأعرض عنه .

فقام سعدُ بن عُبادة فقال : إيانا تريد يا رسول الله ؟ والذي نفسي بيده ، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادَها إلى بَرْكِ الغِماد لفعلنا ،... الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : شهدتُ من المقداد ابن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبَه أحبُّ إليَّ مما عُدِل به ، أتى النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو يدعو على المشركين ـ فقال : لا نقول كما قال قومُ موسى ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك ، وعن شمالك ، وبين يديك ، وخلفك ، فرأيت النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أشرق وجهُه وسرَّه . رواه البخاري[2].

والقتال في الجهات الأربع من أجل عدم وصول العدو إليه ، ولا يخفى

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والمغازي : باب غزوة بدر ، رقم (٨٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب قول الله تعالى : ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾، وفي غيرهما .

ما في القتال من خطورة ، خاصة وهم يعلمون قوة العدو، لكنه الحب والفداء للمحبوب ، حتى لا يناله أدنى أذى ، والله تعالى أعلم .

* وذكر أهل السير[1] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ لما بلغه بمسير كفار قريش ، ليمنعوا عيرهم ، وهو قرب بدر ، قال : « أشيروا عليَّ أيها الناس » وتكلم أبو بكر وعمر والمقداد رضي الله تعالى عنهم .

قال سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ؛ لقد آمنا بك ، وصدّقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقَنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله ؛ لما أردتَ ، فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق ، لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضته لخضناه معك ، ما تخلّف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غداً ، إنّا لصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ في اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينُك ، فسِر بنا على بركة الله .

فسُرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول سعد ، ونشَّطه ذلك ، ثم قال : « سيروا ، وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ».

قلت : والبشارة ثابتة في الصحيح وغيره .

وفي هذه الأقوال الكريمة دلالة في غاية الأهمية على مدى طاعتهم ، واستماتتهم بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى لو خاض بهم البحر ـ أو أمرهم بذلك ـ لخاضوه ، مع مافي خوض البحر من الخطورة والهلاك ، خاصة وكثير لا يعرفون السباحة ، لكنهم لا يبالون طالما هو في طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢ : ٣٠٥ـ٣٠٦) وفتح الباري (٧ : ٢٨٧ـ٢٨٨) وذكر مصادره .

* ومما يدخل في ذلك : طلب سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبنوا له عريشاً ، يكون فيه ، ويعدّون عنده ركائبَه ، ثم يلقون هم العدو ، فإن انتصروا فهو المطلوب ، وإن كانت الأخرى ـ لا سمح الله ـ لحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ، ففيها أقوام من المؤمنين ليس من حضر بأشد حبّاً للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم منهم ، ولو أنهم ظنوا أنه صلى الله عليه وآله وسلم يلقى حرباً ما تخلّف منهم أحد ، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له[1].

* وقد سبق قول سيدنا عليٍّ رضي الله تعالى عنه مَن أشجع الناس ؟ وفيه قوله : فوالله ما دنا منه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أحدٌ إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يهوي إليه أحد . فهذا أشجع الناس .

* كما يدخل في ذلك : حراسة سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث كان يأتي ويقف خارج الخيمة ، وعليه سلاحه ، حتى انتهت المعركة .

* وذكر أصحاب السير[2] موقفَ عُبيدة بن الحارث بن المطلب رضي الله تعالى عنه ـ وهو في جراحته ـ وهو على رِجْل النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يقول له : يا رسول الله ؛ لو رآني أبو طالب

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢ : ٣١٣ ـ ٣١٤) ودلائل النبوة (٣ : ٤٤) وتاريخ الطبري (٢ : ٤٤٠).

(٢) انظر : سيرة ابن هشام (٣ : ٣٤) وأسد الغابة (٣ : ٤٥٠) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٤١٥) وعزاه للشافعي رحمه الله تعالى .

لعلم أني أحق منه بما قال حين يقول :

كذَبْتُم وبيتِ الله نُبْزى محمداً ولَمّا نُطاعِن دونَه ونُناضِل

ونُسْلِمَه حتى نُصَرَّع دونَه ونذهَلَ عن أبنائنا والحلائل

ثم مات رضي الله تعالى عنه ، فشهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشهادة .

والبيت الثاني واضح في دلالته . لأن من يناضل دونه صلى الله عليه وآله وسلم ، ويذهل عن أبنائه وزوجه حتى يموت ؛ يكون هذا غاية الفداء والنصرة ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ المواقف يوم أحد .

هناك عدة مواقف مشرفة للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ـ وكلُّ مواقفهم مشرِّفة ـ في فداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد ، أقتصر على ذكر بعضها .

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : لما كان يوم أُحُدٍ ،... وأبو طلحة بين يدَي النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، مُجَوِّبٌ عليه بحجَفَة .

قال : وكان أبو طلحة رجلاً رامياً ، شديدَ النَّزْع ، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً . قال : فكان الرجلُ يمرُّ معه الجعبةُ من النبل ، فيقول : « انثرها لأبي طلحة ».

قال : ويشرِف نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إلى القوم . فيقول أبو طلحة : يا نبيَّ الله ؛ بأبي أنت وأمي ، لا تُشرف ، لا يُصبْك سهمٌ من سهام القوم . نحري دون نحرك ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب غزوة النساء مع الرجال ، رقم (١٣٦).

فهذا غاية المحبة والفداء ، النابع من المحبة الكاملة التامة ، حيث يتمنّى أن يُصابَ نحرُه ، ويسلم نحرُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن يُقتل دون أن يُصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأدنى أذى ، رضي الله تعالى عن أبي طلحة ، وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

* ويوم أحد هو يوم الفداء الحقيقي ، حيث ظهرت محبة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ففدوه بأرواحهم وبكل ما يملكون ، ولن أستطيع ذكر جميع الحوادث لكثرتها ، لذا سأشير إشارة إلى بعضها للتنبيه .

* فمن تلك المظاهر[1]: تترس أبي دجانة رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يحميه من السهام ، حتى صار ظهره كالقنفذ .

* ومن ذلك : تترس سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقاتل في سيفين .

* ومن ذلك : تترس قتادة بن النعمان رضي الله تعالى عنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمي بقوسه حتى اندقت سيته ، فصار يتقي وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السهام القادمة بوجهه ، حتى أصابه سهم ، فندرت عينه ، فردها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ، ودعا له ، فصارت أحدَّ عينيه .

(١) انظر : السير والمغازي لابن إسحٰق (٣٢٨) والسيرة النبوية لابن هشام (٣ : ١٥٧) بشرح الروض ، والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٦٨).

* ومن ذلك : تترس سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يدافع عنه ، حتى رَمى بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم (١٠٠٠) ألف سهم ، وفي كل مرة يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم سدِّد رميتَه ، وأَجِب دعوته » فنالته دعوة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

* ومن ذلك : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأُمْة كعب ابن مالك رضي الله تعالى عنه ، وأعطاه لأمته ، فجُرح على إثرها بضعة وعشرين جرحاً ، يظن الكفار أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

* ومن ذلك : مقتل الأنصار السبعة رضي الله تعالى عنهم ـ واحداً بعد واحد ـ في دفاعهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

* ومن ذلك : ارتثاث طلحة بن عُبيد الله رضي الله تعالى عنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يدافع عنه ، حتى شُلَّت يده .

* ومن ذلك : ثبوت عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يقاتلون عنه أشدَّ القتال ، منهم : أبو بكر وعلي وعمر وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وأبو دجانة في كثيرين من المهاجرين وأبو طلحة والحارث بن الصِّمة وسهل بن حُنيف وسهل بن بيضاء ورهط من الأنصار كثير غير ما ذكرت قُتل أغلبهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً .

* وأقتصر على ذكر امرأة ظهر من فدائها ما يكون غرةً في جبين البشرية ، وهي أم عمارة الأنصارية نُسيبة بنت كعب رضي الله تعالى عنها .

تقول : خرجتُ أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه

ماء ، فانتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو في أصحابه ، والدولةُ والريحُ للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقمتُ أباشر القتال ، وأذبّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليَّ .

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابنُ قمئة ، أقمأه الله ، لما ولّى الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقبل يقول : دلّوني على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا ، فاعترضتُ له أنا ومصعب بنُ عُمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فضربني هذه الضربة ، ولكن فقد ضربتُه على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان[1] .

هذه امرأة ـ نعم امرأة ـ ووقفت هذا الموقف ، فما الذي حملها على ذلك ؟ رضي الله تعالى عنها وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان معها ولدها أيضاً رضي الله تعالى عنهما .

* ومن ذلك قصة سعد بن الربيع رضي الله تعالى عنه ، التي عبّر بها عن كلِّ محبٍّ لهذا الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ، وفدائه له .

فعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومَ أحد لطلب سعد بن الربيع ، وقال لي : « إن رأيتَه فأقرئه مني السلام ، وقل له : يقول لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) انظر قصتها في سيرة ابن هشام (٣ : ١١٨) والمغازي للواقدي (١ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩) والطبقات الكبرى (٨ : ٤١٢ ـ ٤١٥) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٦٧ ـ ٦٨) والإصابة (٨ : ١٤٠ ـ ١٤١). وانظر : أسد الغابة (٦ : ٣٧١).

كيف تجدك ؟».

قال : فجعلت أطوف بين القتلى ، فأصبته وهو في آخر رمق ، وبه سبعون ضربةً ؛ ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم ، فقلت له : يا سعد ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : « أخبرني كيف تجدك ؟ ».

قال : على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليك السلام ، قل له : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ أجدُ ريح الجنة [جزاك الله عنا خير ما جزى نبيّاً عن أمّته] وقل لقومي الأنصار : لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيكم شفر [عينٌ] يطرف . قال : وفاضت نفسه رحمه الله تعالى . رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ، ورواه من طريقه البيهقي ، ورواه ابن إسحٰق ، ومن طريقه الطبري ، ورواه مالك من وجه آخر ومن طريقه ابن سعد مرسلاً[1].

لم يكتف رضي الله تعالى عنه باستشهاده ، بل يطلب من قومه رضي الله تعالى عنهم ألّا يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يسيئه ، وفيهم عين تطرف ، فما الذي حمله على هذا القول ؟ إنه الحب المتناهي ، وبذل النفس في سلامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمفاداة في سبيل الحفاظ عليه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) الموطأ : كتاب الجهاد (٢ : ٤٦٥ ـ ٤٦٦) والسير والمغازي (٣٣٤ ـ ٣٣٥) والسيرة النبوية لابن هشام (٣ : ١٣٧ ـ ١٣) والطبقات الكبرى (٣ : ٥٢٣ ـ ٥٢٤) وتاريخ الطبري (٢ : ٥٢٨) والمستدرك (٣ : ٢٠١) ودلائل النبوة (٣ : ٢٤٨) وسير أعلام النبلاء (١ : ٣١٨ ـ ٣١٩ مرسلاً ، و٣١٩ ـ ٣٢٠ متصلاً) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٧٨) وانظر الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة في ترجمته رضي الله تعالى عنه .

* ويدخل في ذلك ما حصل مع أنس بن النضر رضي الله تعالى عنه ، وهو شبيه بقصة سعد بن الربيع رضي الله تعالى عنهما ، وحديثه متفق عليه[1].

* ومما يدخل في ذلك أيضاً قصة المرأة التي قُتل زوجها وأخوها وأبوها وابنها .

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأُحد ، فلما نُعوا لها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أمَّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أرونيه ، حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه حتى رأته ، قالت : كل مصيبة بعدك جلل .

والجلل : يكون في القليل والكثير ، وهو ههنا القليل . فهي تريد أنها صغيرة[2]. رواه ابن إسحٰق ، فإن صح الاتصال ـ كما في رواية ابن كثير وغيره ، فهو صحيح ، وإلا فهو حسن بما يأتي .

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : لما كان يوم أُحد حاص أهلُ المدينة حَيصةً ، قالوا : قُتل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى كثرت الصَّوارخ في ناحية المدينة ، فخرجت امرأة من الأنصار متحزِّمةً ، فاستُقبِلت بابنها وأبيها وزوجها وأخيها ـ لا أدري أيهم استُقبِلت

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب قول الله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب ثبوت الجنة للشهيد ، رقم (١٤٨).

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣ : ١٤٥ ـ ١٤٦) وتاريخ الطبري (٢ : ٥٣٣) ودلائل النبوة (٣ : ٣٠٢) وعيون الأثر (٢ : ٣٣) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٩٣).

به أول ـ فلما مرت على آخرهم قالت : من هذا ؟ قالوا : أبوك ، أخوك ، زوجك ، ابنك . تقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ يقولون : أمامك ، حتى دَفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذت بناحية ثوبه ، ثم قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أبالي إذ سلمْتَ من عطب . رواه الطبراني[1]. وشاهده ما سبق .

هذه امرأة ترى أن مقتل أبيها وزوجها وأخيها وابنها لا يعدل شيئاً بنجاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما الذي حملها على ذلك ؟ إنه الاستهانة بكل ما يملك المسلم في سبيل نجاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله تعالى أعلم .

٦ ـ تحذير عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من غدر عُمير بن وهب الجمحي الذي حزر عدد المسلمين يوم بدر .

كان عُمير بن وهب شهد بدراً كافراً ، وهو الذي حزر عدد المسلمين لكفّار قريش ، فأصابته جراحة ، فكان في القتلى ، فمر به رجل من الأنصار ، فعرفه ، فوضع سيفَه في بطنه حتى خرج من ظهره ، ثم تركه ، فلما دخل الليل ، وأصابه البرد ؛ لحق بمكة ، فبرأ ، لذا قرّر الانتقام من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

* فعن عروة رحمه الله تعالى قال : جلس عُمير بنُ وهب الجمحي مع صفوان بن أمية ـ بعد مصاب بدر من قريش ـ في الحِجْر بيسير . وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابَه ، ويلقون منه عناء إذ

(١) المعجم الأوسط (٧ : ٢٨٠) ومجمع البحرين (٥ : ١٠٦) ومجمع الزوائد (٦ : ١١٥) والسيرة النبوية لابن هشام (٣ : ١٧٣) بشرح الروض ، ودلائل النبوة (٣ : ٣٠٢) وتاريخ الطبري (٢ : ٥٣٣).

هم بمكة ، وكان ابنُه وهب بن عُمير في أسارى أصحاب بدر . فذكروا أصحاب القليب ومصابهم .

فقال صفوان : والله إن في العيش بعدهم ، قال عُمير : صدقت والله ، والله لولا دَينٌ عليَّ ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة ، ابني أسير في أيديهم .

فاغتنمها صفوان فقال : عليَّ دَيْنُك أنا أقضيه عنك ، وعيالُك مع عيالي أسوتهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم . قال عُمير : أكتم علي شأني وشأنك. قال : أفعل . قال : ثم أمر عُمير بسيفه فشُحذ وسم .

ثم انطلق حتى قدم المدينة [فنزل بباب المسجد ، وعقل راحلته ، وأخذ السيف لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمرُ إلى عُمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد ، متوشحاً السيف ، فقال : هذا الكلب ، عدو الله عُمير بن وهب ، والله ما جاء إلا لشر ، وهو الذي حرَّش بيننا ، وحزرنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عُمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا نبيَّ الله ؛ هذا عدوُّ الله عُمير بنُ وهب ، قد جاء متوشِّحاً سيفَه . قال : « فأدخلْه عليَّ ».

قال : فأقبل عُمرُ حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه ، فلبَّبه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون . [فأطاف المسلمون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم] ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعمرُ آخذٌ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ، أدن يا عُمير » فدنا ثم قال : أنعموا صباحاً . وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عُمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » فقال : أما والله يا محمد ؛ إن كنت لحديث عهد بها .

قال : « فما جاء بكَ ؟ » قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا إليه .

قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » قال : قبَّحها الله من سيوف ، فهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال : « اصدقني ما الذي جئتَ له ؟ » قال : ما جئتُ إلا لهذا .

قال : « بل قعدتَ أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر ، فتذاكرتما أصحاب القليب من قريش ، فقلتَ : لولا دَينٌ عليَّ وعيال عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً ، فتحمَّل صفوان لك بدَينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك ».

قال عُمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذِّبك بما كنتَ تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أنبأك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق ، ثم شهد شهادةَ الحق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فقِّهوا أخاكم في دِينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيرَه » ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ؛ إني كنتُ جاهداً على إطفاء نور الله ، شديدَ الأذى على من كان على دين الله ، وإني أحبُّ أن تأذن لي ، فأقدَم مكة ، فأدعوهم

إلى الله وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتُهم كما كنتُ أؤذي أصحابَك في دينهم . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلحق بمكة ... فأسلم على يديه ناسٌ كثير .

[وفي رواية : فقال عمر : لقد قدم وإنه لأبغض إليَّ من الخِنزير ، ثم رجع وهو أحبُّ إليَّ من ولدي] رواه الطبراني وغيره من طرق مرسلاً ، بأسانيد حسان ، ورواه الطبراني وغيره عن أنس برجال الصحيح[1].

ففي هذا الحديث من دلائل النبوة ما حمل عُمير على إسلامه ، لأن ذاك لا يعلمه إلا هو وصفوان ، كما يلاحظ رحمته صلى الله عليه وآله وسلم به ، حيث سماه أخاً للمسلمين ، وأمرهم بإطلاق أسيره ، فعاد إلى مكة معلناً إسلامَه ، فأسلم على يديه خلق كثير . ثم يُنظر إلى موقف عمر رضي الله تعالى عنه في ابتداء مجيء عُمير وبعد إسلامه ، رضي الله تعالى عنهم جميعاً ما أحرصهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى دينهم .

٧ ـ موقف عمر رضي الله تعالى عنه من زيد بن السعنة ـ حبر اليهود ـ الذي أساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما فعل ذلك ليختبر بعض صفات النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الخفية الدّالة على نبوته .

* عن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال : إن الله تبارك وتعالى لما أراد هُدَى زيد بن سعْنَة ، قال زيد بنُ سعنة : إنه لم يبق من علامات النبوة شيءٌ إلا وقد عرفتُها في وجه محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين نظرتُ إليه ، إلا اثنتين لم أَخبَرهما منه : يسبقُ حلمُه جهلَه ، ولا يزيده شدَّةُ الجهل

(١) المعجم الكبير (١٧ : ٥٦ ـ ٦٢) مجمع الزوائد (٨ : ٢٨٤ ـ ٢٨٧) وانظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ٣٧١ ـ ٣٧٤) وأسد الغابة (٣ : ٧٩٧ ـ ٧٩٨) والإصابة (٤ : ٧٢٦ ـ ٧٢٨).

عليه إلا حلماً . فكنتُ أتلطَّف له لأن أخالطه فأعرف حلمَه وجهله .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحجرات ، ومعه عليٌّ بنُ أبي طالب ، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي ، فقال : يا رسول الله ؛ قريةُ بني فلان قد أسلموا ، ودخلوا في الإسلام ، وكنتُ أخبرتُهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزقُ رغداً ، وقد أصابهم شدةٌ وقحطٌ من العيش ، وأنا أخشى يا رسول الله ، أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً ، فإن رأيتَ أن ترسلَ إليهم من يُغيثُهم به فعلتَ . قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى رجل إلى جانبه ، أُراه عمر ، فقال : ما بقي منه شيء يا رسول الله .

قال زيد بن سعنة : فدنوت إليه ، فقلت : يا محمد ؛ هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا ؟ فقال : « لا ، يا يهودي ؛ ولكن أبيعك تمراً معلوماً إلى أجلِ كذا وكذا ، ولا أسمّي حائطَ بني فلان » قلت : نعم ، فبايَعَني صلى الله عليه وآله وسلم ، فأطلقتُ همياني ، فأعطيتُه ثمانين مثقالاً من ذهب في تمرٍ معلوم إلى أجلِ كذا وكذا . قال : فأعطاها الرجلَ ، وقال : « اعجل عليهم ، وأغثهم بها ».

قال زيد بنُ سعنة : فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة ، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازةِ رجل من الأنصار ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفرٌ من أصحابه ، فلما صلّى على الجنازة ، دنا من جدارٍ ، فجلس إليه ، فأخذتُ بمجامع قميصه ، ونظرتُ إليه بوجه غليظ ، ثم قلت : ألا تقضيني يا محمد حقّي؟ فوالله ما علمتُكم بني عبد المطلب إلا مطل ، ولقد كان لي بمخالطتكم علم . قال : ونظرتُ إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلَك المستدير ، ثم رماني ببصره ، وقال : أي

عدوَّ الله ؛ أتقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أسمع ، وتفعل به ما أرى ؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوتَه لضربتُ بسيفي هذا عنقَك . ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ، ثم قال : « إنّا كنا أحوجَ إلى غير هذا منك يا عمر . أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التِّباعة ، اذهب به يا عمر ، فاقضه حقَّه ، وزده عشرين صاعاً من غيره ، مكانَ ما رعتَه ».

قال زيد : فذهب بي عمر ، فقضاني حقي ، وزادني عشرين صاعاً من تمر . فقلت : ما هذه الزيادة ؟ قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أزيدك مكان ما رعتُك . فقلت : أتعرفني يا عمر ؟ قال : لا ، فمن أنت ؟ قلت : أنا زيدُ بنُ سعنة . قال : الحبر ؟ قلتُ : نعم ، الحبرُ .

قال : فما دعاك أن تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قلتَ ، وتفعلَ به ما فعلتَ ؟ فقلت : يا عمر ؛ كلُّ علامات النبوة قد عرفتُها في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين نظرت إليه ، إلا اثنتين ؛ لم أخبرهما منه : يسبقُ حلمُه جهلَه ، ولا يزيدُه شدةُ الجهل عليه إلا حلماً ، فقد اختبرتُهما ، فأُشهدك يا عمر أني قد رضيتُ بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيّاً . وأُشهدك أن شطرَ مالي ـ فإني أكثرها مالاً ـ صدقةٌ على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فقال عمر : أو على بعضها ، فإنك لا تسعهم كلَّهم . قلت : أو على بعضهم .

فرجع عمر وزيدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال زيدٌ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وآله وسلم . فآمن به وصدَّقه ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشاهد كثيرة ، ثم تُوُفِّي في غزوة تبوك ، مقبلاً غير مدبر . رواه ابن حبان والحاكم

وصححاه ، وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل ، والطبراني برجال ثقات ، وأبو الشيخ وغيرهم ، وحسنه الحافظ المزي ، وللحديث شاهدان[1].

يهمّني من هذا النص : موقف عمر رضي الله تعالى عنه من زيد ، وانفعاله الشديد ، ثم تهديده له ، أنه لولا ما يحاذر فوت قطع رأسه لضربه بالسيف ، ولا شك هذا غاية التكريم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحرص عليه ، والاستماتة بين يديه .

كما أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لم ينكر على عُمر رضي الله تعالى عنه محاولته قطع رأس زيد دلالة على أن ذلك هو عقوبته ، إنما أخبره صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كان المطلوب منه أن يدخل بين الإثنين لقضاء الدَّين ، في القضاء والاقتضاء ، والله تعالى أعلم .

٨ ـ دفع ثوبان رضي الله تعالى عنه حبرَ اليهود الذي استفز النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يناده بالنبوة أو الرسالة ، مع أنه هو يريد سؤاله ليختبر نبوته .

* عن ثوبان ـ مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ رضي الله تعالى عنه قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء حبرٌ من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد ؛ فدفعته دفعةً كاد

---

(١) صحيح ابن حبان (١ : ٥٢١ ـ ٥٢٤) والمستدرك (٣ : ٦٠٤ ـ ٦٠٥) والمعجم الكبير (٥ : ٢٥٣ ـ ٢٥٥) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ١٠٨ ـ ١١٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٧٨ ـ ٢٨٠) وأخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : باب ما ورد في كظمه الغيظ وحلمه صلى الله عليه وآله وسلم (٧٢ ـ ٧٤) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠) والإصابة (١ : ٥٦٦) وتهذيب الكمال (٧ : ٣٤٤ ـ ٣٤٧) والاستيعاب (٢ : ١٢٢) وأسد الغابة (٢ : ١٣٦ ـ ١٣٧) وانظر : دلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٨٠ ـ ٢٨١) والطبقات الكبرى (١ : ٣٦١) لبيان الشاهدين .

يُصرع منها . فقال : لمَ تدفعني ؟ فقلت : ألا تقولُ يا رسول الله !!! فقال اليهوديُّ : إنما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهلُه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن اسمي محمد الذي سمّاني به أهلي ».

فقال اليهودي : جئتُ أسألك .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أينفعك شيءٌ إن حدَّثْتُك ؟ ».

قال : أسمعُ بأذنيَّ . فنكتَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعودٍ معه ، فقال : « سل ».

فقال اليهوديُّ : أين يكون الناسُ يومَ تبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هم في الظلمة دون الجسر ».

فقال : فمن أولُ الناس إجازةً ؟ قال : « فقراءُ المهاجرين ».

قال اليهوديُّ : فما تُحفتُهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادةُ كبد النون ».

قال : فما غداؤهم على إثرها ؟ قال : « يُنحر لهم ثورُ الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ».

قال : فما شرابُهم ؟ قال : « من عين فيها تسمّى سلسبيلاً ».

قال : صدقتَ .

قال : وجئتُ أسألك عن شيء لا يعلمه أحدٌ من أهل الأرض ، إلا نبيٌّ أو رجُلٌ أو رجلان .

قال : « ينفعك إن حدَّثْتُك ؟ »

قال : أسمعُ بأُذنَيَّ .

قال : جئتُ أسألك عن الولد ؟ قال : « ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فَعَلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا عَلا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله ».

قال اليهوديُّ : صدقتَ ، وإنك لنبيٌّ . ثم انصرف .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لقد سألني هذا عن هذا الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه ، حتى أتاني الله به ». رواه مسلم[1].

لقد دفعه رضي الله تعالى عنه لأنه لم يكَرِّم رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يقل له : يا رسول الله ، يا نبيّ الله ، أو على الأقل لم يقل كما يقول كثير من أحبار يهود حين مخاطبتهم له صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا القاسم ، وقد نهى الله تعالى عن مخاطبة نبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم باسمه المجرّد (محمد) فقال تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ... ﴾[2] وسكوت النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن تعنيف ثوبان رضي الله تعالى عنه دلالة على موافقته له في دفعه لليهودي ، والله تعالى أعلم .

٩ـ موقف سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه في إعذار النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقتل من يؤذيه يوم حادثة الإفك .

* عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : خرجت مع رسول الله صلى

(١) صحيح مسلم : كتاب الحيض : باب صفة مني الرجل والمرأة ، وأن الولد مخلوق من مائهما ، رقم (٣٤).

(٢) سورة النور (٦٣).

الله عليه وآله وسلم ـ وذلك بعدما أُنزل الحجاب ،... الحديث بطوله في حادثة الإفك ، وفيه : وكان الذي تولّى كِبره عبد الله بنُ أُبيٍّ ابنُ سلول . فقدمنا المدينة ،... قالت : فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر ، فاستعذر من عبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سلول . قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر : « يا معشر المسلمين ؛ من يعذِرُني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي » فقام سعد بن معاذٍ الأنصاريُّ فقال : أنا أَعذِرُك منه يا رسول الله ؛ إن كان من الأوس ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتَنا ففعلنا أمرك ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

هذا الموقف الكريم من سيدنا سعد رضي الله تعالى عنه ، إنما دفعه إليه ؛ حرصه على راحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واطمئنان نفسه ، وعدم أذيته في بيته ، بحيث لو كان المتكلّم من رهطه من الأوس قتله ، وأما إن كان من الخزرج فعل ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وإقرار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسعد على قتل من آذاه دلالة على أن تلك عقوبته ، لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد أن يثير فتنة ، خلَّص الله تعالى الأنصار شرَّها بقدومه صلى الله عليه وآله وسلم إليهم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة النور : باب ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا... ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب التوبة : باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، رقم (٥٦ ـ ٥٨).

١٠ ـ لطم اليهودي الذي قال : والذي فضّل موسى على العالمين .

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : بينما يهوديٌّ يعرض سلعته أُعطي بها شيئاً كرهه ، فقال : لا ، والذي اصطفى موسى على البشر ، فسمعه رجلٌ من الأنصار ، فقام فلطم وجهَه ، وقال : تقول والذي اصطفى موسى على البشر ، والنبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا ؟ قال : فذهب اليهوديُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أبا القاسم ؛ إن لي ذِمَّةً وعهداً ، فما بال فلان لطم وجهي . فقال [رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] : « لِمَ لطمتَ وجهه؟ » قال : قال (يا رسول الله) : والذي اصطفى موسى على البشر ، وأنت بين أظهرنا ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عُرف الغضب في وجهه ، ثم قال : « لا تُفضِّلوا بين أنبياء الله [أولياء الله]... » الحديث بطوله ، متفق عليه[1] . وانظر خاتمة الفقرة .

* وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : استب رجلان ؛ رجلٌ من المسلمين ، ورجل من اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين ، فقال اليهوديُّ : والذي اصطفى موسى على العالمين . فرفع المسلمُ يدَه عند ذلك ، فلطم وجهَ اليهودي . فذهب اليهوديُّ إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم . فدعا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم المسلمَ فسأله عن ذلك ، فأخبره ،... فذكر الحديث بطوله ، متفق عليه[2] .

---

(١) صحيح البخاري : أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالى ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب من فضائل موسى ﷺ ، رقم (١٥٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الخصومات : باب ما يُذكر في الأشخاص والخصومة بين =

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس جاء يهوديٌّ فقال : يا أبا القاسم ؛ ضرب وجهي رجلٌ من أصحابك . فقال : « مَن ؟ » قال : رجلٌ من الأنصار . قال : « ادعوه » فقال : « أضربتَه ؟ » قال : سمعتُه بالسوق يحلفُ : والذي اصطفى موسى على البشر . قلت : أي خبيث ؛ على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فأخذتني غضبةٌ فضربتُ وجهه . فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تُخيِّروا بين الأنبياء ،...» الحديث ، متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

الذي يهمني من هذا الحديث ـ برواياته ـ هو ضرب الأنصاري رضي الله تعالى عنه لذلك اليهودي ؛ الذي قال تلك المقالة ، لأنه شعر أن في هذا القول تنقيصاً في قدر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقتص من الأنصاري رضي الله تعالى عنه دلالة على أن ما فعله حق ، ولكن غضب لدعوى المفاضلة بين الأنبياء عليهم السلام ، مما يُخشى وجود التنقيص في حق بعضهم .

ثم إن هذا الحديث كان في أول الهجرة ، كما هو واضح في دلالته من وجود اليهودي ، وقد ثبت التخيير بين الأنبياء عليهم السلام ، وكذا بين الرسل عليه السلام ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وَ ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾. وقد سبق بيان ذلك .

= المسلم واليهودي ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٦٠ ـ ١٦١).

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٦٢).

وقد أخبر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه بأنه سيد الناس ، وأنه إمامُ الأنبياء وخطيبُهم ، وأنهم تحت لوائه ، وأنهم يفزعون إليه ،... وقد أوضحت ذلك في غير ما كتاب[1]. كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه أنه أفضلُ الخلق ، وأكرمُهم على الله تعالى ،... وقد كان ذلك في السنة العاشرة من الهجرة ، وقد ذكرتُ الجواب على هذين الحديثين في (مكانة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام) فانظره في أوله . والله تعالى الموفق والمعين .

١١ ـ مقالة خُبيب بن عدي وزيد بن الدَّثِنَة رضي الله تعالى عنهما عند صلبهما في مكة .

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرةَ رهطٍ سريّةً عيناً ، وأمَّر عليهم عاصمَ بنَ ثابت الأنصاريَّ ـ جدَّ عاصم بن عُمر بن الخطاب ـ فانطلقوا ، حتى إذا كانوا بالهَدَأَة ـ وهو بين عُسفان ومكة ـ ذُكِروا لحَيٍّ من هُذيل ، يقال لهم : بنو لحْيان ، فنفروا لهم قريباً من مائتي رجلٍ كلُّهم رامٍ ، فاقتصّوا آثارهم حتى وجدوا مأكَلَهم تَمْراً تزودوه من المدينة ، فقالوا : هذا تَمْرُ يثرب ، فاقتصّوا آثارَهم ، فلما رآهم عاصم وأصحابُه لجؤوا إلى فَدْفَدٍ ، وأحاط بهم القوم ، فقالوا : انزلوا وأعطونا بأيديكم ، ولكم العهدُ والميثاق ، ولا نقتلُ منكم أحداً .

فقال عاصمُ بنُ ثابت أميرُ السرية : أمّا أنا فوالله لا أنزل اليومَ في ذمة

(١) انظر : الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلم عن جميع الأنبياء عليهم السلام ، وعظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلم ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، والأمانة العظمى ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد ذكرت النصوص الكثيرة في ذلك .

كافر ، اللهم أخبر عنا نبيَّك صلى الله عليه وآله وسلم ، فرموهم بالنبل ، فقتلوا عاصماً في سبعة ، فنزل إليهم ثلاثةُ رهطٍ بالعهد والميثاق ، منهم خُبيب الأنصاريُّ وَ [زيد] بن دَثِنَة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم ، أطلقوا أوتارَ قسيِّهم فأوثقوهم ، فقال الرجل الثالث : هذا أولُ الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لي في هؤلاء لأسوة ـ يريد القتلى ـ وجرَّروه ، وعالجوه على أن يصحبهم فأبى ، فقتلوه .

فانطلقوا بخُبيب وابن دَثِنة حتى باعوهما بمكة ـ بعد وقيعة بدر ـ فابتاع خُبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خُبيبٌ هو قتَل الحارثَ بن عامر يوم بدر ، فلبث خُبيبٌ عندهم أسيراً .

[قال الزهري] : فأخبرني عُبيدُ الله بنُ عِياض ، أن بنتَ الحارث أخبرته ، أنهم حين أجمعوا [قتلَه] استعار منها موسى يستحدُّ به ، فأعارته ، فأخذ ابناً لي وأنا غافلة ، حتى أتاه . قالت : فوجدتُه مُجلِسه على فخذه والموسى بيده ، ففزعت فزعةً عرفها خُبيبٌ في وجهي ، فقال : تخشين أن أقتله ؟ ما كنتُ لأفعلَ ذلك . والله ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خُبيب ، والله لقد وجدتُه يوماً يأكل من قِطفِ عنبٍ في يده ، وإنه لموثقٌ في الحديد ، وما بمكة من ثَمَرٍ . وكانت تقول : إنه لرزقٌ من الله رزقه خُبيباً .

فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل ، قال لهم خُبيبٌ : ذروني أركع ركعتين . ثم قال : لولا أن تظنّوا أن ما بي جزعٌ لطوَّلتُها ، اللهم أحصهم عدداً .

وَلَسْتُ أُبالي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلى أَيِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعي
وذَلِكَ فِي ذاتِ الإلَهِ ، وَإِنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ عَلى أَوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّع

فقتله ابنُ الحارث ، فكان خُبيبٌ هو سنَّ الركعتين لكلِّ امرئ مسلم قُتِل صبراً .

فاستجاب الله لعاصم بنِ ثابت يومَ أُصيب ، فأَخبر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أصحابَه خبرَهم وما أصيبوا .

وبعث ناسٌ من كفار قريش إلى عاصمٍ حين حُدِّثوا أنه قُتل ، ليُؤتَوا بشيءٍ منه يعرف ـ وكان قد قَتل رجلاً من عظمائهم يومَ بدر ، فبُعث على عاصم مثلُ الظُّلَّة من الدَّبْر ، فحمته من رسولهم ، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً . رواه البخاري[1].

* جاء في روايات المغازي[2]. أنهم لما رفعوا خُبيباً رضي الله تعالى عنه على الخشبة ، ووضعوا فيه السلاحَ وهو مصلوب ، نادوه وناشدوه : أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا ، والله العظيم ، ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه . فضحكوا منه .

* وأما زيد بنُ الدَّثِنَة رضي الله تعالى عنه فقد ابتاعه صفوان بنُ أمية بأبيه ؛ أُمية بن خلف ، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له يقال له :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب هل يستأسر الرجل ؟ ومن لم يستأسر ،... وكتاب المغازي : باب غزوة الرجيع ، ورعل وذكوان ،... وعاصم بن ثابت وخُبيب وأصحابه ، وفي غيرها .

وانظر سيرة ابن هشام (٣ : ٢٤١ ـ ٢٦٠) والطبقات الكبرى (٢ : ٥٥ ـ ٥٦) وتاريخ الطبري (٢ : ٥٣٨ ـ ٥٤١) ودلائل النبوة (٣ : ٣٢٣ ـ ٣٢٥) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ١٢٣ وما بعد) وسبل الهدى والرشاد (٦ : ٤٢ وما بعد) لبيان تلك الواقعة ، وما قيل فيها من شعر .

(٢) انظر فتح الباري (٧ : ٣٨٤) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ١٣٠ ـ ١٣١) وفي عامة كتب السير .

نسطاس ، إلى التنعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه ، واجتمع رهطٌ من قريش ، فيهم : أبو سفيان بنُ حرب ، فقال له أبو سفيان ـ حين قُدِّم ليُقتل ـ : أنشدك الله يا زيد ؛ أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه ، وأنك في أهلك ؟

قال : والله ، ما أحبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه ، تصيبه شوكةٌ تؤذيه ، وإني جالس في أهلي[1].

قال : يقول أبو سفيان : ما رأيتُ من الناس أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمد محمداً ، ثم قتله نسطاس .

رحم الله تعالى زيداً وخُبيباً ورضي الله عنهما ، فقد أعطيا المؤمنين المسلمين المحبّين درساً في الفداء ، لن تصل إليه عقول الناس بعد . إن كلَّ واحدٍ منهما أبى أن يصاب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بشوكة في قدمه ، وهو بين أصحابه ـ وما تفعل الشوكة ، وما إيذاؤها ـ ويكون هو متنعِّماً في بيته ، وبين أهله وذويه ، ولكنه الحب الذي غطى على كل شيء ، وملأ عليهم كل شيء .

وقد كان لموقفهما أكبر الأثر في نفوس المشركين ؛ ساعة قتلهما ، وبقي بعدهما بزمن طويل ، كما كان ضربةً قاصمة لكبرياء قريش ، واعترافهم بمدى محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله تعالى أعلم .

١٢ ـ طلب الصحابة رضي الله تعالى عنهم ضرب أعناق المنافقين .

* عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبيِّ صلى الله عليه وآله

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣ : ٢٤٥) ولابن كثير (٣ : ١٢٨ ـ ١٢٩).

وسلم في غزاة ، فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاريُّ : يا للأنصار . وقال المهاجريُّ : يا للمهاجرين . فسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال : « ما هذا ؟ [ما بال دعوى الجاهلية ؟ »] فقالوا : كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجريُّ : يا للمهاجرين . فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « دعوها ، فإنها منتنةٌ » .

قال جابر : وكانت الأنصار حين قدم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أكثرَ ، ثم كثر المهاجرون بعد . فقال عبد الله بنُ أُبي : أَوَقد فعلوها ؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ . فقال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله تعالى عنه : دعني يا رسول الله ؛ أضربُ عنقَ هذا المنافق . قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « دعه ، لا يتحدَّثُ الناسُ أن محمداً يقتل أصحابَه ». متفق عليه[1].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال : أتى رجلٌ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجعرانة ـ منصرفَه من حُنين ـ وفي ثوب بلال فضةٌ ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبض منها ، يعطي الناس . فقال : يا محمد ؛ اعدل . قال : « ويلك ، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » فقال عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : دعني يا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة المنافقين : باب ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، رقم (٦٢ ـ ٦٤).

والكسع : أن يضرب دبر الآخر بظهر قدمه .

رسول الله ؛ فأقتلَ هذا المنافق . فقال : « معاذ الله أن يتحدَّث الناسُ أني أقتلُ أصحابي . إن هذا وأصحابَه يقرؤون القرآن ؛ لا يجاوز حناجرَهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية ». متفق عليه[1].

سماه صحابيّاً ، باعتبار أنه معهم ، ومنتسب إليهم .

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : بعث عليٌّ رضي الله تعالى عنه ـ وهو باليمن ـ بذَهَبة في تربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أربعة نفر ... فجاء رجل كثُّ اللحية ، مشرف الوجنتين ، غائرُ العينين ، ناتئ الجبين ، محلوق الرأس ، فقال : اتق الله يا محمد . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فمن يطع الله إن عصيتُه ! أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني ؟ » قال : ثم أدبر الرجل ، فاستأذن رجل من القوم في قتله (يرون أنه خالد بن الوليد) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرَهم ، يقتلون أهلَ الإسلام ، ويَدَعون أهلَ الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة . لئن أدركتُهم لأقتُلنَّهم قتلَ عاد »

* وفي رواية : فقال خالد بن الوليد : يا رسول الله ؛ ألا أضربُ عنقَه ؟ فقال : « لا ، لعله أن يكون يصلي » قال خالد : وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إني لم أُومر

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب من الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ما سأل هوازن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم برضاعة فتحلّل من المسلمين . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، رقم (١٤٢).

أن أُنقِّب عن قلوب الناس ، ولا أشقَّ بطونهم ».

* وفي رواية أخرى : فقام إليه عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال : يا رسول الله ؛ ألا أضربُ عنقه ؟ قال : « لا » قال : ثم أدبر فقام إليه خالد ـ سيف الله ـ فقال : يا رسول الله ؛ ألا أضربُ عنقه ؟ قال : « لا ».

* وفي رواية : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقسم قَسماً ، أتاه ذو الخُوَيْصِرة ـ وهو رجلٌ من بني تميم ـ فقال : يا رسول الله ؛ اعدل . (وفي رواية : يا محمد ؛ اعدل) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ويلك ، ومن يعدل إن لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أعدل » فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ؛ ائذن لي فيه أن أضربَ عنقه ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1] وللحديث روايات أخرى متعددة .

* وقد ذكر أهل السير[2] ، أن عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول رضي الله تعالى عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد ما حصل من أبيه كبير المنافقين في غزوة بني المصطلق ـ : يا رسول الله ؛ إنه بلغني أنك تريد قتلَ عبد الله بن أُبي ، فيما بلغك عنه ، فإن كنتَ لابد فاعلاً ؛ فمُرني به ، فأنا أحمل لك رأسَه ، فوالله لقد علمَتْ الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرَّ

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي غيرهما . حيث رواه في فضائل القرآن ، والأدب ، واستتابة المرتدين ، في أبواب عدة فيها . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب ذكر الخوارج ، رقم (١٤٣ ـ ١٥٣).

(٢) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٣ : ٤٠٥ ـ ٤٠٦) وتاريخ الطبري (٢ : ٦٠٨) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٣٠١) ورواه الطبراني من طريق آخر به ، انظر : مجمع الزوائد (٩ : ٣١٨).

بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيٍّ يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر ، فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بل نترفَّقُ به ، ونحسنُ صحبتَه ما بقي معنا ».

زاد عكرمة وابن زيد وغيرهما : أن ابنه عبدَ الله رضي الله تعالى عنه وقف لأبيه عبدِ الله بن أُبيٍّ ابنِ سلول عند مضيق المدينة فقال : قف ، فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استأذنَه في ذلك ، فأذن له ، فأرسله حتى دخل المدينة .

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، اكتفيت بما ذكرتُ ، والله تعالى المعين .

ففي هذه الأحاديث ـ وغيرها كثير لم أذكرها ـ دلالةٌ على أن الصحابةَ رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل : لما سمعوا مقولة هؤلاء المنافقين أو الخوارج أو الجفاة من الأعراب ؛ شعروا أن في ذلك طعناً وتنقيصاً في حقِّ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا استباحوا دماء هؤلاء المتكلمين . وعزمُهم رضي الله تعالى عنهم على قتلهم دليل المشروعية ، لإقرار النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، لولا أنه صلى الله عليه وآله وسلم نهاهم عن قتلهم ، والله تعالى أعلم .

وواضح من جوابه صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عبد الله ابن أُبيٍّ ابن سلول رضي الله تعالى عنه ، حين طلب قَتلَ أبيه ؛ الذي قال ما قال : دلالة على أنهم لو قتلوهم لكانت تلك هي عقوبتهم ، ولكن الرؤوف الرحيم

لا يريد أن يتحدَّث الناس بأنه قاتل بأقوام حتى إذا أظهره الله تعالى قتلهم ، فيكون قد أسقط حقَّ نفسه من أجل مصلحة الأمة والدِّين .

فما الذي حمل هؤلاء الأخيار عُمر وخالد وعبد الله وغيرهم على طلب القتل من أقاربهم ـ ولو كان أباً ؟ ـ إنما هو الحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والتفاني فيه ، ولو وصل الأمرُ إلى القتل ، والله تعالى أعلم .

١٣ـ موقف أبي بكر والمغيرة رضي الله عنهما يوم صلح الحدَيْبِيَة .

عن المسور بن مخرمة ومروان ـ يصدِّق كلُّ واحد منهما حديثَ صاحبه ـ قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زمن الحُدَيْبِيَة ،... الحديث بطوله . وفيه :

* فقال عروة بنُ مسعود : أي محمد ، أرأيتَ إن استأصلتَ أمرَ قومك ، هل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أهلَه قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فإني ـ والله ـ لا أرى وجوهاً ، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك . فقال له أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ : امصُص بَظْرَ اللات ، أنحن نفر عنه وندعه ؟! فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده ، لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك .

* قال : وجعل يكلم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فكلما تكلّم كلمةً أخذ بلحيته [أي : أخذ بلحية النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كما هي عادتهم] والمغيرةُ بنُ شعبة [وهو ابنُ أخي عروة بن مسعود] قائم على رأس النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ومعه السيف ، وعليه المِغفَر ، فكلما أهوى عروةُ بيده إلى لحية النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ضرب يدَه بنعل السيف ، وقال له : أخِّر يدَك عن لحية رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم ، فرفع عروةُ رأسَه ، فقال : من هذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، فقال : أي غُدر ، ألستُ أسعى في غدرتك ؟

* ثم إن عروة جعل يرمق أصحابَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بعينيه . قال : فوالله ما تنخّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمرَه ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ؛ والله لقد وفدتُ على الملوك ، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت مليكاً يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحابُ محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ محمداً ،... ثم ذكر لهم ما رآه . رواه البخاري[1].

* في هذا الحديث أمور ، يهمُّني منها ثلاثة :

أ ـ موقف أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه من عروة بن مسعود ، عندما سمعه يتهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، أنهم سيفرّون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويدعونه للعدو ؛ يقتلوه أو يأسروه ، يعني أنهم لا يحبونه ، ولا يفدونه بأرواحهم ، لذا قال له تلك المقالة المؤلمة . والتي حملت في طياتها المحبة والفداء .

ب ـ موقف المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه من عمِّه عروة بن مسعود ، عندما رآه يمسك لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما

(١) صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط .

هي عادة كبار العرب حين مخاطبتهم أقرانهم ـ فلم تطب نفس المغيرة رضي الله تعالى عنه أن يرى رجلاً مشركاً يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا كان يضرب يدَ عمِّه بنعل السيف ، ويتهدده بقطع يده قبل أن تصل إليه (أخِّر يدك قبل أن لا تصل إليك) فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يغض عن عروة استهالة له ، وأما المغيرة رضي الله تعالى عنه فإنما يفعل ذلك من باب التعظيم والتكريم والتوقير ،...

إن من يخاطب عروة بما قال من تلك الكلمة الفظة الغليظة فكيف يكون فداؤه والاستماتة بين يديه ؟؟؟

ثم إن من كان يأبى أن تمس يدُ مشرك لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يكون فداؤه والاستماتة بين يديه ؟؟؟

ج ـ تعظيم الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره ، والمبالغة في ذلك ، ومظاهر ذلك التعظيم من : تبركهم بوَضوئه ونخامته صلى الله عليه وآله وسلم ، وخفض الصوت عنده ، وعدم إحداد النظر إليه ، والمبادرة بتنفيد أمره ،... كل ذلك دلالة على تفانيهم رضي الله تعالى عنهم في محبته وتعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف لا يفعلون ذلك وهو الذي أخرجهم الله تعالى به من الظلمات إلى النور ، وهداهم به من الضلالة إلى الإيمان ، وهو الذي دلّهم على ربهم جل شأنه ،... فسعدوا به في الدنيا والآخرة .

١٤ـ موقف الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الأعرابي الذي رفع صوته بحضرة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

* عن صفوان بن عسّال رضي الله تعالى عنه قال : ... بينا نحن مع

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسير له ، إذ ناداه أعرابيٌّ بصوت له جهوريٍّ : يا محمد ، فأجابه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بنحوٍ من صوته : « هاؤم » فقلنا له : اغضض من صوتك ، فإنك نُهيتَ عن هذا . فقال : لا ، والله لا أغضض من صوتي . فقال : يا رسول الله ؛ المرءُ يحبُّ القومَ ولـمّا يلحق بهم . قال : « المرءُ مع من أحبَّ » الحديث بطوله ، رواه عبد الرزاق والحميدي والطيالسي وأحمد ، وصححه الترمذي وابن حبان[1].

لقد نهى الله تعالى المسلمين عن رفع الصوت بحضرة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن الجهر له بالقول ، كما حذّرهم من رفع الصوت عنده ، كما شنّع على أقوام رفعهم أصواتهم ، كما مدح أقواماً بخفض أصواتهم عنده صلى الله عليه وآله وسلم ، وكل ذلك في سورة الحجرات . لذا طلب الصحابة رضي الله تعالى عنهم من هذا الأعرابي الجاف الجلف أن يخفض صوته ، لأنه نُهي عن ذلك ، وهذا هو واجب الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ولكن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عامله بمثل فعله ، ولم يعنِّفه ، ولاطفه استمالة له ، فيكون صلى الله عليه وآله وسلم قد أسقط حقَّه ، والمسلمون قد قاموا بواجبهم ، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١ : ٢٠٥ـ٢٠٦) ومسند الطيالسي (١٦٠) ومسند الحميدي (٢ : ٣٨٨ ـ ٣٨٩) ومسند أحمد (٤ : ٢٤٠) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده ، رقم (٣٥٣٥ ،٣٥٣٦) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٢٢) (٤ : ١٤٩ـ١٥١) والمعجم الكبير (٨ : ٦٤ ـ ٦٥ ، ٦٨ ـ ٧٠ ، ٧٢) وهو مروي من طرق مختصراً ومطولاً عند كثير من المصنفات .

وأذكر نصّاً آخر فيه دلالة لطيفة على هذا المعنى أيضاً .

* فعن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ قائماً في المسجد ، فحصبني رجل ، فنظرت ، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فقال : اذهب فأتني بهذين ، فجئته بهما . قال : مَن أنتما ـ أو مِن أين أنتما ـ ؟ قالا : من أهل الطائف . قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتُكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . رواه البخاري[1].

فدلالة الحديث واضحة ، فلو لم يكن رفع الصوت في حضرة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم غير جائزة لما توعدهما .

كما في الحديث دلالة على أن حُرمة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته كحرمته في حياته ، وإلا لما هدّدهما بالضرب ، والله تعالى أعلم .

١٥ـ موقف الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الأعرابي الذي أنكر جميل النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم معه .

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليه رداءٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌّ ، فجبذه بردائه جبذةً شديدةً ، [رجع نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم في نحر الأعرابيِّ ، حتى انشق البرد ، وحتى بقيت حاشيته في عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] نظرتُ إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أثَّرت بها حاشيةُ الرداء ، من شدة جبذته . ثم قال : يا محمد ؛ مُر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب رفع الصوت في المسجد .

وسلم ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء . متفق عليه[1].

هكذا جاءت هذه الرواية مختصرة ، لكن جاء في الروايتين التاليتين مطولة ومفسرة .

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كنا نقعد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد ، فإذا قام قمنا . فقام يوماً وقمنا معه ، حتى لمّا بلغ وسط المسجد أدركه رجل ، فجبذ بردائه من ورائه ـ وكان رداؤه خشناً ـ فحمَّر رقبتَه . فقال : يا محمد ؛ احمل لي على بعيرَيَّ هذين ، فإنك لا تحملُ من مالك ولا من مال أبيك . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ، وأستغفر الله ، لا أحمل لك حتى تُقيدني مما جبذتَ برقبتي » فقال الأعرابيُّ : لا ، والله لا أقيدك . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ثلاثَ مرّات ، كلُّ ذلك يقول : لا ، والله لا أقيدك . فلما سمعنا قولَ الأعرابي ، أقبلنا إليه سراعاً ، فالتفتَ إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « عزمتُ على من سمع كلامي أن لا يبرح مقامه حتى آذَن له » فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل من القوم : « يا فلان ؛ احمل له على بعيرٍ شعيراً ، وعلى بعيرٍ تمراً » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انصرفوا ». رواه أبو داود والنسائي وأحمد والبيهقي[2]. وشاهده

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب ما كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يعطي المؤلفةَ قلوبهم وغيرهم من الخمس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ، رقم (١٢٨).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٨٨) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الحلم وأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٤٧٧٥) وسنن النسائي : كتاب القسامة : باب القود من الجبذة (٨ : ٣٣ ـ ٣٤) والسنن الكبرى له (٤ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨) في الكتاب والباب نفسيهما ، =

حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، فهو به حسن .

* وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن أعرابيّاً جاء إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يستعينه في شيء ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ثم قال : « أحسنتُ إليك ؟ » قال الأعرابيُّ : لا ، ولا أجملتَ ، قال : فغضب المسلمون ، وقاموا إليه ، فأشار إليهم أن كُفّوا . ثم قام النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فدخل منزلَه ، ثم أرسل إلى الأعرابي ، فدعاه إلى البيت ، فقال : « إنك قد جئتَنا فسألتَنا ، فأعطيناك ، فقلتَ ما قلتَه » فزاده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ، ثم قال : « أحسنتُ إليك ؟ » قال الأعرابيُّ : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرةٍ خيراً . فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إنك كنتَ جئتنا فسألتَنا ، فأعطيناك ، وقلتَ ما قلتَ ، وفي أنفس أصحابي [عليك] شيءٌ من ذلك ، فإن أحببتَ فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يدَيَّ ، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك » قال : نعم .

فلما كان الغدُ أو العشيُّ ، جاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن صاحبَكم هذا كان جاء فسألنا ، فأعطيناه ، وقال ما قال ، وإنّا دعوناه إلى البيت فأعطيناه ، فزعم أنه قد رضي ، أكذلك ؟ ».

قال الأعرابيُّ : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً .

قال أبو هريرة : فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي ؛ كمثل رجل كانت له ناقة ، فشردت عليه ، فاتبعها الناس ، فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فناداهم صاحب الناقة : خلّوا بيني وبين ناقتي ، فأنا أرفق بها وأعلَم ، فتوجَّه لها صاحبُ الناقة ، فأخذ لها من قمام [قتام]

= وشعب الإيمان (٦ : ٣٥٠ ـ ٣٥١) والآداب (١٢٥ ـ ١٢٦).

الأرض ، فردّها هوناً هوناً هوناً ، حتى جاءت ، واستناخت ، وشدَّ عليها ، وإني لو تركتُكم حيث قال الرجل ما قال ، فقتلتموه ، دخل النار ». رواه البزار وأبو الشيخ بإسناد ضعيف كما قال الحافظ العراقي ، ولكن يشهد له الروايتان السابقتان فهو بهما حسن[1]، والله تعالى أعلم .

ففي الروايات الثلاث : يظهر مدى رحمته وشفقته صلى الله عليه وآله وسلم ، وتحمّله لجفاء الأعراب ، وغلظتهم ، وسوء تصرفاتهم ، وعدم معاملته لهم بأفعالهم . كما فيها موقف الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم من هذا الأعرابي ، حيث همّوا بقتله ، لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منعهم ، لأنهم رأوا إساءة هذا الأعرابي للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وسوء معاملته له ، وعدوانه عليه ، فلم يصبروا ، لذا قالوا ما قالوا ، رضي الله تعالى عن الصحابة الكرام وأرضاهم وقد فعل .

وهمُّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم بقتل هذا الأعرابي ـ ومن قبله ممن مر ذكرهم ـ : دلالة على أنهم يعتقدون أن من أساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعقوبته القتل ، ولا يخفى عليهم هذا الأمر ، وهذا ما سنراه إن شاء الله تعالى في فقرة قادمة بإذن الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

١٦ـ إفداء الصحابة رضي الله تعالى عنهم للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بآبائهم وأمهاتهم وأنفسهم .

وذلك كقول أحدهم : فديناك بآبائنا وأمّهاتنا ، أفديك بأبي وأمي ، بأبي أنت وأمي ، نفسي لك الفداء ،... ونحو ذلك . والأحاديث كثيرة ، لا يستوعبها هذا المختصر ، لذا أكتفي ببعض النماذج .

---

(١) كشف الأستار (٣ : ١٥٩ـ ١٦٠) وأخلاق النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم (٧١ ـ ٧٢) والمغني عن حمل الأسفار (٢ : ٣٧٩) بهامش الإحياء .

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جلس على المنبر فقال : « عبدٌ خيَّره الله بين أن يؤتيَه زهرةَ الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عنده » فبكى أبو بكر ، وبكى ، فقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

* وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ـ في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه : فجاء أبو بكر ، فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقبَّله ، فقال : بأبي أنت وأمي يا نبيَّ الله ، طبتَ حيّاً وميِّتاً ،... الحديث ، رواه البخاري[2].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا قعوداً حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، معنا أبو بكر وعمر في نفر ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين أظهرنا ، ... الحديث بطوله ، وفي آخره ، فقال ـ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أَبَعَثتَ أبا هريرة بنعليك ، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبُه بشَّره بالجنة ؟ قال : « نعم » ... الحديث بطوله ، رواه مسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، رقم (٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب قول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم : « لو كنتُ متخذاً خليلاً »، وفي غيرهما ، وانظر : كتاب الصوم : باب الريّان للصائمين ، لحديث أبي هريرة لقولٍ آخر لأبي بكر رضي الله تعالى عنهما . وباب صوم الدهر لقول عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما أيضاً .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، =

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : مُرَّ بجنازة فأُثنِي عليها خيراً ، فقال نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « وجبت وجبت وجبت » ومُرَّ بجنازة فأُثني عليها شرّاً ، فقال نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « وجبت وجبت وجبت » قال عُمر : فدىً لك أبي وأمي ،... الحديث بطوله ، وفيه « أنتم شهداء الله في الأرض ». رواه مسلم[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن وفدَ عبد القيس لمّا أتَوا نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : يا نبيَّ الله ؛ جعلنا الله فداك ، ماذا يصلح لنا من الأشربة ؟... الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

* وعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه قال : انتهيتُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس في ظلِّ الكعبة ، فلما رآني قال : « هم الأخسرون وربِّ الكعبة » قال : فجئتُ حتى جلستُ ، فلم أتقارّ أن قمتُ فقلت : يا رسول الله ؛ فداك أبي وأمي من هم ؟... الحديث بطوله ، متفق عليه[3].

= رقم (٥٢) وانظر صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، لحديث جابر ، عن قول آخر لعمر رضي الله تعالى عنهما . وكتاب النكاح : باب الغيرة له أيضاً.

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى ، رقم (٦٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بالإيمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ،... رقم (٢٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأيمان والنذور : باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة ، رقم (٣٠) وانظر : باب الترغيب في الصدقة ، رقم (٣٣) وصحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب المكثرون هم المقلّون ، لرواية أخرى .

* وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس أحد يحاسَبُ إلا هلك » قالت : قلت : يا رسولَ الله ؛ جعلني الله فداءك ، أليس الله عز وجل يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟ قال : « ذاك العرْض ، يُعرضون ، ومن نوقش الحسابَ هلك ». رواه البخاري[1].

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ـ في قصة إردافه صلى الله عليه وآله وسلم صفية رضي الله تعالى عنها ، وفيه ـ قول أبي طلحة رضي الله تعالى عنه : يا نبي الله ؛ جعلني الله فداك ،... الحديث بطوله ، رواه البخاري[2].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسكت بين التكبير والقراءة إسكاتة هنيَّة ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ؛ إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟... الحديث بطوله ، رواه البخاري[3].

* وعن أم العلاء رضي الله تعالى عنها ـ في قصة وفاة عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه ، وفيه قولها : فقال لي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « وما يدريك أن الله أكرمه؟ » فقلت : لا أدري ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؛... الحديث بطوله ، رواه البخاري[4].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ باب : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾.

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب قول الرجل : جعلني الله فداك .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب ما يقول بعد التكبير .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب القرعة في المشكلات ، وفي غيرهما . وانظر =

* ومما يدخل في ذلك : شعر حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه في رده على كفار قريش ، وتهديده لهم ، ودفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ومنها قصيدته المشهورة ، والتي أولها :

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِواءُ إلى عَذْراءَ مَنْزِلُها خَلاءُ

وفيها الأبيات التالية :

هَجَوْتَ مُحَمَّداً وَأَجَبْتُ عَنْهُ وعِنْدَ الله في ذاكَ الجَزاءُ
أَتَهْجوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ
هَجَوْتَ مُبارَكاً بَرّاً حَنيفاً أَمِينَ الله شِيمَتُهُ الوَفاءُ
أَمَنْ يَهْجو رَسولَ الله مِنْكُم وَيَمْدَحُهُ ويَنْصُرُهُ سَواءُ
فَإِنَّ أَبي وَوالِدَهُ وَعِرضي لِعِرْضِ محَمدٍ مِنْكُم وِقاءُ[1].

فالذي يفدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ووالدَيْه وأهله ... ما الذي دفعه إلى ذلك ؟ إنما هو حرصُه عليه ، ومحبتُه له ، وتفانيه فيه ،... حتى يقدِّم أعز ما عنده في سبيل أن يبقى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم معزّزاً مكرّماً معافى سليماً .

١٧ ـ موقف الأنصار رضي الله تعالى عنهم عند إغضاب النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد وردت نصوص كثيرة في تنادي الأنصار رضي الله تعالى عنهم وعن سائر الصحابة الكرام عند بلوغهم غضب النبي المصطفى الكريم صلى

= صحيح البخاري : كتاب الحج : باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت ، لحديث أم عطية رضي الله تعالى عنها .

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٤ : ٩١ ـ ٩٣) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٥٨٧ ـ ٥٨٩).

الله عليه وآله وسلم بحمل السلاح ، والإحاطة به .

* عن خالد بن عرفطة رحمه الله تعالى قال : كنت جالساً عند عُمر ـ رحمه الله تعالى ـ إذا أُتي برجل من عبد القيس ، مسكنه بالسُّوس ، فقال له عمر : أنت فلان بنُ فلان العبدي ؟ قال : نعم . قال : وأنت النازل بالسُّوس ؟ قال : نعم . فضربه عمر بقناة معه . فقال : ما لي يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : اجلس ، فجلس ، فقرأ عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1]. فقرأها عليه ثلاثاً ، وضربه ثلاثاً .

فقال له الرجل : ما لي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أنت الذي نسخت كتاب دانيال ؟ قال : مرني بأمرك أتبعه . قال : انطلق ، فامحه بالحميم والصوف الأبيض ، ثم لا تقرأه ، ولا تُقرئه أحداً من الناس ، فلئن بلغني أنك قرأته أو أقرأتَه أحداً من الناس لأنهكنَّك عقوبةً .

ثم قال له : اجلس ، فجلس بين يديه ، فقال : انطلقتُ أنا فانتسختُ كتاباً من أهل الكتاب ، ثم جئتُ به في أديم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما هذا الذي في يدك يا عمر ؟ » قال : قلت يا رسول الله ؛ كتاب نسختُه لنزداد به علماً إلى علمنا . فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى احمرّت وجنتاه ، ثم نودي بالصلاة جامعة . فقالت الأنصار : أُغضِب نبيُّكم صلى الله عليه وآله وسلم ، السلاح السلاح ، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) سورة يوسف (١ ـ ٣).

فقال : « يا أيها الناس ؛ إني أُوتيتُ جوامعَ الكلِم وخواتيمَه ، واختصر لي اختصاراً ، ولقد أتيتُكم بها بيضاءَ نقيَّةً ، فلا تتهوَّكوا ، ولا يغرَّنكم المتهوكون ».

قال عمر : فقمتُ فقلت : رضيتُ بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبك رسولاً . ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . رواه أبو يعلى ـ وهذا لفظه ـ وابن أبي حاتم والضياء في المختارة والخطيب ، وعزاه السيوطي لابن المنذر ونصر المقدسي ، وفي إسنادهم : عبدُ الرحمن بن إسحٰق ، وهو ضعيف ، لكن رواه بنحوه أبو داود في المراسيل برجال ثقات ، عن أبي قلابة ، أن عمر به ، كما له شواهد أخرى[1].

فما الذي حمل الأنصار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم على تداعي حمل السلاح ، وإحداقهم بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ إنما هو الحب الذي لا يقابله حب ، إذ لو طلب منهم أن يقتلوا من شاء ما تأخروا ، فإذا كان هذا ضمن نطاق أصحابه رضي الله تعالى عنهم فكيف لو كان المناوئ كافراً ؟ والله تعالى أعلم .

١٨ـ حراسة الصحابة رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلم عند خوفهم الخطر .

لقد وردت عدة نصوص في مجيء الصحابة رضي الله تعالى عنهم لحراسته صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً عند شعورهم بالخطر عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، أو خوفهم عليه .

---

(١) المراسيل (٣٢١) وتفسير ابن أبي حاتم (٧ : ٢١٠٠) والمختارة (١ : ٢١٥ ـ ٢١٧) وتقييد العلم (٥١ ـ ٥٢) والمقصد العلي (رقم ٥٨ ، ٦١) ومجمع الزوائد (١ : ١٧٣ ، ١٨٢) والمطالب العالية (٣ : ٣٠٨) وإتحاف الخيرة المهرة (١ : ٣١٧ ـ ٣١٨) وتفسير ابن كثير (٢ : ٤٦٧ ـ ٤٦٨) والدر المنثور (٤ : ٤٩٧) وانظر ذم الكلام (٣ : ٩٤ ـ ٩٦).

* عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : أرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ ليلة ، فقال : « ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلةَ » قالت : وسمعنا صوتَ السلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من هذا ؟ » قال : أنا سعدُ بن أبي وقّاص ، يا رسول الله ، جئتُ أحرسك .

قالت عائشة : فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سمعتُ غطيطَه .

زاد مسلم في رواية ثانية : قال [سعد رضي الله تعالى عنه] : وقع في نفسي خوفٌ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجئتُ أحرسه . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم نام . متفق عليه[1].

* وذكر أهلُ السير[2]. أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أعرس بصفية يوم خيبر ـ أو ببعض الطريق ـ وكانت التي جمَّلتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومشَّطتها وأصلحت من أمرها : أمَّ سُلَيم بنت مِلحان ـ أم أنس بن مالك ـ وبات بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبة له ، وبات أبو أيوب ـ خالد بن زيد ـ متوشِّحاً سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويُطيف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فلما رأى مكانه قال : « مالكَ يا أبا أيوب ؟ » قال : يا

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ، رقم (٣٩ ـ ٤٠).

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣ : ٤٧٣) ولابن كثير (٣ : ٤٠٢) ودلائل النبوة (٤ : ٢٣٣).

رسول الله ؛ خفتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأةً قد قتلت أباها وزوجها وقومها[1] ، وكانت حديثةَ عهد بكفر ، فخفتها عليك ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني ».فقد رووه من طريقين مرسلين هو بهما حسن .

نعم لقد حفظ الله تعالى أبا أيوب رضي الله تعالى عنه ، حتى صار الروم يحرسون قبرَه ـ وهو تحت سور القسطنطينية ـ خشية أن ينبشه شقي منهم ، حتى فُتحت ، وما زال معروفاً ومحفوظاً إلى يومنا هذا .

* وعن سهل بن الحنظلية رضي الله تعالى عنه ، أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومَ حنين ، فأطنبوا السيرَ ، حتى كان عشية . فحضرت الصلاةُ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء رجلٌ فارسٌ ، فقال : يا رسول الله ؛ إني انطلقتُ بين أيديكم ، حتى طلعتُ جبلَ كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم ؛ بظُعُنِهم ونَعَمهم وشائهم اجتمعوا إلى حُنين ، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : « تلك غنيمةُ المسلمين غداً إن شاء الله ».

ثم قال : « من يحرسنا الليلةَ ؟ » قال أنس بنُ أبي مَرثد الغنوي رضي الله تعالى عنه : أنا يا رسول الله .

قال : « فاركب » فركب فرساً له ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « استقبل هذا الشِّعبَ حتى تكونَ في أعلاه ، ولا نُغْزَنَّ من قِبَلِك الليلةَ » فلما أصبحنا خرج

(١) لم يتول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل أحد بيده ، ولكن منهم من قُتل أثناء المعركة ، ومنهم من أمر صلى الله عليه وآله وسلم بقتله لخيانته .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مصلاه ، فركع ركعتين ، ثم قال : « هل أحسستم فارسَكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ؛ ما أحسسناه ، فثُوِّبَ بالصلاة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ، وهو يلتفت إلى الشِّعب ، حتى إذا قضى صلاتَه وسلَّم قال : « أبشروا فقد جاء فارسكم ».

فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشِّعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فسلَّم ، فقال : إني انطلقتُ حتى كنتُ في أعلى هذا الشِّعب حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما أصبحتُ اطلعتُ الشِّعبين كليهما ، فنظرتُ فلم أر أحداً .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هل نزلتَ الليلةَ؟ » قال : لا ، إلا مُصلِّياً أو قاضياً حاجة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قد أوجبتَ ، فلا عليك أن لا تعمل بعدها ». رواه أبو داود والنسائي ، وصححه ابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم وأقره الذهبي ، وحسنه الحافظ[1].

وهناك عدة مواقف حرس الصحابة رضي الله تعالى عنهم فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ في بدر ، وفي أُحد ، وفي الخندق ، وفي وادي القرى ، وفي عمرة القضية ، وفي حنين .

ولا يخفى ما في الحراسة من خطورة على الحارس ، خاصة في مثل هذه الأماكن والأوقات الحرجة جدّاً ، ثم ينظر إلى قول كلٍّ من سعد وأبي أيوب

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في فضل الحرس في سبيل الله تعالى ، رقم (٢٥٠١) وسنن النسائي الكبرى (٥ : ٢٧٣ ـ ٢٧٤) ومسند أبي عوانة (٥ : ٩٨) وصحيح ابن خزيمة (١ : ٢٤٦) ولم يسق لفظه ، والمستدرك (١ : ٢٣٧) (٢ : ٨٣ ـ ٨٤) والمعجم الكبير (٦ : ١١٥ـ ١١٦) والمعجم الأوسط (١ : ١٢٩ ـ ١٣٠) ومسند الشاميين (٤ : ١٠٧ـ ١٠٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ١٤٩) ودلائل النبوة (١٢٥ـ١٢٦) وفتح الباري (٨ : ٢٧).

رضي الله تعالى عنهما كيف وقع في قلبيهما التخوف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا جاءا يحرسانه صلى الله عليه وآله وسلم من غير طلب منه ، فشكر لهما صنيعَهما ، ودعا لهما بخير .

وقد تتبع بعضُهم أسماءَ من حرس رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان منهم : سعد بن معاذ ، ومحمد بن مسلمة ، والزبير ، وأبو أيوب ، وذكوان بن عبد القيس ، والأدرع السلمي ، وابن الأدرع ـ واسمه محجن ، وقيل سلمة ـ وعبّاد بن بشر ، والعباس ، وأبو ريحانة ، وأنس بن أبي مرثد ، رضي الله تعالى عنهم[1] .

١٩ـ تنبيه أبي بكر الصّدّيق لمن طلب منه قتل من أغضبه رضي الله تعالى عنهما أن ذلك خاص بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

* عن أبي برزةَ الأسلمي رضي الله تعالى عنه أنه قال : كنا عند أبي بكر الصّدِّيق ـ رضي الله تعالى عنه ـ في عمله ، فغضب على رجل من المسلمين ، فاشتد غضبُه عليه جدّاً ، فلما رأيت ذلك ، قلت : يا خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ أضربُ عنقَه ! فلما ذكرتُ القتلَ صَرَف عن ذلك الحديث أجمعَ إلى غير ذلك من النحو .

فلما تفرَّقنا أرسل إليَّ بعد ذلك أبو بكر الصّدِّيق . فقال : يا أبا برزةَ ، ما قلتَ ؟ قال : ونسيتُ الذي قلتُ . قلت : ذكِّرنيه . قال : أما تذكرُ ما قلتَ ؟ قال : قلتُ : لا والله ، قال : أرأيتَ حين رأيتَني غضبتُ على الرجل فقلتَ أضربُ عنقه يا خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أما تذكر ذاك ؟ أَوَكنتَ فاعلاً ذاك ؟

(١) انظر فتح الباري (١٣ : ٢١٩).

قال : قلتُ : نعم والله ، والآن إن أمرتَني فعلتُ . قال : ويحك ـ أو ويلك ـ إن تلك ـ والله ـ ما هي لأحد بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

زاد الحاكم في روايته : فقال : ليس هذا إلا لمن شتم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم . رواه أحمد والطيالسي والحميدي وأبو داود والنسائي والمروزي وأبو يعلى والبزار بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1].

هذا تنبيه من الصِّدِّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه على أن قتلَ المعادي والمخاصم والمشاتم إنما هو لمن يفعل ذلك بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس لأحد بعده مهما كان ، كما أن رواية الحاكم فيها إقرارٌ من الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه أن شاتمَ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يُقتل ، والله تعالى أعلم .

٢٠ ـ إهدار دم من شتم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد وُجد في زمن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بعضُ أهل الكتاب من سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو شتمه ، فقتله بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، فأهدر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم دمَه . دلالة على أن عقوبة من

(١) مسند أحمد (١ : ٩ ، ١٠) ومسند الحميدي (١ : ٥ رقم ٦) ومسند الطيالسي (٣ رقم ٤) وسنن أبي داود : كتاب الحدود : باب الحكم فيمن سب النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٤٣٦٣) وسنن النسائي : كتاب تحريم الدم : باب الحكم فيمن سب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وباب ذكر الاختلاف على الأعمش (٧ : ١٠٨ ـ ١١١ من طرق) والسنن الكبرى له (٢ : ٣٠٤ ـ ٣٠٦ من طرق) ومسند أبي بكر الصديق (١٠٨ ـ ١١٠ رقم ٦٦ ـ ٦٨) ومسند أبي يعلى (١ : ٨٢ ـ ٨٤ من طرق) والبحر الزخار (١ : ١١٥ ـ ١١٧) والمستدرك (٤ : ٣٥٤ ، ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الدنيا ـ هي القتل ، وأن من فعل ذلك فلا دية ولا قصاص ، والله تعالى أعلم . وهذه بعض النماذج .

* عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، أن يهودية كانت تشتم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وتقع فيه ، فخنقها رجلٌ حتى ماتت ، فأبطل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دمَها . رواه أبو داود والبيهقي[1].

* ـ وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وتقع فيه ، فينهاها ، فلا تنتهي ، ويزجرها فلا تنزجر ، قال : فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتشتمه ، فأخذ المِغْولَ فوضعه في بطنها ، واتكأ عليها فقتلها ،... الحديث ، وفيه ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : «ألا اشهدوا أن دمَها هدر ». رواه أبو داود والنسائي والطبراني ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، ووثق الحافظ رجاله[2].

في هذين الحديثين الشريفين دليل صريح على أن شاتمَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقتل ، ولو كان كتابيّاً ، وإبطالُ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم دمَ الشاتم : دليلٌ على ذلك .

(١) سنن أبي داود : كتاب الحدود : باب الحكم فيمن سب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٤٣٦٢) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٢٠٠) وانظر : المطالب العالية (٢ : ٣٣٨).

(٢) سنن أبي داود : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٣٦١) وسنن النسائي : كتاب تحريم الدم : باب فيمن سب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (٧ : ١٠٧ـ ١٠٨) والسنن الكبرى له (٢ : ٣٠٤) من كتاب المحاربة ، والمعجم الكبير (١١ : ٣٥١) وسنن الدارقطني (٣ : ١١٢ ، ١١٢ـ ١١٣) (٤ : ٢١٦ ، ٢١٧) والمستدرك (٤ : ٣٥٤) وبلوغ المرام (٢٢٣) وانظر السيف المسلول (٣٣٠ـ ٣٣٦ ، ٣٤٢ـ ٣٤٥) نيل الأوطار (٧ : ٣٧٩ـ ٣٨١).

ذلك أن الذِّمِّيَّ يُشترط في حقه ـ لحقن دمه وماله ـ أن لا يتعرّض للمقدّسات الإسلامية ، سواء الخوض في ذات الله تعالى ، أو في رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، أو في القرآن الكريم ،... أو في الإسلام عموماً ،...الخ ما ذكرته في نقض العهد في (رحمة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار) فإذا فعلوا ذلك فقد نقضوا العهد ، واستحقوا العقوبة .

أما المسلم فيقتل قولاً واحداً ، كما سيأتي بيانه في الفصل القادم . إن شاء الله تعالى .

٢١ـ حكم الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعقوبة الذمّي الذي سب النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

* ـ عن غَرَفَة بن الحارث الكندي رضي الله تعالى عنه ، أنه مر به نصرانيٌّ فدعاه إلى الإسلام ، فتناول النصرانيُّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وذكره ، فرفع غَرَفَةُ يدَه فدقَّ أنفه [فقتله غرفة] فرفع إلى عَمْرِو بن العاص . فقال عَمْرو : أعطيناهم العهد .

فقال غَرَفة: معاذ الله أن نكون أعطيناهم على أن يُظهروا شتمَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، إنما أعطيناهم على أن نخلّي بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم ، وأن لا نحملهم ما لا يُطيقون ، وإن أرادهم عدوٌّ قاتلناهم مِن ورائهم ، ونخلّي بينهم وبين أحكامهم ، إلا أن يأتوا راضين بأحكامنا ، فنحكمُ بينهم بحكم الله وحكم رسوله ، وإن غيبوا عنا لم نعرض لهم فيها . قال عَمْرو : صدقت . رواه البخاري في تاريخه ، والبيهقي وابن الأثير ، وعزاه الحافظ لابن السكن ، ورواه أبو يعلى مطوّلاً ، وفيه [فقتله

غَرَفَة][1].

* وعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنه ، أنه مر براهب ، فقيل : إن هذا سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : لو سمعتُه لضربتُ عنقَه ، إنّا لم نعطهم العهدَ على أن يسبوا نبيَّنا صلى الله عليه وآله وسلم . رواه الحارث برجال ثقات ، ومسدد[2].

وهذا شأن كل ذمِّيٍّ ، له العهد على ألا يتعرّض لمقدساتنا ، فإن تعرّض لها بذم أو تنقيص ؛ فقد أبطل العهد ، وأسقط العقد ـ كما مر في الفصل السابق ـ لذا يعاقب بما يُناسب الجرم الذي ارتكبه . شأنه في ذلك شأن أي دولة يتعرض المقيمُ فيها لأنظمتها ومقدساتها .

ويظهر هذا من فعل غَرَفَة رضي الله تعالى عنه ، ورجوعِ عَمْرِو بن العاص رضي الله تعالى عنه إلى حكمه ، والله تعالى أعلم .

٢٢ ـ غيرة الحيوان ودفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

هذا باب واسع ، ذكرت جملةً منه في (شوق الجمادات واستجابتها له صلى الله عليه وآله وسلم) كما ذكرت خلاصةً له في (محبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد) وأقتصر هنا على بعض النصوص للتنبيه . لكن قبل ذكري لها أذكر حديثاً دالّا على معرفة الكون بجميع عناصره برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، سوى الكفار من الإنس والجن .

---

(١) التاريخ الكبير (٧ : ١٠٩ ـ ١١٠) والسنن الكبرى (٩ : ٢٠٠) وإتحاف الخيرة المهرة (٥ : ٢١٢ ـ ٢١٣) والمطالب العالية (٢ : ٣٣٨ ـ ٣٣٩) وأسد الغابة (٤ : ٣٨) والإصابة (٥ : ٣٠٩).

(٢) بغية الباحث (٢ : ٥٦١) والمطالب العالية (٢ : ٣٣٨) وإتحاف الخيرة المهرة (٥ : ٢١٢).

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سفر ، حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار ، إذا فيه جمل ، لا يدخل الحائطَ أحدٌ إلا شدَّ عليه ، قال : فجاء النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى أتى الحائطَ ، فدعا البعيرَ ، فجاءه واضعٌ مشفره في الأرض ، حتى برك بين يديه ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « هاتوا حزاماً » فخطمه إلى أصحابه ، ثم التفت إلى الناس فقال : « إنه ليس شيءٌ بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله ، غير عاصي الجن والإنس ». رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد والطبراني والبزار ، وأبو نعيم والبيهقي والتيمي ـ ثلاثتهم في دلائل النبوة ـ والضياء المقدسي من طرق برجال ثقات . كما ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى : هذه طرق جيدة ، متعددة ، تفيد غلبة الظن أو القطع.اهـ[1].

وأذكر مثالين في حرص الحيوان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثالاً لحرص الحيوان على عدم إيذائه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثالاً لتأدب الحيوان مع من له صلة به صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثالاً

(١) مسند أحمد (٣ : ٣١٠) وسنن الدارمي (١ : ١٩ رقم ١٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٣) ومسند عبد بن حُميد (٣٣٧ رقم ١١٢٢) وكشف الأستار (٣ : ١٥٠ـ ١٥١) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤٩١ ـ ٤٩٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٢ ـ ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٠) ودلائل النبوة للتيمي (١٢٩ ، ١٥٨رقم ١٣٩ ، ١٨٣) وانظر : كنز العمال (١١ : ٤١٧) والشمائل لابن كثير (٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، ٢٧٠) ومجمع الزوائد (٩ : ٤ ـ ٧) وإتحاف الخيرة المهرة (٩ : ٤٨) وسبل الهدى والرشاد (٢ : ٣٩٢) والمعجم الكبير (١٢ : ١٥٥) (٢٢ : ٢٦١ ـ ٢٦٢) والأحاديث الطوال (٣٠٦ـ ٣٠٧ رقم ٥٤) وعلامات النبوة (١٢٥ ـ ١٢٦).

لحراسته وحمايته ، وثلاثة أمثلة لانتقام الحيوان ممن سبَّ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أو آذاه ، ودفاعه عنه .

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن امرأةً يهوديةً أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشاة مسمومة ، فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فسألها عن ذلك ، فقالت : أردتُ لأقتلك . قال : « لا ، ما كان الله ليسلِّطكِ على ذلك ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

جاء في رواية البزار ـ لهذا الحديث عنه رضي الله تعالى عنه ـ فلما مد يده ليأكل ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة ». ثم ذكر الحديث .

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : لمّا فُتحت خيبر ، أُهديت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاةٌ فيها سم [زاد في رواية أبي داود وغيره ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ارفعوا أيديَكم ، فإنها أخبرتني أنها مسمومة »] فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود » فجُمعوا له .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أبوكم ؟ » قالوا : فلان . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كذبتم ، بل أبوكم فلان » فقالوا : صدقت وبررت .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الهبة : باب قبول هبة المشرك . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب السم ، رقم (٤٥) وكشف الأستار (٣ : ١٤٠ ـ ١٤١) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٩٥).

فقال : « هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتُكم عنه ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذَبناك عرفتَ كذِبَنا كما عرفته في أبينا . قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَن أهلُ النار ؟ » فقالوا : نكون فيها يسيراً ، ثم تخلفوننا فيها . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اخسؤوا فيها ، والله لا نَخلُفكم فيها أبداً ».

ثم قال لهم : « هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟ » قالوا : نعم . فقال : « هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً ؟ » فقالوا : نعم . فقال : « ما حملكم على ذلك ؟ » فقالوا : أردنا إن كنتَ كاذباً نستريح منك ، وإن كنتَ نبيّاً لم يضرك . رواه البخاري[1].

وقد ورد ذلك من حديث عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، كما ذكرته في الكتابين المذكورين .

* وعن رجل من الأنصار رضي الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو على القبر ـ يوصي الحافر : « أوسِع من قِبَل رِجليه ، أوسع من قِبَل رأسه » فلما رجع ، استقبله داعي امرأة ، فجاء ، وجيء بالطعام ، فوضع يدَه ، ثم وضع القومُ ، فأكلوا ، فنظر آباؤنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يلوك لقمةً في فمه ، ثم قال : « أجد لحم شاة أُخذت بغير إذن أهلها » فأَرسلت المرأةُ قالت : يا رسول الله ؛ إني أرسلت إلى البقيع ، ليُشترى لي

(١) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب ما يذكر في سم النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي غيرهما . وسنن أبي داود : كتاب الديات : باب في من سقى رجلاً سمّاً أو أطعمه فمات ، رقم (٤٥١٢).

شاة ، فلم أجد ، فأرسلتُ إلى جارٍ لي قد اشترى شاةً ؛ أن أرسل إليَّ بها بثمنها ، فلم يوجد ، فأرسلتُ إلى امرأته ، فأرسلتْ إليَّ بها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أطعميه الأسارى ». رواه أحمد وأبو داود والطحاوي والبيهقي والدارقطني بأسانيد صحيحة ، وصححه الزيلعي[1].

* وعن جابر رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابَه مرّوا بامرأة ، فذبحت لهم شاةً ، واتّخذت لهم طعاماً ، فلما رجع قالت : يا رسول الله ؛ إنّا اتّخذنا لكم طعاماً ، فادخلوا فكلوا . فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابُه ، وكانوا لا يبدؤون حتى يبتدئ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذ النبيُّ لقمةً ، فلم يستطع أن يسيغها ، فقال : النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « هذه شاةٌ ذُبحت بغير إذن أهلها » فقالت المرأة : يا نبي الله ؛ إنّا لا نحتشم من آل سعد بن معاذ ، ولا يحتشمون منّا ، نأخذ منهم ، ويأخذون منا . رواه أحمد برجال الصحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وروى أحمد والنسائي والحاكم أوله[2].

* إذا كانت الشاة المسمومة غارت عليه صلى الله عليه وآله وسلم ،

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤) وسنن أبي داود : كتاب البيوع : باب في اجتناب الشبهات ، رقم (٣٣٣٢) وشرح مشكل الآثار (٧ : ٤٥٥ ، ٤٥٦) وشرح معاني الآثار (٤ : ٢٠٨) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ٢٨٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٣٣٥) ودلائل النبوة (٦ : ٣١٠) ونصب الراية (٤ : ١٦٨).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٥١ ، ٣٦٥) والسنن الكبرى (٤ : ١٧٣) والمستدرك (٤ : ١٠٩ ، ٢٣٤ ـ ٢٣٥) وأخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (٢٠٨) والشمائل للبغوي (٢ : ٦١٠) ومجمع الزوائد (٤ : ١٧٢ ـ ١٧٣).

وخافت أن يدخل جوفَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لحمٌ مسمومٌ ، فيتضرر به ، فإن الشاة التي ذُبحت بغير إذن أهلها خافت هي الأخرى أن يدخل جوفَه الكريمَ لحمٌ مشبوه ،...

هذه حيوانات ميتة حملها على إخباره صلى الله عليه وآله وسلم الحرص عليه ، حتى لا يتأذى ، فكيف لو كانت ناطقة مدركة ما ذا ستفعل ؟ مع أنه ثبت أن النوق كن يزدلفن إليه بأيهن يبدأ بالنحر في مكة ، كما بينتُه في غير هذه الرسالة .

* وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَحشٌ ، فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لعب واشتدّ ، وأقبل وأدبر ، فإذا أحسّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد دخل : ربض فلم يترمرم ، ما دام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البيت ، كراهية أن يؤذيه . رواه أحمد ـ من طريقين ـ وأبو نُعيم وأبو يعلى والبزار والطبراني والبيهقي والدارقطني برجال الصحيح ، وقال ابن كثير رحمه الله تعالى عن سند أحمد : هذا الإسناد على شرط الصحيح ، ولم يخرجوه ، وهو حديث مشهور[1].

هذا وحش يربض ولم يترمرم ، عند دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، احتراماً خشيةَ إيذائه ، فكيف لو تعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمام هذا الوحش لاستهزاء أو عدوان ماذا سيفعل ؟ هذا

(١) مسند أحمد (٦ : ١١٢ ـ ١١٣ ، ١٥٠ ، ٢٠٩) ومسند أبي يعلى (٧ : ٤١٨) (٨ : ١٢١) وكشف الأستار (٣ : ١٥٠) وجزء الحسن بن عرفة (٨٤ رقم ٧٣) ودلائل النبوة لأبي نُعيم (٢ : ٤٩١) وللبيهقي (٦ : ٣١) والشمائل لابن كثير (٢٨٣) ومجمع الزوائد (٩ : ٣ ـ ٤).

ما سنراه في الأمثلة الثلاثة الأخيرة .

* وعن سفينة ـ مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ رضي الله تعالى عنه قال : ركبتُ البحر ، فانكسرت سفينتي التي كنتُ فيها ، فركبتُ لوحاً من ألواحها ، فطرحني اللوح في أَجَمةٍ فيها الأسد ، فأقبل إليَّ يريدني ، فقلتُ : يا أبا الحارث ؛ أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [زاد في رواية : كان من أمري كيت وكيت ، فأقبل الأسد] فطأطأ رأسَه ، وأقبل إليَّ ، فدفعني بمنكبه ، حتى أخرجني من الأجمة ، ووقفني على الطريق ، ثم همهم ، فظننتُ أنه يودِّعني ، فكان ذلك آخر عهدي به . رواه عبد الرزاق ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، ورواه ابن سعد وابن مندة والطبراني والبزار وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي والتيمي ، ورجال أغلبهم ثقات[1].

قال الحافظ ابن سيد الناس رحمه الله تعالى[2]:

واللَّيْثُ أذوى في سَفينة مفرداً ... بالرّوم في فيفاء قفرٍ بَلْقَع

ما زال يَكْلَؤُهُ إلى أنْ دَلَّهُ ... عِند الأمان على سَواءِ المشْرَع

هذا أسد جائع ـ كما يظهر من حاله ـ كيف يتأدب مع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما سمع باسمه ، فلم يتركه في الأجمة ، بل صار يدفعه برفق ، حتى أوصله الطريق ، واطمأن عليه أنه عرف الطريق

(١) مصنف عبد الرزاق (١١ : ٢٨١ ـ ٢٨٢) والمستدرك (٣ : ٦٠٦) والمعجم الكبير (٧ : ٩٤) وكشف الأستار (٣ : ٢٧١) وحلية الأولياء (١ : ٣٦٩) ودلائل النبوة له (٢ : ٧٤٦ ـ ٧٤٧) وللبيهقي (٦ : ٤٥ ـ ٤٦) وللتيمي (١٦٣رقم ١٩٦) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٦٦ ـ ٣٦٧) والمطالب العالية (٤ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠) وتهذيب الكمال (١١ : ٢٠٦) والمقامات العلية (٨٦ ـ ٨٧) والبداية والنهاية (٥ : ٣١٦) وإتحاف الخيرة المهرة (٩ : ٣٦٨).

(٢) المقامات العلية (٨٦).

الذي يوصله إلى أصحابه ، وإذا سمع صوتاً ذهب مسرعاً نحوه ليستطلع الخبر ـ كما في بعض الروايات ـ ثم يهمهم ساعة كالمودّع له ، فكيف لو رأى هذا الأسد من يتعدى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أيدعه يبقى على قيد الحياة ؟ هذا ما نراه في الأمثلة الثلاثة الأخيرة ، إن شاء الله تعالى ، والله تعالى المعين والموفق .

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ قال : تشاورت قريش ليلةً بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح ، فأثبتوه بالوثاق ـ يريدون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل أخرجوه ، فأَطلع الله عز وجل نبيَّه على ذلك ، فبات عليٌّ على فراش النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم تلك الليلة ، وخرج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليّاً يحسبونه النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوا عليّاً ، ردَّ الله مكرَهم ، فقالوا : أين صاحبك هذا؟ قال : لا أدري ، فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل خُلط عليهم ، فصعدوا في الجبل ، فمرّوا بالغار ، فرأوا على بابه نسجَ العنكبوت ، فقالوا : لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال . رواه أحمد والطبراني والخطيب البغدادي ، وعبدالرزاق ـ ضمن حديث طويل ـ ورواه الطبري في تاريخه مطولاً من أربعة طرق بعضها صحيح ، وقد ورد من غير هذا الطريق بنحوه أيضاً ، وله شواهد مراسيل ، لذا حسنه ابن كثير والحافظ ابن حجر[1]، والله تعالى أعلم .

(١) مسند أحمد (١ : ٣٤٨) والمعجم الكبير (١١ : ٤٠٧) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ٣٨٩) =

* وعن أبي مصعب المكي رحمه الله تعالى قال : أدركتُ زيد بنَ لأرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بنَ مالك ـ رضي الله تعالى عنهم ـ يتحدَّثون ، أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم لما كان ليلة بات في الغار ، أمر الله تبارك وتعالى شجرةً فنبتت في وجه الغار ، فسترت وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر تبارك وتعالى العنكبوتَ فنسجت على وجه الغار ، وأمر تبارك وتعالى حمامَتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار .

وأتى المشركون من كل فج ، حتى كانوا من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم على قدر أربعين ذراعاً ، معهم قسيهم وعصيهم [وسيوفهم] وتقدّم رجل منهم فنظر فرأى الحمامتين ، فرجع ، فقال لأصحابه : ليس في الغار شيء ، رأيت حمامتين على فم الغار ، فعرفتُ أن ليس فيه أحد . فسمع النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قولَه ، فعلم أن الله تبارك وتعالى قد درأ بهما عنه ، فسمَّتَ عليهما ، وفرض جزاءَهما ، واتخذ في حرم الله تبارك وتعالى فرخين ، فأصل كل حمام الحرم من فراخهما . رواه البزار والطبراني وابن سعد وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر ، وفي إسنادهم أبو مصعب ، لا يعرف ، لكن شاهده الحديث السابق ، فهو به حسن[1].

= وتاريخ بغداد (١٣ : ١٩١ ـ ١٩٢) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٧) وتاريخ الطبري (٢ : ٣٧٠ ـ ٣٧٤) والسيرة النبوية لابن كثير (٢ : ٢٣٩) وفتح الباري (٧ : ٢٣٦). وانظر : الطبقات الكبرى (١ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨) ومسند أبي بكر الصديق (١١٧ ـ ١١٨ رقم ٧٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٢٥٧ ـ ٢٦٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٤٦٨ ـ ٤٦٩) وانظر فيه ما قبله . وانظر سيرة ابن هشام .

(١) كشف الأستار (٢ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠) والمعجم الكبير (٢٠ : ٤٤٣) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٢٨) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤١٩ ـ ٤٢٠) وللبيهقي (٢ : ٤٨١ ـ ٤٨٢) ومجمع الزوائد =

هذا العنكبوت من أضعف المخلوقات ، ومثله الحمامة ـ كما في رواية البزار والطبراني وأهل السير ـ ومع هذا حرسوه ، حتى زال الخطر عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن كان الحارس الحقيقي هو الله تعالى ، ولكن ليكونوا في غاية الكبت والامتهان ، بحيث أوهن البيوت ، وأضعف الطيور هو الذي بات يحرسه صلى الله عليه وآله وسلم .

* عن أبي عقرب رضي الله تعالى عنه قال : كان لهب بن أبي لهب يسبُّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال النبيُّ : « اللهم سلِّط عليه كلبَك » فخرج في قافلة يريد الشام ، فنزل منزلاً فقال : إني أخاف محمداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قالوا له : كلا ، فحطّوا متاعهم حوله ، وقعدوا يحرسونه ، فجاء الأسد فانتزعه ، فذهب به . رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وحسنه الحافظ ، ورواه آخرون[1].

* وعن هبّار بن الأسود رضي الله تعالى عنه قال : كان أبو لهب وابنه عتيبة قد تجهّزا إلى الشام ، وتجهَّزتُ معهما ، فقال ابنُه عُتيبة : والله لأنطلقنَّ إليه ، ولأوذينَّه في ربِّه ، فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا محمد هو يكفر بالذي ﴿ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك » ثم انصرف عنه ، فرجع إليه فقال : أي بُنَي ، ما قلتَ له ؟ قال : كفرتُ بإلهه

= (٥ : ٥٢ ـ ٥٣) ومختصر زوائد البزار (٢ : ٩ـ١٠) وانظر السيرة النبوية لابن كثير (٢ : ٢٤٠ـ ٢٤١) والخصائص الكبرى للسيوطي (١ : ١٨٥ ـ ١٨٦).

(١) المستدرك (٢ : ٥٣٩) وبغية الباحث (٢ : ٥٦٢) وفتح الباري (٤ : ٣٩) ومعرفة الصحابة (٥ رقم ٦٠٥٠ ، ٦٩٢٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٣٣٨ ، وانظر فيه ٣٣٨ ـ ٣٣٩) لبيان أنه عُتيبة ، وإتحاف الخيرة المهرة (٥ : ٢١٢).

الذي يعبد . قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال « اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك ».

فقال : أي بُنَيَّ ؛ والله ما آمن عليك دعوةَ محمد .

قال : فسرنا حتى نزلنا الشَّراةَ ، وهي مأسدة ، فنزلنا إلى صومعة راهب ، فقال : يا معشر العرب ، ما أنزلكم هذه البلاد ، وإنها لمسرح الضَّيغم [أي : الأسد] فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم حقّي ، قلنا : أجل يا أبا لهب ، فقال : إن محمداً قد دعا على ابني هذا دعوةً ، والله ما آمنها عليه ، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة ، ثم افرشوا لابني عُتيبة ، ثم افرشوا حوله . قال : ففعلنا . جمعنا المتاع حتى ارتفع ، ثم فرشنا له عليه ، وفرشنا حوله ، فبينا نحن حوله ، وأبو لهب معنا أسفل ، وبات هو فوق المتاع .

فجاء الأسد ، فشمَّ وجوهنا ، فلما لم يجد ما يريد تقبَّض ، ثم وثب ، فإذا هو فوق المتاع ، فجاء الأسد فشم وجهَه ، ثم هزمه هزمةً ففضخ رأسَه ، فقال : سيفي يا كلب ، لم يقدر على غير ذلك ، ووثبنا ، فانطلق الأسد ، وقد فُضخ رأسه ، فقال له أبو لهب : قد عرفتُ ـ والله ـ ما كان لينفلت من دعوة محمد . رواه أبو نعيم وابن قانع[1] كما ورد من غير هذا الطريق أيضاً .

* وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رماه عبد الله بن قَمِئة بحجر يومَ أُحُدٍ ، فشجَّه في وجهه ، وكسر رباعيتَه ، وقال : « خذها وأنا ابنُ قَمِئة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو يمسح الدمَ عن وجهه : « مالَك ، أقمأك الله » فسلَّط الله

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٥٨٥ ـ ٥٨٦ ، وانظر فيه ٥٨٦ ـ ٥٨٧)ومعجم الصحابة (٣ : ٢٠٧).

عليه تيسَ جبلٍ ، فلم يزل ينطحه ، حتى قطَّعه قِطعةً قطعةً . رواه الطبراني[1].

* قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في ترجمة علي بن مرزوق بن أبي الحسن الرَّبَعي السُّلامي[2]: ذكر عن جمال الدين إبراهيم بن محمد الطِّيبي : أن بعض أمراء المغل [المغول] تنصَّر ، فحضر عنده جماعةٌ من كبار النصارى والمغل [المغول] فجعل واحدٌ منهم ينتقص النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وهناك كلبُ صيدٍ مربوط ، فلما أكثر من ذلك ؛ وثب عليه الكلبُ ، فخمشه ، فخلَّصوه منه .

وقال بعض من حضر : هذا بكلامك في محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : كلا ، بل هذا الكلبُ عزيزُ النفس ، رآني أشير بيدي ، فظن أني أريد [أن] أضربه .

ثم عاد إلى ما كان فيه [يعني من الكلام في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] فأطال ، فوثب الكلبُ مرةً أخرى ، فقبض على زَرْدِمَتِه [ما كان مقابل الحنجرة ، وهي من زرد الطعام ، أي ابتلعه] فقلعها ، فمات من حينه ، فأسلم بسبب ذلك نحوُ أربعين ألفاً من المغل [المغول].اهـ.

أخزاه الله تعالى ، وجعل جهنم مصيره ، ولو اتبع مذهب عيسى عليه السلام ـ كما هو في الإنجيل ، لعظَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يجرؤ على سبِّه أو إهانته[3] ، ولكن شقاءه دفعه للنيل منه ، فصان الله

---

(١) المعجم الكبير (٨ : ١٥٤) ومجمع الزوائد (٦ : ١١٧) وفي السند : حفص بن عمر العدني .

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣ : ٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٣) انظر آخر (رحمة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار) حيث نقلت من إنجيل برنابا من تعظيم عيسى عليه السلام للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الكثير .

تعالى رسولَه الكريم ، وسخّر له من يدافع عنه ، وهذا شأن كثير من أعداء الله تعالى وأعداء رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

هذه حيوانات عجماوات دافعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقتلت من اعتدى أو سب أو استهزأ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قياماً بواجبها نحوه ، ولمعرفتها به صلى الله عليه وآله وسلم ، كما ذكرت الحديث في أول الفقرة « إنه ليس شيء بين السماء والأرض ، إلا يعلم أني رسول الله ، غير عاصي الجن والإنس ».

إذا كانت الحيوانات هكذا تفعل معه صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بحال المسلم العاقل المحب ، الذي يجب عليه حمايتُه ونصرتُه والدفاعُ عنه ؟!

إن هذه الحيوانات العجماوات صارت ـ في دفاعها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ حجةً على جميع العقلاء ، فضلاً عن المسلمين المؤمنين المحبين . فكيف يكون موقف المسلم العاقل المكلف المأمور ، وهو يقرأ آيات الله تعالى تأمره بتقديم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نفسه وأهله وذويه ؛ محبة وهوى وطاعة واتباعاً ؟؟؟

٢٣ـ غيرة الجن المسلم ودفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

واستكمالاً للفائدة أذكر موقفاً وهو قتل الجنّ المسلم الجنّ الكافر الذي شتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحرَّض كفارَ قريشٍ على قتله .

* عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : هتف هاتف من الجن على أبي قُبيس فقال :

قَبَّحَ اللهُ رَأْيَكُمْ آلَ فِهْرٍ ما أَدَقَّ العُقُولَ والأفهامْ
حِينَ تُغْضي لِمن يَعِيبُ عليها دِينَ آبائِها الحُماةِ الكرامْ

حالَفَ الجِنَّ جِنَّ بُصْرى عَلَيْـ ـكمْ وَرِجالَ النَّخيلِ والآطامْ
توشِكُ الخَيْلُ أن تَرَوْها تُهادى تَقْتُلُ القَوْمَ في حَرامٍ بِهامْ
هَلْ كَرِيمٌ منْكُمْ لَهُ نَفْسُ حُرٍّ ماجِدُ الوَالِدَيْنِ والأعْمامْ
ضربٌ ضَرْبَةً تكونُ نكالاً ورَواحاً مِن كُربَةٍ واغْتِمامْ

قال ابنُ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما : فأصبح هذا الشعرُ حديثاً لأهل مكة يتناشدونه بينهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هذا شيطانٌ يكلِّم الناسَ في الأوثان ، يقال له : مِسعَر ، والله مخزيه » فمكثوا ثلاثةَ أيام ، فإذا هاتف يهتف على الجبل يقول :

نحنُ قَتَلْنا في ثلاثٍ مِسْعَرا إذْ سَفَّه الجِنَّ وسَنَّ المنْكَرا
قَنَّعْتُه سيْفاً حُساماً مُشْهَرا بشَتْمِه نَبيِّنا المُطَّهَّرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هذا عفريتٌ من الجنِّ اسمه سَمْحَج ، آمن بي ، سمَّيتُه : عبدَ الله ، أخبرني أنه في طلبه ثلاثةَ أيام ».

فقال عِلِيٌّ : جزاه الله خيراً يا رسول الله . رواه سعيد الأموي برجال ثقات ، لكن فيه سقط ، ورواه الفاكهي من حديث عبد الرحمن بن عوف برجال ثقات ، ورواه أبو نعيم من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ، فالحديث حسن[1].

ويكون في ذلك : قد اجتمع الإنسان والحيوان والجنّ في الدفاع عن

(١) أخبار مكة للفاكهي (٤ : ١٢ ـ ١٤، ١٥ ـ ١٦) ودلائل النبوة (١ : ١٣٣ ـ ١٣٥رقم ١٥) والسيرة النبوية لابن كثير (١ : ٣٧٠) والسيف المسلول (٣٦١ ـ ٣٦٣) والإصابة (٣ : ١٧٦ ـ ١٧٧) وسبل الهدى والرشاد (٢ : ٢١٧ ـ ٢١٨) والخصائص الكبرى (١ : ١٠٥ ـ ١٠٦). وانظر : لقط المرجان في أحكام الجان (٢٠٦ ـ ٢٠٧).

النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وحمايته وفدائه والخوف والحرص عليه ، فكيف يكون المسلم العاقل المكلَّف المحب ؟؟؟

أسأله تعالى أن يكرمنا جميعاً بمحبته تعالى ، ومحبة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ويجعل ذلك أحب إلينا من الماء البارد على الظمأ ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

* * * * *

فصل
عقوبة مؤذي رسول الله ﷺ

وقبل ختم هذا البحث ـ والذي أرجو قبوله عنده ـ أحب أن أبين عقوبةَ من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأي نوعٍ من أنواع الإيذاء .

إن من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو يشتمه ، أو يحاول اغتياله ، أو الغدر به ،... إمّا أن يكون من المسلمين ، أو يكون من الكفّار ، ولكل واحدٍ منهما له عقوبتان ؛ دنيوية ، وأخروية .

* **أما العقوبة الدنيوية بالنسبة للمسلم** ؛ فهي القتل ، لأنه صار مرتدّاً ، إضافة إلى اللعن ، وهو الطرد من رحمة الله تعالى ، ولا يملك العفوَ عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه .

لكن قبل بيان عقوبة المؤذي أحبُّ أن أبيِّن نوعية الإيذاء الموجب للقتل .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى[1]: اعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ أن جميع من سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، أو عابه ، أو ألحقَ به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دِينه ، أو خصلةٍ من خصاله ، أو عرَّض به ، أو شبّهه بشيء على طريق السبِّ له ، أو الإزراء عليه ، أو التصغير لشأنه ، أو الغض منه والعيب له ، فهو سابٌّ له ، والحكمُ فيه حكمُ السابِّ ، يُقتلُ كما نبيِّنُه ، ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب على هذا المقصد ، ولا نمتري فيه ؛ تصريحاً كان أو تلويحاً .

وكذلك من لعنه ، أو دعا عليه ، أو تمنّى مضرةً له ، أو نَسبَ إليه ما لا

---

(١) الشفا (٢ : ٩٣٢ ـ ٩٣٣).

يليق بمنصبه ، على طريق الذمِّ ، أو عبَثٍ في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهُجرٍ ، ومنكَرٍ من القول وزور ، أو عيَّره بشيءٍ مما جرى من البلاء والمحنة عليه ، أو غمصَه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه .

وهذا كلُّه إجماعٌ من العلماء وإئمةِ الفتوى ؛ من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلمَّ جرّاً.اهـ ثم ذكر أقوال العلماء رحمهم الله تعالى .

قلت : وقد دلّ على ذلك الكتابُ والسنَّةُ والإجماعُ والقياس .

أولاً : لقد دلّت الآيات القرآنيةُ أن مُؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملعونٌ ، وهو كافرٌ ، يجب قتلُه .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

وقال الله جل شأنه : ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[3].

فقد جعل الاستهزاء بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كفراً .

وقال الله عز وجل : ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا * مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾[4].

---

(١) سورة الأحزاب (٥٧).

(٢) سورة التوبة (٦١).

(٣) سورة التوبة (٦٥ـ٦٦).

(٤) سورة الأحزاب (٦٠ـ٦١).

والأذى : هو الشرُّ الخفيف ، فإن زاد كان ضرراً ، قاله الخطابي وغيره .

ويدل له قولُ الله تعالى ـ فيما حكاه عنه نبيُّه صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « يا عبادي ؛ إنكم لن تبلغوا ضُرّي فتضرُّوني ،... »[1]. مع إثباته الأذى في هذه الآيات . وفي ذلك تعظيمٌ لقدر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، أن نيلَه بشيءٍ يسير من الشرِّ كفرٌ .

والضررُ في حقِّ الله تعالى محال ، والأذى المقصود في حقّه تعالى وحقِّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كفرٌ ، لأن العذاب المهين إنما يكون للكفار ، وكذلك القطعُ بالعذاب في الدنيا والآخرة إنما يكون للكفار ، وكذا العذابُ الأليم[2].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[3].

وقال الله جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾[4].

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[5].

فالمحاد لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم : ذليلٌ حقيرٌ ، مبعدٌ في الدنيا والآخرة ، شقيٌّ ، كافر ، له العذابُ المهين ، مخلَّدٌ في النار ، لأنه

(١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم ، رقم (٥٥).

(٢) انظر : السيف المسلول (١٣٣ ـ ١٣٥).

(٣) سورة المجادلة (٥).

(٤) سورة المجادلة (٢٠).

(٥) سورة التوبة (٦٣).

متصف بصفات الكفار والمنافقين[1].

قال الإمام السبكي رحمه الله تعالى[2]: إن السابَّ مؤذٍ ، والمؤذي مُحادٌّ ، والمحادُّ مكبوتٌ أذلُّ مغلوبٌ ، ومن كان كذلك لا يكون منصوراً ، فلو لم يجز قتلُه لوجب على المسلمين نصرتُه ، وقد ثبت بطلانُه.اهـ.

ثم إن لعن الله تعالى من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دلالة على تحتم قتله ، وإن تاب بعد الأخذ ، كما نبه عليه الإمامُ السبكي والعلامة ابن تيمية وغيرهما رحمهم الله تعالى .

وقال الله تعالى مبيناً حال المنافقين الذين تنقصوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآذوه ، وأن هذا القول الذي قالوه كفر : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ... ﴾[3]. فالتنقيص والإيذاء كفر .

ثانياً : إن جميعَ النصوص التي ذكرتها في هذه الرسالة ـ والتي لم أذكرها ـ وفيها طلب الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم قَتلَ من آذى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأي نوع من أنواع الأذى ـ دليلٌ على قَتْل ذلك المعتدي ، ولو كان غيرَ جائز ، لنبَّههم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عليه بأنه لا يجوز .

ثم إن طلبهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإذنَ بقتل من آذاه : دليلٌ على أن هذا الحكمَ لا يخفى عليهم ، ولو خفي لبيَّنه صلى الله عليه وآله وسلم لهم ، ولو لم يكن كذلك ما طلبوه . لكنهم ما أرادوا أن

(١) انظر : محبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد (٣٠٦ وما بعد).
(٢) السيف المسلول (١٣٤).
(٣) سورة التوبة (٧٤).

يفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويتقدّموا بين يديه .

كما أن فيها دلالة على إقرار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم بالقتل ، لولا وجود المانع[1]. وهو يختلف حسب كل واحد منهم .

ثم إن تنبيهَ سيدنا أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه وأرضاه ـ لأبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه لما طلب منه قتلَ من أغضبه ـ قياساً منه على حكم مؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وجوابه له بقوله : ليس هذا إلا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي رواية : إلا لمن شتم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم . كما مر : دليلٌ صريحٌ بأن القتلَ خاصٌّ بمن شتم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أو آذاه ، أو سبّه أو أراد قتله واغتياله .

ثم إن إهدار النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم دمَ من كانت تسبّه وتشتمه وتتكلّم فيه ، وتُسمع الصحابيَّ ما يؤذيه مِن سبِّها للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما مر في آخر البحث ـ : دليلٌ صريحٌ هو الآخر على هذا الحكم ، والله تعالى أعلم .

ثم إن طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة من يعذره من عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول ـ في قصة حادثة الإفك ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا معشر المسلمين ؛ من يعذِرُني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي ،...» فقال سعد بن معاذٍ : أنا أَعذِرُك منه يا رسول الله ،... الحديث بطوله ، متفق عليه ، وقد سبق ذكره : دليل صريح في ذلك .

ومما يدل على أن جرم السابِّ أعظم من جرم المرتد الحديثُ التالي :

(١) انظر فتح الباري (٨ : ٦٣٥).

عن أنس رضي الله عنه قال : كان رجلٌ نصرانيّاً ، فأسلم ، وقرأ البقرةَ وآلَ عمران ، فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فعاد نصرانيّاً ، فكان يقول : ما يدري محمد إلا ما كتبتُ له ، فأماته الله [وعند مسلم : فما لبث أن قصم الله عنقَه فيهم] فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، لـمّا هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا له فأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا لـمّا هرب منهم ، فألقوه خارج القبر ، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا ، فأصبح قد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه [فتركوه منبوذاً]. متفق عليه[1].

زاد أحمد والطحاوي وابن حبان[2] ـ بنفس السند ـ : فمات ، فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « إن الأرضَ لن تقبله ».

قال أنس : فقال أبو طلحة : فأتيتُ تلك الأرضَ التي مات فيها ، وقد علمتُ أن الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال ، فوجدتُه منبوذاً ، فقلت : ما شأن هذا ؟ فقالوا : دفنّاه فلم تقبله الأرض .

قال الإمامُ السبكي رحمه الله تعالى[3] : فانظر عنايةَ الله تعالى بإظهار كذبِ من افترى على نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم ، وعدم قبول الأرض له ، حتى يظهرَ للناس أمرُه ، وإلا فكثيرٌ من المرتدين ماتوا ولم تلفظهم الأرض ،

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام . وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : الباب الأول ، رقم (١٤).

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٢٠ ـ ١٢١) وشرح مشكل الآثار (٨ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٩ ـ ٢٠) وإثبات عذاب القبر ، رقم (٥٤).

(٣) السيف المسلول (١٤٤).

ولكن الله تعالى أراد أن يفضحَ هذا الملعون ، ويُبيِّنَ كذبَه للناس ،...إلخ.

وأما تركه صلى الله عليه وآله وسلم قتلَهم ، فذاك راجع لإسقاط حقه الشخصي ، ولذا علَّل صلى الله عليه وآله وسلم عدم قتله لهم حتى لا يتحدَّث الناس أنه يقتل أصحابه .

وهذا الحق لا يملك أحدٌ من الخلق دعواه الإنابةَ فيه ، إنما هو له صلى الله عليه وآله وسلم لا غير ، ولا يملك أحدٌ حق التصرف فيه .

أما ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلب من أمراء الأجناد ألّا يُنزلوا الناس على عهد الله تعالى وعهد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما يُنزلونهم على عهدهم هم وعهد المسلمين ممن معهم ، لأن خفر ذممهم أسهل من خفر ذمَّة الله تعالى وذمَّة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن بُرَيْدَة رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية ؛ أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً . ثم قال : « اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تَغُلّوا ، ولا تغدروا ، ولا تَمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين : فادعهم إلى ثلاث خصال ،... » الحديث ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « وإذا حاصرتَ أهلَ حصن ، فأرادوك أن تجعل لهم ذِمَّةَ الله وذِمَّةَ نبيِّه ، فلا تجعل لهم ذِمَّةَ الله ولا ذِمَّةَ نبيِّه ، ولكن اجعل لهم ذمَّتَك وذمَّةَ أصحابك ، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذِمم أصحابكم أهونُ من أن تُخفروا ذمَّةَ الله وذمَّةَ رسوله ،... » الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها ، رقم (٢ ـ ٥).

فخفر المسلم لعهده أيسر بكثير من خفر عهد الله تعالى وعهد رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا كان هذا في العهد ، فما بالك بالحق الخاص به صلى الله عليه وآله وسلم ؟!

ثالثاً : لقد اتفقت كلمةُ المسلمين على قتل شاتم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه يصير مرتدّاً ـ وإن كانوا قد تنازعوا في قبول توبته ـ وكذا قتل من اعتدى عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، بناء على طلب الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ذلك ، وعلى ذلك انعقد الإجماعُ ؛ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فمن بعد ، وأذكر بعض من ذكر الإجماع .

قال إسحٰق بن راهويه رحمه الله تعالى : ... قد أجمع العلماء أن من سبَّ الله عز وجل ، أو سبَّ رسولَه صلى الله عليه وآله وسلم ، أو دفع شيئاً أنزله الله ، أو قتل نبيّاً من أنبياء الله ـ وهو مع ذلك مقرٌّ بما أنزل الله ـ : أنه كافر ،...اهـ من التمهيد لابن عبد البر[1].

وقال محمد سَحنون رحمه الله تعالى[2]: أجمع العلماء أن شاتمَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، المتنقِّصَ له كافرٌ ، والوعيدُ جار عليه ، بعذاب الله ... وحكمُه عند الأئمة : القتلُ ، ومن شك في كفره وعذابه كفر.اهـ.

وقال ابنُ المنذر رحمه الله تعالى[3]: أجمع عوامُّ [أي عامة] أهل العلم على أنّ على من سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم : القتلَ .

وممن قال ذلك : مالكُ بنُ أنس ، والليثُ بن سعد ، وأحمد وإسحٰق ، وهو مذهبُ الشافعي.اهـ.

(١) التمهيد لابن عبد البر (٤ : ٢٢٦) وانظر السيف المسلول (١٢١).

(٢) الشفا (٢ : ٩٣٤ ـ ٩٣٥) ونهاية السول (٢٦١). وانظر السيف المسلول (١٢٠).

(٣) الإشراف (٢ : ٢٤٤). وانظر الإجماع له (١٥٣ رقم ٧٢٠) والشفا (٢ : ٩٣٣).

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى[1]: وهو مقتضى قول أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه ، ولا تقبل توبته عند هؤلاء المذكورين .

وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابُه ، والثوريُّ وأهلُ الكوفة ، والأوزاعي في المسلم ، لكنهم قالوا : هي ردة.اهـ.

وقال الإمامُ أبو بكر الفارسيُّ رحمه الله تعالى[2] : أجمعت الأمة على أن من سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقتلُ حدّاً . فلو تاب لم يسقط عنه القتل ، لأن حدَّ قذفِه القتلُ ، وحدُّ القذف لا يسقط بالتوبة.اهـ. ووافقه كثير من الأصحاب .

وقال الإمامُ الخطّابيُّ رحمه الله تعالى[3]ـ في تعليقه على حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق في قتل الأعمى لأم ولده ـ : فيه بيان أن سابَّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مهدَرُ الدم ، وذلك أن السبَّ منها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتدادٌ عن الدِّين ، ولا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله.اهـ ثم ذكر حكمَ الذِّمِّي .

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى[4] : أجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين وسابِّه ،...إلخ.

ونقل العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على قتل شاتم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم[5].

---

(١) الشفا (٢ : ٩٣٣) والسيف المسلول (١١٩ ـ ١٢٠).

(٢) السيف المسلول (١٥٦) وفتح الباري (١٢ : ٢٨١).

(٣) معالم السنن (٦ : ١٩٩) والشفا (٢ : ٩٣٥) والسيف المسلول (١٢١).

(٤) الشفا (٢ : ٩٢٦).

(٥) الصارم المسلول (٢٠٠ وما بعد).

وكذا نقله الإمامُ السبكي رحمه الله تعالى[1].

لذا حصل أمران :

الأول : هو إسقاط النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حقَّه في قتل من أراد الاعتداء عليه .

والثاني : إذا قُتل هذا المعتدي فدمُه هدرٌ ، ولا دية فيه ، والله تعالى أعلم .

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى[2]: **إن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم كان له أن يعفو عمن شتمه وسبّه في حياته ، وليس للأمة أن تعفو عن ذلك .**

ويوضح ذلك : أنه لا خلاف أن من سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أو عابه بعد موته من المسلمين كان كافراً حلالَ الدم.اهـ.

رابعاً : لقد ثبت أن سابّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا كان مسلماً ـ مرتدٌّ ، مبدِّلٌ لدينه ، وحكمُه القتل بالإجماع ، وللنصوص المتظاهرة في ذلك . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من بدَّل دينَه فاقتلوه »[3].

قال الإمام السبكي رحمه الله تعالى[4]: السابُّ مرتدٌّ مبدِّلٌ لدينه ، فلك أن تُدخله في عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من بدَّل دينَه... » فيكون

(١) السيف المسلول (١١٩). وانظر ما بعده حيث ذكر الأدلة من القرآن والسنة والإجماع والقياس .

(٢) الصارم المسلول (٢٢٦) وقد أطال النفس في ذكر الأدلة على وجوب قتل سابّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فانظرها (٦١ ـ ٢٠٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب لا يعذَّب بعذاب الله ، وفي غيرهما .

(٤) السيف المسلول (١٥١).

ثابتاً بالنص ، ولك أن تجعل السبَّ مقيساً على الردَّةِ بطريق الأولى ، لأنه أفحش.اهـ.

وأما أهل الذِّمَّة[1]:

أما إذا كان السابُّ من أهل الذِّمَّة ، فإنه ينتقض عهده ، ويُقتل أيضاً ، وهذا ما عليه عامة أهل العلم . وبينتُه في غير هذه الرسالة . وقد أطال الإمام السبكي رحمه الله تعالى في نقل الأقوال ، والأدلة في نقض عهده وفي وجوب قتله . لذا فإني أقتصر على ذكر بعضها ، ومن أراد الزيادة فلينظر فيه .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى[2] : أما الذِّمِّيُّ إذا صرَّح بسبِّه ، أو عرَّض ، أو استخفَّ بقدْره ، أو وَصَفَه بغير الوجه الذي كفر به ؛ فلا خلاف عندنا في قتله ، إن لم يُسلم ، لأنا لم نعطه الذِّمَّةَ أو العهد على هذا ، وهو قول عامة الفقهاء ،... ثم ذكر من خالف في ذلك .

وقد دل على ما قاله رحمه الله تعالى : الكتاب والسنة وأفعال الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهو قول عامة أهل العلم ، لأنه نقضٌ للعهد .

أولاً : إن الآيات التي مر ذكرها في حكم المؤذي إذا كان مسلماً قد جاء أغلبها بلفظ عام ، ليشمل المؤذي الذّمِّيَّ والمسلم . أقتصر على ذكر آيتين .

---

(١) الكفار بالنسبة للمسلمين :

ـ إما أن يكونوا حربيين ، وهم خارج البلاد الإسلامية .

ـ وإما أن يكونوا داخل البلاد الإسلامية ، وهؤلاء ثلاثة أقسام : المستأمن ، والمعاهد ، والذِّمِّي .

وانظر (**رحمة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار**) فقد ذكرت أحوالهم ، والاستدلال لهم ، والتعامل مع كل صنف منهم ، ومتى ينتقض عهدهم .

(٢) الشفا (١٠٣٠ ـ ١٠٣١) ونقله الإمام السبكي في السيف المسلول (٢٣٤ وما بعد).

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

فقد جاء اللفظ عاماً ، ليشمل كلَّ مؤذٍ ـ مهما كان ـ والملعون المتحقّق لعنه جاز قتله ، لأن له العذاب المهين في الدنيا والآخرة ، والله تعالى أعلم .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[3].

والآية عامة ، وإن كانت قد نزلت في كفار قريش ، والله تعالى أعلم .

ثانياً : لقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بقتل عدد من أهل الذِّمَّة ـ اليهود ـ الذين يسبون النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ويسبون الإسلام ، ويحرِّضون الأعداء على المسلمين ، فصاروا أعداء لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويكونون قد نقضوا العهد ، فاستحقوا القتل .

كأمثال كعب بن الأشرف ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لكعب بن الأشرف ، فإنه قد آذى الله ورسوله ». متفق عليه[4].

---

(١) سورة الأحزاب (٥٧).

(٢) سورة التوبة (٦١).

(٣) سورة التوبة (١٢).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب الكذب في الحرب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود ، رقم (١١٩) من حديث جابر رضي الله عنه .

وأبي رافع ابن أبي الحقيق ، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعين عليه ، كما في صحيح البخاري[1]، بالإضافة إلى عدد آخر .

كما أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أهدر دمَ المرأة اليهودية التي كانت تسب النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتقع فيه . كما مر في حديث عليٍّ ، وابن عباس رضي الله عنهم ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهدر دمها ، وقال : « اشهدوا أن دمها هدر ».

وعن رجل من أهل بلقين رضي الله عنه قال : كان رجلٌ يشتم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « من يكفيني عدواً لي ؟ » فقال خالدُ بنُ الوليد : أنا ، فبعثه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إليه ، فقتله . رواه عبد الرزاق والبيهقي وصححه ابنُ حزم ، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وأن القاتل هو : الزبير بن العوّام رضي الله تعالى عنه ، وفيه : (ولا أحسبه إلا في خيبر). رواه عبد الرزاق وأبو نعيم[2].

ثالثاً : ما ثبت عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم من قتل أو صلب أو تمني القتل لمن سبّ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أو شتمه أو آذاه .

كما حصل للصحابي الذي قتل اليهودية التي كانت تسب النبي الكريم

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب قتل أبي رافع ،... من حديث البراء رضي الله تعالى عنه .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥ : ٢٣٧ ، ٣٠٧) والسنن الكبرى (٨ : ٢٠٢ ـ ٢٠٣) وحلية الأولياء (٨ : ٤٥) والمحلى (١١ : ٤١٢ ـ ٤١٣) وانظر الإصابة (٢ : ٥٣٩) وكنز العمال ، رقم (٣٦٦١٩).

صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذا قتل الصحابي البصير رضي الله عنه أم ولده [قيل : هي يهودية] التي كانت تُسمِعه فيه ما يؤذيه ، وأهدر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم دمَهما . فإقدامهما على قتل المرأتين وقبل رجوعهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دليل على أن ذلك هو الحكم .

كما أمر عمر رضي الله عنه بصلب النصراني الذي أراد الزنا بالمسلمة ، وكذا قتل غَرفة رضي الله عنه القبطي الذي سب النبيَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووافقه عَمْرو بنُ العاص رضي الله عنه ، وقد سبقا .

وعن حُصين بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى ، أن ابن عُمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مر براهب فقيل : هذا سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : لو سمعتُه لضربتُ عنقَه ، إنا لم نُعطهم العهدَ على أن يسبُّوا نبيَّنا صلى الله عليه وآله وسلم . رواه الحارث برجال ثقات ، ومسدد ، وعزاه القاضي عياض لابن وهب[1].

رابعاً : إن من جملة العهد الذي يأخذه أئمة المسلمين على أهل الذِّمَّة ألّا يتعرَّضوا لمقدسات الإسلام ، فلا يذكروا الله تعالى ورسولَه صلى الله عليه وآله وسلم أو القرآن الكريم ،...بسوء ، فإن فعلوا ذلك فقد انتقض العهد ، وبرئت منهم الذِّمَّة.

قال الإمام الماوردي رحمه الله تعالى[2]: ويُشترط عليهم في عقد الجزية شرطان : مستحقٌّ ، ومستحبٌّ .

---

(١) بغية الباحث (٢ : ٥٦١) وإتحاف الخيرة المهرة (٥ : ٢١٢) والمطالب العالية (٢ : ٣٣٨) والشفا للقاضي عياض (٢ : ١٠٣٤).

(٢) الأحكام السلطانية (١٤٥).

أما المستحق ، فستة شروط :

أحدها : أن لا يذكروا كتابَ الله تعالى بطعن فيه ، ولا تحريف له .

والثاني : أن لا يذكروا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بتكذيبٍ له ، ولا ازدراء .

والثالث : أن لا يذكروا دينَ الإسلام بذمٍّ له ، ولا قدح فيه .

والرابع : أن لا يصيبوا مسلِمةً بزنا ، ولا باسْمِ نكاح .

والخامس : أن لا يفتنوا مسلماً عن دينه ، ولا يتعرّضوا لماله ولا دمه .

والسادس : أن لا يُعينوا أهلَ الحرب ، ولا يؤووا أغنياءَهم .

فهذه الستة حقوق ملتزمة ، فتلزمهم بغير شرط ، وإنما تُشترط إشعاراً لهم ، وتأكيداً لتغليظ العهد عليهم . ويكون ارتكابُها بعد الشرط نقضاً لعهدهم.اهـ. ثم ذكر الشروط المستحبة .

وبنحوه قال القاضي أبو يعلى الحنبلي ، وابنُ قدامة رحمهما الله تعالى[1].

ونقل نقولاً كثيرةً عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه نقضٌ للعهد ،...

خامساً : هو مذهب عامة أهل العلم ، كما نقلت قبل قليل عن القاضي عياض رحمه الله تعالى ، وأقتصر على نقول بعض الأئمة رحمهم الله تعالى .

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى[2]: من سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقَّصه قُتل ؛ مسلماً كان أو كافراً ، ولا يستتاب.اهـ.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[3] ـ فيما إذا أراد الإمام أن يكتب

---

(١) الأحكام السلطانية (١٥٨ ـ ١٦١) والمغني (١٣ : ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٢) الشفا (٢ : ٩٣٥ ـ ٩٣٧) فقد ذكر عدة روايات له .

(٣) الأم (٤ : ١١٨).

كتاب صلح مع نصارى ـ : ...وعلى أن أحداً منكم إن ذكر محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، أو كتاب الله عز وجل ، أو دينَه ، بما لا ينبغي أن يذكره به ؛ فقد برئت منه ذمةُ الله ثم ذمةُ أمير المؤمنين وجميع المسلمين ، ونقض ما أُعطي عليه الأمان ، وحل لأمير المؤمنين مالَه ودمَه ، كما تحل أموالُ أهل الحرب ودماؤهم ،...

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى[1]: كلُّ من شتم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أو تنقَّصه ـ مسلماً كان أو كافراً ـ فعليه القتلُ ، وأرى أن يُقتل ولا يستتاب.اهـ.

وقال إسحٰق بن راهويه رحمه الله تعالى[2]: إن أظهروا سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسُمع ذلك منهم أو تحقق عليهم : قُتِلوا.اهـ.

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى[3]:وأما الذِّمِّيّ يسب النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم : فإن أصحابَنا ومالكاً وأصحابَه قالوا : يُقتل ولا بد ،...ثم ذكر قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بنقض عهده وحل دمه وبراءة الذمة منه .

وقال الإمام العيني رحمه الله تعالى [4]ـ بعد ذكره رواية في نقض عهده في

---

(١) انظر السيف المسلول (٢٣٨ ، ٢٣٩) والصارم المسلول (٥).

(٢) السيف المسلول (٢٣٤).

(٣) المحلى (١١ : ٤١٥).

(٤) تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وهي الرسالة الخامسة عشرة ، ضمن مجموعة رسائل ابن عابدين (١ : ٣٣١). وانظر عمدة القاري (١٤ : ٢٧٣) في تعليقه على قتل أبي رافع اليهودي : فيه جواز الاغتيال على من أعان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدٍ أو مالٍ ، أو رأيٍ ، وكان أبو رافع يعادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويؤلب الناسَ عليه . =

الامتناع عن أداء الجزية ، ونقل عن الإمام الشافعي انتقاضه بالسب قال : واختياري هذا : أي ما قاله الشافعي .

وقال العلامة كمال الدين ابن الهمام رحمه الله تعالى[1] : والذي عندي أن سبّه صلى الله عليه وآله وسلم أو نسبة مالا ينبغي إلى الله تعالى : إن كان مما لا يعتقدونه ـ كنسبة الولد إلى الله تعالى وتقدَّس عن ذلك ـ : إذا أظهره : يقتل به ، وينتقض عهده ،...إلخ.

وقال الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى ـ من الحنفية ـ[2]: وقالوا إذا طعن الذِّمِّيُّ في دين الإسلام طعناً ظاهراً ؛ جاز قتله ، لأن العهدَ معقودٌ معه على أن لا يطعن ، فإذا طعن فقد نكث عهدَه ، وخرج من الذِّمَّة.اهـ.

هؤلاء ثلاثة من كبار أئمة الحنفية ، يرون نقض العهد والقتل على الذِّمِّي إذا سب النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد أطال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى النفَس في نقض عهد الذمي بسبب سبِّ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قال : وهنا الشروط على أهل الذِّمَّة حقٌّ لله ، لا يجوز للسلطان ولا لغيره أن يأخذ منهم الجزية ، ويعاهدهم على المقام بدار الإسلام ، إلا إذا التزموها ، وإلا وجب عليه قتالهم بنص القرآن . ولو فرضنا جوازَ إقرارهم بدون هذا الشرط فإنما ذاك فيما لا ضرر على المسلمين فيه . فأما ما يضر المسلمين فلا يجوز إقرارهم عليه بحال ، ولو فُرض إقرارهم على ما يضر المسلمين في أنفسهم

= وقال في (١٤ : ٢٧٧) في تعليقه على قتل كعب بن الأشرف اليهودي : لأنه نقض العهد بإيذائه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) المرجع السابق (١ : ٣٣١).

(٢) الكشاف (٢ : ١٤١).

وأموالهم فلا يجوز إقرارهم على إفساد دين الله ، والطعن على كتابه ورسوله .

ولهذه المراتب قال كثير من الفقهاء : إن عهدهم ينتقض بما يضر المسلمين من المخالفة ، دون ما لا يضرهم ، وخص بعضُهم ما يضرُّهم في دينهم ، دون ما يضرهم في دنياهم ، والطعن على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعظم المضرات في دينهم ،...إلخ[1].

وخلاصة الأمر : إن أهل الذِّمَّة ينتقض عهدهم بأمور[2] : الطعن في ذات الله تعالى ، أو ذكره بسوء ، والطعن بالنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أو سبه أو إنالته بسوء ، والنيل من كتاب الله تعالى أو تكذيبه أو إهانته ، والنيل من الدين الإسلامي أو الطعن فيه أو ذكره بما لا يليق به ، والامتناع عن دفع الجزية ، وعدم الالتزام بأحكام المسلمين ، وقتال المسلمين ، وقطع الطريق عليهم ، وإيواء عين من المشركين على المسلمين (يعني أن يؤوي جاسوساً يتجسّس على المسلمين) أو يدل على عورات المسلمين ، بأن يكتب للمشركين بأخبار المسلمين ، أو يقتل مسلماً ، أو يفتنه عن دينه ، وكذا إذا زنى بامرأة مسلمة ، أو أصابها باسم النكاح : كل ذلك ينتقض به العهد إذا ذُكر في عهد الذِّمَّة ، بل إن أغلبها ينتقض به العهد ولو لم يُذكر في العهد .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى[3]: نظرنا في المعنى الذي وجب به القتلُ على الذِّمِّيِّ إذا سبَّ الله تعالى أو رسولَه صلى الله عليه وآله وسلم ، أو استخفَّ

(١) الصارم المسلول (٢١٣) وانظر فيه (٤ ـ ١٩٠).

(٢) انظر : مراتب الإجماع للإمام ابن حزم (١١٥ـ ١١٦) والمهذب للإمام الشيرازي (٢ : ٢٥٨) والروضة للإمام النووي (١٠ : ٣٣٧ وما بعد) والذخيرة للإمام القرافي (٣ : ٤٥٩ ـ ٤٦٣) والبناية شرح الهداية للإمام العيني (٦ : ٦٨٩ ـ ٦٩٠).

(٣) المحلى (١١ : ٤١٧).

بشيء من دين الإسلام ، فوجدناه إنما هو نقضُه الذِّمَّة ، لأنه إنما تذَمَّم وحقن دمَه بالجزية على الصَّغار . قال الله تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ وقال عز وجل : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ فكان هاتان الآيتان نصّاً جليّاً لا يحتمل تأويلاً في بيان ما قلنا من أن أهل الكتاب يقاتَلون ويُقتلون حتى يُعطوا الجزيةَ ، وعلى أنهم إذا عُوهدوا وتم عهدُهم وطعنوا في ديننا فقد نقضوا عهدهم ، ونكثوا أيمانهم ، وعاد حكمُ قتالهم كما كان .

وبضرورة الحس والمشاهدة ندري أنهم إن أعلنوا سبَّ الله تعالى أو سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو شيءٍ من دين الإسلام ، أو مسلم من عرض الناس ؛ فقد فارقوا الصَّغارَ ، بل قد أصغرونا وأذلّونا ، وطعنوا في ديننا ، فنكثوا بذلك عهدَهم ، ونقضوا ذمَّتَهم ، وإذا نقضوا ذمَّتَهم فقد حلت دماؤهم وسبيُهم وأموالهم بلا شك.اهـ.

وأما دعوى أن ما هو عليه من الشرك أعظم ، فهي دعوى غير سديدة ، إن دماء المعاهدين لم تُحقن إلّا بالعهد ، وليس في العهد أنهم يسبّون النبيَّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سبّه منهم تعدَّ العهد ، فينتقض ، فيصير كافراً بلا عهد ، فيهدر دمُه ، إلّا أن يُسلم .

ويؤيده أنه لو كان كل ما يعتقدونه لا يؤاخذون به لكانوا لو قتلوا مسلِماً لم يُقتلوا ، لأن من معتقدهم حل دماء المسلمين ، ومع ذلك لو قَتل منهم أحدٌ مسلِماً قُتل .

فإن قيل : إنما يُقتل بالمسلم قصاصاً ، بدليل أنه يُقتل به ولو أسلم . ولو

سبَّ ثم أسلم لم يُقتل . والجواب : الفرق بينهما : أن قتل المسلم يتعلَّق بحق آدمي فلا يُهدر ، وأما السبُّ ، فإن وجوب القتل به يرجع إلى حق الدين ، فيهدمه الإسلام عند من يرى إسقاطه به ، والله تعالى أعلم[1].

تنبيه : إن استئذان الصحابة رضي الله تعالى عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتل من يرون استحقاقه له : دليل على أن الذي يتولى ذلك هو الإمام ، ولا يملكه القاضي ، فضلاً عن غيره .

تنبيه آخر : هذه العقوبة يشترك بها المستأمن والذِّمِّي والمعاهد والحربي .

تنبيه آخر : يجب التنبه إلى ما يكون من القول على سبيل الاستخفاف بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، أو كان على غير الاستخفاف والتحقير ، كقول أحدهم راعي غنم ، أو يتيم ،... ونحو ذلك ، هذا بالنسبة للمسلم .

وأما بالنسبة للكافر الذّمِّي فليس كل كفر يعتبر سبّاً ، فبعض القول لا يكون سبّاً ولا ناقضاً للعهد ، ولا يقتل به . لذا لابد من التنبه لذلك ، وهذا لا يعرفه إلا العلماء المختصون ، والراسخون في العلم ، والله تعالى أعلم[2].

* ـ **وأما العقوبة الأخروية** ؛ فهي اللعن ، والطرد من رحمة الله تعالى ، والندم الشديد ، مع العذاب الأليم والمهين في نار جهنم . وهي شاملة لكل من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من سبٍّ أو عدوان أو إهانة ،... وسواء كان مسلماً أو ذمِّيّاً أو معاهداً أو حربيّاً ، فالحكم واحد.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[3].

(١) انظر فتح الباري (١٢ : ٢٨١) وانظر السيف المسلول (٣٦٦، ٣٦٨ ـ ٣٧٠).

(٢) انظر الشفا (٩٣٢ وما بعد) والسيف المسلول (٤٠٣ ـ ٤٣٣).

(٣) سورة الأحزاب (٥٧).

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

وقد أخفى الله عز وجل نوعيةَ العذاب الذي ينال هؤلاء المؤذين ، ليكون شاملاً لكل أنواع العذاب ، ذلك لأن إيذاءَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو إيذاء لله تعالى ، كما أن طاعته صلى الله عليه وآله وسلم هي طاعة لله عز وجل ، ومبايعته صلى الله عليه وآله وسلم هي مبايعة لله تعالى . لأنه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومصطفاه من رسله ، ومجتباه من أنبيائه ، وسيد مخلوقاته .

قال الله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[2].

وقال جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[3].

إن ما ذكرته في كتاب (رحمة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار) من تركه صلى الله عليه وآله وسلم عقوبةَ من حاول الغدر به أو اغتياله ، أو الإساءة إليه ،... فهذا حقُّه صلى الله عليه وآله وسلم الشخصي ، وقد أسقطه ، لأنه رحمة ، وبُعث صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة ، ودينه دين الرحمة ، وأنه يتألف الخلق على الإسلام ،...إلخ.

يضاف إلى ذلك أن هذا المعتدي الظالم لنفسه سيعض أصابعه جميعاً من الندم ، عندما يرى العقوبة التي ستحل به ، ولا يستطيع دفعها ، كما لا يستطيع أن يعود إلى الدنيا ليعوِّض ما فات ، وما صدر منه .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ

(١) سورة التوبة (٦١).

(٢) سورة النساء (٨٠).

(٣) سورة الفتح (١٠).

سَبِيلًا * يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾[1].

وهذا نظير ندمهم يوم يدخلون النار ، ويرون المؤمنين العصاة وقد خرجوا منها برحمة الله تعالى ، وشفاعة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الأمة ، وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن ناساً من أمتي يعذَّبون بذنوبهم ، فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ، ثم يُعيِّرهم أهل الشرك ، فيقولون لهم : ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم ، لما يريد الله أن يُريَ أهل الشرك من الحسرة ، فلا يبقى موحِّدٌ إلا أخرجه الله ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ رواه النسائي والطبراني في الأوسط برجال الصحيح ، سوى بسام بن عبد الله الصيرفي وهو ثقة . وابن مردويه بسند صحيح كما قال السيوطي أيضاً[2].

وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم . وذكرت ذلك في كتاب (الشفاعة) فانظره .

وأما ما فعله الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم : فهو واجبهم نحو نبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذا هو واجب كلّ مسلم بعدهم ،

---

(١) سورة الفرقان (٢٧ ـ ٢٩) وانظر أسباب النزول للواحدي (٣٤٧ ـ ٣٤٨) لبيان سبب نزولها ، وقصة أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط .

(٢) تفسير النسائي (١ : ٦٢٦ ـ ٦٢٨) والسنن الكبرى (٦ : ٣٧٣) والمعجم الأوسط (٥ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣) ومجمع البحرين (٨ : ١٢١) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٩) والدر المنثور (٥ : ٦٢).

يحب الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه لا يوجد من يُسقط حقَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعده ، ولا يملك أحدٌ القيامَ به ، إنما الباقي في حق المسلمين هو الواجب في حقهم من النصرة والتأييد والتوقير والتعزير والفداء والاستماتة والدفاع ، وتقديم نفسه ومحابّه على نفس المسلم وهواه ، وتقديم محبته صلى الله عليه وآله وسلم على محبة من سواه من الخلق ، والله تعالى أعلم .

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس كبقية البشر ، بما وضع الله تعالى له من المنزلة العالية التي لا يستشرف لها كبار الأنبياء والرسل عليهم السلام ، فضلاً عن باقي البشر ، كيف لا ، وهو شاهدهم ، وشهيدهم ، وإمامهم ، وخطيبهم ، ومبشرهم ، وصاحبُ شفاعتهم ، لذا سيكونون تحت لوائه يوم القيامة ، ويرغبون إليه ، كما أُخذ عليهم العهد في الدنيا بالإيمان به واتباعه ونصرته وأن يكونوا من جملة أمته ،...

قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1].

لذا أوضح صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله : « لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا اتّباعي ». حيث ورد من طريق عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، كما بينته في غير هذه الرسالة[2].

---

(١) سورة آل عمران (٨١).

(٢) انظر مكانة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام (٣٦ـ ٣٧) لبيان من رواه .

فهو صلى الله عليه وآله وسلم رسولُ الرسل ، ونبي الأنبياء عليهم السلام ، فإذا كان كذلك فهو سيدهم ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا سيد الناس يوم القيامة ». متفق عليه[1].

بل من استشرف لمقامه من الخلق تنقطع رقبتُه من رفع الرأس ، ولا يصل إلى مجرد النظر إلى مقامه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن الذي منح هو الله تعالى .

لذا فإنه صلى الله عليه وآله وسلم بانفراده عن غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام كانت له الحظوة العالية ، لذا جعل إيذاءه مقروناً بإيذاء الله تعالى ـ لكن إيذاء الله تعالى يكون بالقول، كمن يدّعي له ما يؤذيه ـ أما الفعل فأنّى للعبد مهما كان أن يؤذي الله تعالى .

ولما كان إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذا وقع شديد عند الله تعالى ـ لانفراده عن سائر الخلق بما فيهم الرسل عليهم السلام ـ كانت عقوبة مؤذيه شديدة ، لأنه إيذاء لله تعالى ؛ الذي أرسله وأحبه وطلب منا معشرَ البشر إجلالَه وتوقيره ومحبته وتعظيمَه .

ثم كيف للبشر أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي أنقذهم الله تعالى به من الهلكة ، وأخرجهم به من الظلمات ، وجعله لهم أماناً في الدنيا من عذاب الاستئصال ـ إن كانوا كفّاراً ـ وفي الآخرة شفعه فيهم ،...

فالواجب عليهم : تعظيمه وتوقيره ومحبته صلى الله عليه وآله وسلم ،... لا أن يؤذوه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، رقم (٣٢٦ ، ٣٢٧).

الخاتمة (أحسن الله تعالى ختامنا)

* الناس قسمان ؛ مؤمن ـ ولو كان مقصّراً ـ وكافر ـ بكل أشكاله ؛ من مشرك ووثنيٍّ وكتابيٍّ ومجوسيٍّ ـ والمؤمن سعيد ، والكافر شقي .

قال الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[1].

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[2].

فما واجب الفريقين نحو هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ـ أما المؤمن :

* فإن مقتضى وجوب نصرته صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقديم نفسه الشريفة على نفوس المسلمين ، ووجوب تقديم محبته صلى الله عليه وآله وسلم على محبة جميع الكائنات ،... ووجوب توقيره صلى الله عليه وآله وسلم وتعزيره وتكريمه ،... ومقتضى البيعة مع المسلمين ـ من الأنصار رضي الله تعالى عنهم ـ أن يمنعوه مما يمنعون منه النفس والزوج والولد ،... كل ذلك ـ وغيره كثير لم أذكره ـ يقتضي فداءه والدفاع عنه ، والاستماتة دونه ، والموت بين يديه ، والمحافظة عليه ، وعلى رفعة قدره صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلو مكانته ،...

* فكيف وقد جعله الله جل شأنه سبباً لهدايتهم ، ورحمتهم ، وإكرامهم وتفضيلهم ، والتخفيف عنهم ، ورفع الإصر الأغلال عنهم ،... وشفاعته بهم ،

(١) سورة التغابن (٢).

(٢) سورة هود (١٠٥ ـ ١٠٨).

وشهادته لهم ، بل جعل ميزان إيمان المحب ـ بعده صلى الله عليه وآله وسلم ـ دفع الأهل والمال وما يملك ، من أجل رؤيةٍ واحدة لذلك الوجه الكريم ، ممن فاته الإكرام برؤية تلك الطلعة البهية ، والجثو بين يديه ، والسعادة بمرافقته ولو لحظة .

* إن ما رأيناه من إقدام الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، من تقديمه صلى الله عليه وآله وسلم على النفس والزوج والولد والخلق جميعاً : هو برهان على شدة محبتهم له صلى الله عليه وآله وسلم ، وصدقهم معه صلى الله عليه وآله وسلم ، وقوة إيمانهم ، وصحة معتقدهم ، وأنهم لم يكونوا مبالغين فيما فعلوا ، ولم يخرجوا عن حدِّ الطاعة ، بعد إقرار الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لهم .

* لقد عبّرت المرأة الأنصارية رضي الله تعالى عنها عن محبتهم جميعاً ، بعد أن أشيع قتله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحُد ـ وقد قُتل أبوها وأخوها وزوجها وابنها ـ بقولها : كلُّ مصيبةٍ بعدك يا رسول الله جلل [يعني : صغيرة]. نعم إن المصيبةَ به وبفقده صلى الله عليه وآله وسلم لا تقابلها مصيبةٌ أخرى ، ولو كانت جميع مصائب الدنيا .

* فمظاهر محبتهم رضي الله تعالى عنهم وتوقيرهم وتعظيمهم للنبي الكريم صلوات الله عليه وآله وسلم : فداؤهم له صلى الله عليه وآله وسلم بآبائهم وأمهاتهم وأنفسهم ، وأن إذا قدموا من سفر بدؤوا به ، قبل أهليهم ومحبيهم ، وتكريمهم ما مس جسده الشريف ، وعدم ابتدائهم قبله ، وتقديم محابّه على محابِّهم ، ونفسه الشريفة على أنفسهم ، ولا يعلون بيتاً يكون هو صلى الله عليه وآله وسلم تحته ، وتعظيم كل ما يتصل به ، وعدم إحداد البصر أو رفعه إليه ، بل يتمنى أحدُهم لو قُطع أوصالاً ولا يصاب صلى الله عليه وآله وسلم بأدنى أذى ، وبكاؤهم إذا ذكروه بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم ، واشتياقهم إليه ،

وفرط محبتهم له ، ومحافظتهم على آثاره ، وحفظهم لسنته والدفاع عنها ،...إلخ.

* ولا أدل على حالهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، كيف صار معهم ، إذ منهم من أُقعد ، ومنهم من خُشي على عقله ، ومنهم من ذُهل ، ومنهم من كُسر ظهره فلم يقدر على القيام ، ومنهم من عمي فلا يرى أحداً بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنهم ، ومنهم ، ومنهم ،...إلخ .

* لذا على المسلم العاقل ـ إن أراد معيتَهم والحشرَ معهم ـ أن يتبع حالَهم ، ويقتديَ بهم ، وينهج نهجَهم ، ويسير على طريقتهم ؛ في محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم ،... لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد النجاة في الدنيا والآخرة ، وهذا هو الميزان الذي وضعه الله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[1]. فهذا تحذير من الله تعالى .

ومفهوم النص الكريم : يقتضي اتباعهم فيما هم فيه .

* فكيف وقد أمر الله تعالى بوجوب الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته ، وقرن ذلك بالإيمان به وبطاعته ، بل جعل طاعته صلى الله عليه وآله وسلم طاعتَه عز وجل ، وأمر جل شأنه باتباعه ونصرته وتوقيره وتعظيمه ، بل جعل تعالى اتباعَ نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم سبباً في محبة الله تعالى لذلك المتَّبع ، وحذّر من تقديم محبة غيره على محبته صلى الله عليه وآله وسلم ، بل إذا كان الله تعالى يسارع في هواه ،... وجعله تعالى سبباً في نجاة المسلمين في الدنيا والآخرة .

ـ أما الدنيا ؛ فمن الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ،... مع السعادة الدائمة ،...إلخ.

---

(١) سورة النساء (١١٥).

ـ وأما الآخرة ؛ فالشهادة إن كان مطيعاً محسناً ، والشفاعة إن كان مقصِّراً .
فكيف يعامله هذا المسلم ، وله المنة بعد الله تعالى عليه ؟

* إن نعم الله تعالى على المسلم كثيرة جدّاً لا تحصى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[1]. ومع هذا فإن الله تعالى لم يمتن على عباده إلّا بنعمتين ، نعمة الإيمان به تعالى ، ونعمة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ... ﴾[3].

وهاتان المنتان لا تنفكان ، فهما مفتاح الدخول إلى الإسلام ، والخروج من الدنيا ، ومفتاح الدخول إلى الجنة ، لأن الأولى تعني : (لا إله إلا الله) وتعني الثانية : (محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) فما واجب المسلم نحوهما .

ـ وأما الكافر :

* فالواجب على البشرية كلها : الإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم ومحبته وتوقيره وتعزيره ومفاداته ونصرته والاستماتة دونه ،... لأنه العهد الذي أخذه الله تعالى عليهم ، بعد أخذه على أنبيائهم ، ثم لما جعله الله عز وجل لهم الرحمة الكاملة ، وأنقذهم به من الظلمات إلى النور ، وجعله تعالى أرحم بهم من أنبيائهم عليهم السلام [4]. لقد تخلّى جميعُ الأنبياء عليهم السلام عن أقوامهم عندما

---

(١) سورة إبراهيم (٣٤) وسورة النحل (١٨).

(٢) سورة الحجرات (١٧).

(٣) سورة آل عمران (١٦٤).

(٤) انظر الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم ، و رحمة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار . فقد بينتُ الفارق بينه وبين الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام .

عصوهم ، فمنهم من دعا عليهم ومنهم من لعنهم ، بينما النبيُّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لم يلعن الكفار ولم يدع عليهم بالهلاك ، بل دعا لهم ، وسامحهم وعفا عنهم ، واستسقى لهم ، وأمر بالإحسان إلى أسراهم .

لذا لو علم الكافر فضل هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عليه وعلى قومه وذويه ـ في الدنيا والآخرة ـ لذاب وجداً إليه ، وحزناً على فراقه ، وخجلاً مما يصدر من مخالفته ،...إلخ.

* أما يكفيه أن الله تعالى جعل أنبياءه يحتاجون إليه ، وهو أولى بهم من أممهم ، حيث يكونون يوم القيامة تحت لوائه ، ويرغبون إليه ليشفع للخلق يوم الحشر ، وأن الله تعالى قد جعل نبيّه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلم رحمةً شاملة في الدنيا والآخرة ؟ ورفع الله تعالى به صلى الله عليه وآله وسلم عن الكافر وعن أهل ملته في الدنيا عذاب الاستئصال الذي أصاب أهلَ دينه في حياة نبيه عليه السلام الذي ينتسب إليه ؟ أما يكفيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم لن يتخلى عن البشرية يوم يتخلى عنها جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ؟ أما يكفيه أن الله تعالى سيبدأ بحسابه وحساب أهل ملته ببركة شفاعة هذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يوم يتخلى نبيُّه عليه السلام عنه وعن أهل ملته ؟

* لذا عليه أن يسارع بالإيمان بهذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته ومحبته واتباعه ، وتوقيره وتعظيمه ، حتى يكون من الناجين في الآخرة ، ومن أوائل من يشفع لهم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن أوائل من يجتاز الصراط ، ومن أوائل من يدخل الجنة ، ولا يكون فداءاً لعصاة هذه الأمة ، ولا يكون حطب جهنم ، ثم يعض أصابعه من الندم ، ولات حين مندم .

* هذه نصيحة أقدمها من متَّبع لهذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لكل مخلوق عنده عقل وإدراك ، لتقوم الحجةُ عليه ، وتبرأ ذمة

الضعيف في التبليغ ، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل .

* أسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث ـ وغيره مما كتبتُ ـ مقبولاً عنده تعالى ، وأن ينفع به من أراد له الخير ، وأن يسد به ثغرة فُتحت ، ويقمع به هجمة اندلعت ، وأن يرد به ما قدّر من الشر ، وأن ينفع به عباده المؤمنين ، المقتفين أثر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن يجعله في ميزان الحسنات ، ويرزقني فيه الصدق في القول والإخلاص في العمل ، ويبارك لي ما بقي من العمر ، ويحفظني في جميع جوارحي ، ويجعله الوارث مني ، ويغفر لي ولوالدي ولوالد والدي وأهلي وزوجي وأولادي وأحفادي ولمشايخي ولمن يلوذ بي ، ويحفظنا جميعاً ، ويكلأنا بعنايته ، ويسبل علينا ثوبَ الرضا ، ويحسن ختامنا من غير ابتلاء ولا محنة ، ويكرمنا جميعاً والمسلمين بأن يحشرنا مع نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ونكون تحت لوائه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الكرام المبجلين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم مُلّا خاطر العَزّامي

نزيل المدينة المنورة

*****

مصادر البحث ومراجعه

ـ القرآن الكريم .
ـ الآداب ، للإمام البيهقي ، ت محمد عبد القادر عطا ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة .
ـ إتحاف الخيرة المهرة ، للإمام البوصيري ، ت عبد الرحمن سعد والسيد محمود إسماعيل ، مكتبة الرشد ، بالرياض .
ـ الإجماع ، للحافظ ابن المنذر ، ت صغير أحمد حنيف ، دار طيبة ، الرياض .
ـ الأحاديث الطوال ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، بغداد .
ـ الأحكام السلطانية ، للإمام الماوردي ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ الأحكام السلطانية ، للقاضي أبي يعلى ، ت محمد حامد الفقي ، مصطفى البابي ، القاهرة .
ـ أخبار مكة ، للفاكهي ، ت . د . عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .
ـ أخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وآدابه ، لأبي الشيخ ، ت أحمد محمد موسى ، القاهرة .
ـ الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، ت كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت .
ـ أسباب النزول ، للواحدي ، ت الأستاذ سيد صقر ، دار القبلة .
ـ الاستيعاب ، للحافظ ابن عبد البر ، ت على معوض وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، دار الفكر ، بيروت .
ـ الأسماء المبهمة ، للخطيب البغدادي ، ت . د . عز الدين السيد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
ـ الإشراف ، للحافظ ابن المنذر ، ت . محمد سراج الدين ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر .
ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر ، ت البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
ـ الإلماع ، للقاضي عياض ، ت السيد أحمد صقر ، دار التراث .
ـ الأم ، للإمام الشافعي ، طبعة دار الشعب ، القاهرة .
ـ الأمثال ، للإمام الرامهرمزي ، ت أمة الكريم القرشية ، باكستان .
ـ الإنصاف ، لابن عبد البر ،ت عبد اللطيف المغربي ، أضواء السلف ، الرياض .

ـ البحر الزخار = مسند البزار ، ت . د . محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم .
ـ بغية الباحث عن زوائد الحارث ، للحافظ الهيثمي ، ت . د . حسين الباكري ، مركز السنة بالجامعة الإسلامية ، بالمدينة المنورة .
ـ بلوغ المرام ، للحافظ ابن حجر ، ت رضوان محمد رضوان ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
ـ البناية شرح الهداية ، للإمام العيني ، دار الفكر ، بيروت .
ـ تاريخ الطبري ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، للحافظ المزي ، ت عبد الصمد شرف الدين ، الدار القيمة .
ـ تفسير ابن أبي حاتم ، ت أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة .
ـ تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم ، ت عبد القادر عطا ، مكتبة الرياض ، الرياض .
ـ تفسير الإمام ابن كثير . دار الفكر ، بيروت .
ـ تفسير الإمام النسائي . ت سيد الجليمي ، وصبري الشافعي ، مكتبة السنة ، القاهرة .
ـ التقصي = تجريد التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، مكتبة القدسي ، القاهرة .
ـ تقييد العلم ، للحافظ الخطيب البغدادي ،ت . د . يوسف العش ، دار إحياء السنة النبوية .
ـ التلخيص الحبير ، للحافظ ابن حجر ، نشر السيد عبد الله هاشم يماني .
ـ تلخيص المستدرك ، للحافظ الذهبي ، بحاشية المستدرك .
ـ التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، نشر وزارة الأوقاف ، بالمغرب .
ـ تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام ، للعلامة ابن عابدين ، وهو ضمن مجموعة رسائل ابن عابدين .
ـ تهذيب الكمال ، للحافظ المزي ، ت . د. بشار عواد ، مؤسسة الرسالة .
ـ جامع الأصول ، لابن الأثير الجزري ، ت الشيخ عبد القادر الأرناؤوط . دمشق .
ـ جامع بيان العلم ، للحافظ ابن عبد البر ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي ، ت . د. محمود طحان ، الرياض .
ـ الجامع الصغير ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .

ـ جزء الحسن بن عرفة ، ت عبد الرحمن الفريوائي ، الكويت .
ـ الجمع بين الصحيحين ، للإمام الحميدي ، ت . د . علي حسين البواب ، دار ابن حزم ، بيروت .
ـ حلية الأولياء ، للحافظ أبي نعيم ، نشر مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة ، مصر .
ـ خصائص الإمام علي رضي الله عنه ، للإمام النسائي ، ت أحمد أمير بلوشي ، مكتبة المعلا ، الكويت .
ـ الخصائص الكبرى ، للحافظ السيوطي ، دار الكتب العلمية .
ـ خلق أفعال العباد ، للإمام البخاري ، ت . د . عبد الرحمن عميرة ، دار عكاظ ، جدة .
ـ الدر المثور في التفسير بالمأثور ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .
ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، للحافظ ابن حجر ، ت محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
ـ دلائل النبوة ، للإمام البيهقي ، ت . د . عبد المعطي القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ دلائل النبوة ، للإمام التيمي ، ت محمود الحداد ، الرياض .
ـ دلائل النبوة ، للحافظ أبي نعيم ، ت . د . رواس القلعجي ، المطبعة العربية ، حلب .
ـ الذخيرة ، للإمام القرافي ، دار الغرب الإسلامي .
ـ ذم الكلام وأهله ، للهروي ، ت عبد الله الأنصاري ، مكتبة الغرباء ، المدينة المنورة .
ـ الرحلة في طلب الحديث ، للإمام الخطيب البغدادي ، ت ـ د . نور الدين عتر ،
ـ الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ رحمة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار ، خليل إبراهيم ملا خاطر .
ـ الرسالة ، للإمام الشافعي ، ت الشيخ أحمد شاكر ، مصطفى البابي الحلبي .
ـ روح البيان ، لإسماعيل حقي ، تصوير بيروت .
ـ روح المعاني ، للعلامة الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ الروضة ، للإمام النووي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ سبل الهدى والرشاد ، للإمام الصالحي ، ت عادل عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ـ سنن الترمذي ، ت الشيخ أحمد شاكر وآخرين ، المكتبة الإسلامية ، بيروت
ـ سنن الدارقطني ، ت السيد عبد الله هاشم يماني ، المدينة المنورة .
ـ سنن الدارمي ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .
ـ سنن أبي داود ، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية .
ـ السنن ، للإمام الشافعي ، ت خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
ـ سنن سعيد بن منصور ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، الهند .
ـ سنن سعيد بن منصور ، ت . د . سعد عبد الله آل حُميد ، نشر دار الصميعي .
ـ السنن الكبرى ، للإمام البيهقي ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ السنن الكبرى ، للإمام النسائي ، ت . د . عبد الغفار البنداري وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ سنن النسائي ، بحاشيتي السيوطي والسندي ، دار إحياء التراث العربي .
ـ سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، نشر مؤسسة الرسالة .
ـ السير والمغازي ، للإمام ابن إسحٰق ، ت . د . سهيل زكار ، دار الفكر .
ـ السيرة النبوية ، للإمام ابن كثير ، ت مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت .
ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح أبي ذر ، ت . د .همام سعيد ، وآخر ، مكتبة المنار .
ـ السيف المسلول على من سبَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، للإمام السبكي . ت . إياد أحمد الغوج ، نشر دار الفتح ، عمان ، الأردن .
ـ الشافي شرح مسند الشافعي ، مخطوط ، وقد أعددته للطباعة .
ـ شبهات حول السنة ودحضها ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، بجدة .
ـ شرح الأبي على صحيح مسلم ، مع شرح السنوسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ شرح الباجي على الموطأ ، للإمام الباجي ، ط الأولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة .
ـ شرح السنة ، للإمام البغوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ شرح السنوسي على صحيح مسلم ، مع شرح الأبي .
ـ شرح الشفا ، لملا علي القاري ، بحاشية شرح الخفاجي (نسيم الرياض)
ـ شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، مطبعة حجازي ، القاهرة .
ـ شرح مشكل الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت الشيخ شعيب أرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .

ـ شرح معاني الآثار ، للإمام لطحاوي ، ت محمد زهدي النجار .تصوير بيروت .
ـ شرف أصحاب الحديث ، للإمام الخطيب البغدادي ، ت . د . محمد سعيد خطيب أوغلو ، تركيا .
ـ شعب الإيمان ، للإمام البيهقي ، ت بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ الشفا ، للقاضي عياض ، ت البجاوي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ الشمائل المحمدية = الأنوار ، للإمام البغوي ، ت الشيخ إبراهيم اليعقوبي ، بيروت .
ـ الشمائل المحمدية ، للإمام الترمذي ، ت سيد الجليمي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ، ت . محمد محيي الدين عبد الحميد .
ـ الصحاح ، للإمام الجوهري ، ت الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت .
ـ صحيح البخاري ، بشرح فتح الباري ، ط السلفية ، القاهرة .
ـ صحيح ابن حبان ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
ـ صحيح ابن خزيمة ، ت . د . محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي .
ـ صحيح مسلم ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي .
ـ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ت . د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
ـ علامات النبوة ، للإمام البوصيري ، هو جزء من إتحاف الخيرة ، مكتبة السوادي .
ـ علل الحديث ، لابن أبي حاتم ، تصوير مكتبة المثنى ، بغداد .
ـ عمدة القاري ، للإمام العيني ، تصوير عن الطبعة المنيرية .
ـ عمل اليوم والليلة ، للإمام النسائي ، ت . د . فاروق حمادة ، الرباط .
ـ غريب الحديث ، لأبي عبيد ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ فتح الباري ، للحافظ ابن حجر ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
ـ فضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل ، ت وصي الله محمد عباس ، مركز البحث العلمي ، بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة .
ـ فضائل الصحابة ، للإمام النسائي ، ت . د . فاروق حمادة ، المغرب .
ـ فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم ملا خاطر . دار القبلة ، جدة .
ـ الفقيه والمتفقه ، للإمام الخطيب البغدادي ، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري ، الرياض .

ـ كتاب الغريبين ، لأبي عبيد الهروي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة .
ـ الكشاف ، للإمام الزمخشري ، دار المعرفة .
ـ كشف الأستار بزوائد البزار ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، بيروت .
ـ الكفاية ، للخطيب البغدادي . مراجعة عبد الحليم عبد الحليم وآخر ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
ـ كنز العمال ، للعلامة علي المتقي الهندي ، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .
ـ لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
ـ مجمع البحرين ، للحافظ الهيثمي ، ت عبد القدوس محمد نذير ، مكتبة الرشد ، الرياض .
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي ، دار الكتاب ، بيروت .
ـ مجمل اللغة ، لابن فارس ، مؤسسة الرسالة .
ـ محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، جدة .
ـ المحدث الفاصل ، للإمام الرامهرمزي ، ت . د . محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، بيروت .
ـ المحلّى ، لابن حزم ، ت الشيخ أحمد شاكر ، المكتب التجاري ، بيروت .
ـ المختارة ، للحافظ الضياء المقدسي ، ت . د . عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .
ـ مختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور ، دار الفكر ، دمشق .
ـ مختصر زوائد مسند البزار ، للحافظ ابن حجر ، ت صبري عبد الخالق ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ مختصر سنن أبي داود ، للحافظ المنذري ، مع معالم السنن .
ـ المدخل إلى أصول الحديث ، للإمام الحاكم ، وهو ضمن الرسائل الكمالية .
ـ المدخل إلى السنن الكبرى ، للإمام البيهقي ، ط الكويت .
ـ مراتب الإجماع ، لابن حزم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ المستدرك ، للإمام الحاكم ، تصوير أمين دمج ، بيروت .
ـ مسند أبي بكر الصديق ، للمروزي ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي .
ـ مسند أحمد ، المكتب الإسلامي ، ودار صادر ، والمكتب الإسلامي ، بيروت .

ـ مسند الحميدي ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، باكستان .
ـ مسند الشاشي ، للهيثم بن كليب الشاشي ، ت . د . محفوظ الرحمن زين الله ، نشر مكتبة العلوم الحكم ، المدينة المنورة .
ـ مسند الشاميين ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة
ـ المسند ، للإمام الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ مسند الشهاب ، للإمام القضاعي ، ت حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة .
ـ مسند الطيالسي ، دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق ، بيروت .
ـ مسند عبد بن حُميد = المنتخب ، ت السيد صبحي السامرائي ، مكتبة السنة ، القاهرة .
ـ مسند علي بن الجعد ، ت . د . عبد المهدي عبد الهادي ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
ـ مسند أبي يعلى ، ت الأستاذ حسين أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق .
ـ مصباح الزجاجة على زوائد ابن ماجه ، للحافظ الهيثمي ، ت محمد المنتقى الكشناوي ، الدار العربية ، بيروت .
ـ المصباح المضيء في كتّاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الأمي ، لابن حديدة الأنصاري ،
ـ مصنف ابن أبي شيبة ، الدار السلفية ، الهند .
ـ مصنف عبد الرزاق ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة .
ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ـ النسخة المسندة ـ للحافظ ابن حجر .
ـ معالم السنن ، للإمام الخطابي ، ت الشيخ أحمد شاكر وحامد الفقي .
ـ المعجم ، لابن الأعرابي ، ت . د . أحمد البلوشي ، مكتبة الكوثر .
ـ المعجم الأوسط ، للإمام الطبراني ، ت طارق عوض الله وأخر ، دار الحرمين ، القاهرة .
ـ معجم الصحابة ، لابن قانع ، ت صلاح المصراتي ، المدينة المنورة .
ـ المعجم الصغير . للإمام الطبراني = الروض الداني ، ت محمد شكور إمرير ، المكتب الإسلامي ، ودار عمار .
ـ المعجم الكبير ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، بغداد .
ـ معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ت الأستاذ عبد السلام هرون ، إيران .
ـ معرفة الصحابة ، للحافظ أبي نعيم ، ت . د . محمد راضي عثمان ، مكتبة الدار ، وأخرى .
ـ معرفة علوم الحديث ، للإمام الحاكم ، نشر المكتب التجاري ، بيروت .

ـ المعرفة والتاريخ ، للإمام الفسوي ، ت . د . أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة .
ـ المغازي ، للإمام الواقدي ، ت مارسن جونس ، عالم الكتب ، بيروت .
ـ المغني ، لابن قدامة ، ت . د. عبد الله التركي ، د . عبد الفتاح الحلو ، دار هجر .
ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، للحافظ العراقي ، بحاشية الإحياء .
ـ مفتاح الجنة ، للحافظ السيوطي ، مطابع الرشيد ، المدينة المنورة .
ـ المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي ، للحافظ الهيثمي ، ت . د . نايف دعيس ، جدة .
ـ مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام ، خليل إبراهيم مُلا خاطر ، طبع مطابع الرشيد ، بالمدينة المنورة .
ـ المنتقى ، لابن الجارود ، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .
ـ المهذّب ، للإمام الشيرازي ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ موارد الظمآن بزوائد ابن حبان ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ عبد الرزاق حمزة ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
ـ الموطأ ، للإمام مالك ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة .
ـ نشأة علوم الحديث ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع)
ـ نصب الراية ، للإمام الزيلعي ، ط القاهرة .
ـ نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ ، للإمام ابن دحية ، ت . د . عبد الله الفادني ، قطر .
ـ نيل الأوطار ، للشيخ الشوكاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

*****

فهرس الرسالة

الموضوع	الصفحة
ـ المقدمة ، وفيها بيان العوامل التي أدت إلى جرأة الكفار على النيل من رسول الله ﷺ	٥
فصل واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ	١٧
ذكر بعض الحقائق	٢٣
١ ـ وجوب نصرة النبي المصطفى الكريم ﷺ	٢٣
٢ ـ من صفات المؤمنين نصرة الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ	٢٤
٣ ـ وجوب تقديم نفس النبيّ ﷺ على نفس المؤمن	٢٤
٤ ـ وجوب تقديم محبة النبيّ الكريم ﷺ على محبة جميع المخلوقات	٢٥
٥ ـ تكفل المولى بحفظ نبيه الكريم ﷺ وعصمته	٢٧
٦ ـ كفاية الله تعالى نبيه الكريم ﷺ المستهزئين	٢٨
٧ ـ إيجاب الله تعالى تعظيم النبيّ الكريم ﷺ	٢٩
٨ ـ من شروط البيعة منعه ﷺ مما يمنعون أنفسهم وأبناءهم	٣٠
٩ ـ جعل معيار مدعي محبة الله تعالى اتباع النبيّ الكريم ﷺ	٣١
١٠ ـ دفع المؤمن المحب أهله وماله في سبيل رؤية النبيّ الكريم ﷺ مرة واحدة	٣٢
١١ ـ كثرة ما ينفرد به النبيُّ الكريم ﷺ من صفات الجمال والكمال	٣٣
فصل محبته ﷺ وتوقيره وتعظيمه	٣٧
فصل طاعته ﷺ والمحافظة على سنته	٨٥

فصل
مواقف الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الدفاع عن النبي الكريم ﷺ ١٤١
١ ـ مواقف أبي بكر رضي الله تعالى عنه في مكة ١٤١
٢ ـ ضرب حمزة رضي الله عنه لأبي جهل عند إساءته للنبي الكريم ﷺ ١٤٧
٣ ـ المواقف يوم الهجرة ١٤٨
٤ ـ المواقف يوم بدر ١٥١
٥ ـ المواقف يوم أحد ١٥٤
٦ ـ تحذير عُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من غدر عُمَير بن
وهب الجمحي الذي حزر عدد المسلمين في بدر ١٦٠
٧ ـ موقف عُمر رضي الله عنه من زيد بن سعنة حبر اليهود الذي أساء إلى
رسول الله ﷺ ١٦٣
٨ ـ دفع ثوبان رضي الله عنه حبر اليهود الذي استفز النبي الكريم ﷺ ١٦٦
٩ ـ موقف سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه في إعذار النبي الكريم ﷺ
بقتل من يؤذيه يوم حادثة الإفك ١٦٨
١٠ ـ لطم اليهودي الذي فضَّل موسى على العالمين ١٧٠
١١ ـ مقالة خُبيب وزيد بن الدَّثنة رضي الله تعالى عنهما عند صلبهما في مكة ١٧٢
١٢ ـ طلب الصحابة رضي الله تعالى عنهم ضرب أعناق المنافقين ١٧٥
١٣ ـ موقف أبي بكر والمغيرة رضي الله تعالى عنهما يوم صلح الحديبية ١٨٠
١٤ـ موقف الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الأعرابي الذي رفع صوته
بحضرة النبي الكريم ﷺ ١٨٢
١٥ـ موقف الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الأعرابي الذي أنكر جميل
النبي الكريم ﷺ ١٨٤
١٦ ـ إفداء الصحابة رضي الله عنهم للنبي الكريم ﷺ بآبائهم وأمهاتهم
وأنفسهم ١٨٧
١٧ ـ موقف الصحابة رضي الله عنهم عند إغضاب النبي الكريم ﷺ ١٩١

١٨ ـ حراسة الصحابة رضي الله تعالى عنهم له ﷺ عند خوفهم الخطر ١٩٣
١٩ ـ تنبيه أبي بكر رضي الله تعالى عنه لمن طلب منه قتل من أغضبه أن ذلك خاصٌّ بالنبي الكريم ﷺ ١٩٧
٢٠ ـ إهدار دم من شتم النبي المصطفى الكريم ﷺ ١٩٨
٢١ ـ حكم الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعد وفاة رسول الله ﷺ بعقوبة الذمي الذي سب النبي المصطفى الكريم ﷺ ٢٠٠
٢٢ ـ غيرة الحيوان ودفاعه عن النبي المصطفى الكريم ﷺ ٢٠١
٢٣ـ غيرة الجن المسلم ودفاعه عن رسول الله ﷺ ٢١٣
فصل
عقوبة مؤذي رسول الله ﷺ ٢١٧
ـ الخاتمة ٢٤١
ـ مصادر البحث ٢٤٧
ـ فهرس البحث ٢٥٥
ـ بيان بأسماء كتب المؤلف ٢٥٩

* * * * *

قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ ـ المدرسة المدنية :

١ ـ الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة الحادية عشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات .

٣ ـ شمائل الرسول الأمين ﷺ (تحت الطبع).

٤ ـ سيرة الرسول ﷺ ـ العهد المكي ـ كما وردت في كتب السنة .

٥ ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦ ـ فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧ ـ الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . الطبعة الثانية ، وقد ترجم لبعض اللغات .

٨ ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

٩ ـ مع رسول الله ﷺ في رمضان (تحت الطبع).

١٠ ـ الصلاة على النبي ﷺ . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١ ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢ ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣ ـ فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الرابعة . نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٥ ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ ـ أمية النبي المصطفى ﷺ ، نشر دار القبلة .

١٨ ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام . الطبعة الثانية .

١٩ ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).
٢٠ ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثالثة . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٢١ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).
٢٢ ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . طبعة ثانية .
٢٣ ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).
٢٤ ـ الرحمة المهداة ﷺ ، نشر دار القبلة .
٢٥ ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).
٢٦ ـ الحب المتبادل (بين رسول الله ﷺ والمدينة المنورة) ، نشر دار القبلة . طبعة ثالثة
٢٧ ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).
٢٨ ـ رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار ، نشر دار القبلة .
٢٩ ـ واجب الأمة نحو نبيّ الرحمة ﷺ (بين يديك).
٣٠ ـ مناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب (تحت الطبع).

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

٣١ ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).
٣٢ ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه ، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية .
٣٣ ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض .
٣٤ ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي . طبعة ثانية ، دار القبلة .
٣٥ ـ مناقب الإمام الشافعي ، لابن الأثير ، وهو من كتابه الشافي ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .
٣٦ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي ، لابن الأثير (تحقيق ، تحت الطبع).
٣٧ ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٣٨ ـ السنن للإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٣٩ ، ٤٠ ـ المسند للإمام الشافعي ، ومعه شافي العي ، للحافظ السيوطي (تحقيق).
٤١ ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث ، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى .
٤٢ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض
٤٣ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).
٤٤ ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

ج ـ علوم الحديث رواية :

٤٥ ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .
٤٦ ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .
٤٧ ـ شرح أربعين حديثاً مما في الصحيحين (تحت الطبع).
٤٨ ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .
٤٩ ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق ، نشر دار القبلة .
٥٠ ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٥١ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة .
٥٢ ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .
٥٣ ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).
٥٤ ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة . طبعة ثانية .
٥٥ ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .
٥٦ ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث ، وطبع منه :**

٥٧ ـ الحديث المتواتر .
٥٨ ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولى .

٥٩ ـ الحديث المعلل ، طبعة ثانية ، نشرتها كلها دار الوفاء ، بجدة .
٦٠ ـ مقدمة شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، شرح وتعليق ، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .
٦١ ـ الإسناد من الدين ، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).
٦٢ ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).
٦٣ ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).
٦٤ ـ خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع . نشر دار القبلة .
٦٥ ـ تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين (تحت الطبع).

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٦٦ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .
٦٧ ـ مشروعية صيام ست من شوال ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٦٨ ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ الحديث الموضوعي :

٦٩ ـ من صفات المؤمنين في ضوء السنة النبوية .
٧٠ ـ الجهاد في ضوء السنة النبوية .
٧١ ـ تحريم الخمر والمسكرات في ضوء السنة النبوية .
٧٢ ـ تنبيه الذات بهادم اللذات (الموت والقبر في ضوء السنة النبوية).
٧٣ ـ علاج الإسلام لمشكلة البطالة في ضوء السنة النبوية .
٧٤ ـ صلة الأرحام في ضوء السنة النبوية .
٧٥ ـ الرفق بالحيوان في ضوء السنة النبوية .

ز ـ بين الإنسان والجماد :

٧٦ ـ الإدراك عند الجمادات .
٧٧ ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .
٧٨ ـ شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ .
٧٩ ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ح ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٨٠ ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٨١ ـ حقوق الزوجين .

٨٢ ـ المرأة في القرآن .

٨٣ ـ الإحسان في القرآن .

٨٤ ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٨٥ ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٨٦ ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

ط ـ الفتن وأشراط الساعة :

٨٧ ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة . (تحت الطبع).

٨٨ ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٨٩ ـ أشراط الساعة .

٩٠ ـ مختصر أشراط الساعة ، نشر دار القبلة .

٩١ ـ أخبار الدجال .

٩٢ ـ الردة قديمها وحديثها .

٩٣ ـ الردة قديمها وحديثها (المحاضرة).

٩٤ ـ المسيح عليه السلام ، قطعية رفعه ، وتواتر نزوله .

*****